الأعمال الكاملة

للأديب الأستاذ

عبد الوهاب إبراهيم آشي

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الاثنينية

(٢٥)

الأعمال الكاملة

للأديب الأستاذ

عبد الوهاب إبراهيم آشي

الناشر

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

جدة

ⓒ عبدالمقصود خوجه ، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الآشي ، عبدالوهاب ابراهيم

الأعمال الكاملة للأستاذ عبدالوهاب ابراهيم آشي . / عبدالوهاب ابراهيم آشي .- جدة ١٤٢٥هـ

٣٢٠ ص ؛ ١٧×٢٤سم

ردمك ٦-٨٤٩-٤٦-٩٩٦٠

١ - آشي ، عبدالوهاب ابراهيم ٢ - الشعر العربي - السعودية

أ- العنوان

ديوي ٨١١, ٩٥٣١ ١٤٢٥/٦٢٦٩

رقم الإيداع : ١٤٢٥/٦٢٦٩

ردمك : ٦-٨٤٩-٤٦-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

صدرت هذه الأعمال بمناسبة "مكة المكرمة" عاصمة الثقافة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجه

جدة

الأديب الأستاذ عبدالوهاب ابراهيم آشي

الإهداء

بمناسبة اختيار

مكة المكرّمة عاصمة للثقافة الإسلامية

لعام ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م،

أهدي هذا العمل لمؤلفي

"وحي الصحراء" :

والدي

محمد سعيد عبدالمقصود خوجه

و رفيق دربه

عبدالله عمر بلخير

–يرحمهما الله –

فهرس المحتويات

المقدمة .....

كلمة الناشر .....

إصدارات كتاب الاثنينية .....

السيرة الذاتية .....

قالوا عن الأديب عبد الوهاب آشي .....

ديوان شوق وشوق! .....

المقدمة .....

توطئة .....

«كلمة في الشعر والشعراء» .....

القسم الأول: القصائد .....

«كيف أدافع جَيش القدر؟!» .....

[إني كريم النفس حر!] .....

[على أطلال القديم] .....

[موازنة قصيدة «يا ليل الصبّ»] .....

[ما زهرتي إلا لآت بمهرها] .....
[رحماك ربي] .....
«دمعة على الوطن» .....
«أبلغوه سلاميا!» .....
«تزكية وتودد» .....
[تزكية وتودد وعتاب] .....
[دعنا من الأنس] .....
«منظر الصب المهجور» .....
[مفـــرد] .....
[اليأس مع الحياة] .....
[يوم الوداع] .....
[نفثة من الهوى] .....
«عبرة الدهر» .....
[شهر الصيام] .....
[إلى اللَّه] .....
[أنا والشعر] .....
[وانفسي وواكبدي] .....
[أحن إليك يا يثرب!] .....
[الـدهـر] .....
[صدر رسالة] .....
[شقيت!] .....

القسم الثاني: المشطرات ـ المخمسات ـ المطرزات .....

«المشطـــرات» .....

[المخمســـات] .....

«تخميس والأصل للشاعر المعاصر ولي الدين» .....

«المطـــرزات» [ويـل القلـــوب] .....

«والحر فؤادي» .....

[مجلس اللهو وأعضاؤه] .....

«أمنية الشاب الطائش» .....

«يا بـــــدر!» .....

«صفحة من المجون» .....

[الراح والنفس] .....

«البكـــور» .....

«لك التحكم ولنا الرجا» .....

«ما عهدت !» .....

«هيكل الصبابة» .....

«إلى أميرة الحسن» .....

«ضرائر بنت الحان» .....

[في الهزل والمجون] .....

«في رشا لما لحظنا مضى مسرعاً» .....

«تهنئة زفاف» .....

القسم الثالث: في الوجدانيات والغراميات وفلسفتها .....

[على شاطئ البحر] .....

«في النظرة سر لا يحد» .....

«لم أنس!» .....

[عذاب النوى] .....

«يا طيفها» .....

«مساء في روض» .....

«بكـــرت» .....

[في الهجر تثقيف للصب] .....

«هـــي!» .....

«وصلك طب» .....

«بين لحظ وقامة» .....

«أذكريني!» .....

«لـــو!» .....

«يا رب!» .....

«معنى مقترح» .....

«الفؤاد ونوازعه» .....

«الوردة الذابلة» .....

«شوق وشوق» .....

«حنين النائي» .....

«احتكام العدل والجمال» .....

«التعلل بالرسوم» .....
«عتاب واستعطاف» .....
[زفرة ولهان] .....
[الحب صراع ونضال] .....
[نجوى مشتاق] .....
«حـــذار!» .....
«ويل قلبي من عيني» .....
«موشح البدر» .....
[الهوى كتمانه] .....
«ما زلت للحسن عبداً» .....
«يـا بـدر !» .....
«قيثـارتـي» .....
«رهـق الكاس» .....
«رجاء في الهوى» .....
«ساعة لقاء وفراق» .....
«الهوى ودواعيه» .....
«يا رعاة الحسن» .....
«ترجمة شعر من اللغة الملايوية» .....
«على بلاج السويس» .....
«يا ربة الحسن الفريد» .....
«ذكريات الصبا في المشيب» .....

«تحية منال الغالية» .....
«مناجاة صورة» .....
«الأمل النائي» .....
«البكـــور» .....
«سمـــراء» .....
«بكـاء حـار» .....
«هدى وضلال» .....
«شهادة مسجلة» .....
«لم أدر ماذا حلّ بي؟» .....
«زيـارة طيـف» .....
«هدية فاخرة» .....
«رسم الشباب» .....
«مناجاة على البعد» .....
«خيبة رجاء» .....
ذكرى ليلة زاهرة من ليالي الحبيبة في القاهرة .....
«رويدك لا تحيفي» .....
قصائد أخرى .....
يـا ليـل! .....
من واقِع الحيَاة الأليم .....
وردتـان! .....
لا تبخلي يا ملاكي .....

التحية الوطنية .....
السأم من الحياة .....
يـا قلــب! .....
يـا نفـــس ! .....
لـــوم مردود .....
يـا رفيــقي ! .....
الحجاز مستقر الوحي والطبيعة الخرساء ! .....
«الحق أجدر بالنصر» .....
وحـي صـورة .....
ربـاعيـات .....
بين قلبي والدهر .....
آلام وآمــال .....
مِن أحسَنِ ما نَظم .....
النثــر .....
بين الأمس واليوم .....
حفلة الشباب بمكة المكرمة .....
حديث الأسبوع .....
حديث الأسبوع .....
حديث الأسبوع .....
فَتـــح مكَّـــة .....
صلة أندونيسيا بالحجاز قديماً وحديثاً .....

يوميات قصيرة .....
مشروعاتنا في السنوات الخمس .....
على ملعب الحوادث .....
ـ في الهجرة والتهجير أيضاً ـ حياتي في عالم الوظائف .....
رَأي .....
نظرة في الجمال الإنساني .....
كفاح مرير طويل .....
فلسفة الموت والحياة .....
القوة الإسلامية الضاربة في الجزيرة العربية .....
فهرس المحتويات .....

المقدمة

لقد ازدهرت «الاثنينية» وواصلت مسيرتها وهي تمتح من معين النور في مكة المكرمة مستلهمة فضائل أم القرى من موقع انعقاد فعالياتها بجدة «بوابة الحرمين الشريفين».. وكان لا بد لهذا القرب الجغرافي من إلقاء ظلاله على ما يمكن أن يقدمه هذا المنتدى في مناسبة تاريخية مثل اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، وإن كانت مكة المكرمة دائماً وأبداً موئل العطاء وإشعاع الثقافة والفكر منذ نزول «اقرأ» بغار حراء على سيد الخلق وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ.

والحمد لله الذي ألهمني التوجه إلى بر والدي، وصديق عمره معالي الشيخ عبد الله بلخير «رحمهما الله»... ذاكراً فضل معاليه عليَّ بالتوجيه والرعاية في دروب الحياة المختلفة.. فقد غرسا في نفسي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حب الكتاب... وكانت البذرة التي أخرجت ما تيسر من السنابل والحبوب كتابهما القيم (وحي الصحراء) الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٣٥٥هـ، بصفته أول عمل أدبي معاصر يرصد جانباً من نتاج أدباء الحجاز بتراجمهم ونماذج من أعمالهم.. وقد أعادت «تهامة» طباعته للمرة الثانية عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

وكان من فضل الله بما أفضلت به «تهامة» في قمة عطائها إصدار كتاب «محمد سعيد عبد المقصود خوجه حياته وآثاره» للأستاذ الدكتور محمد بن

سعد بن حسين، من سلسلة الكتاب العربي السعودي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.. ثم شرفت بإصدار سلسلة [كتاب الاثنينية] كرافد يوازي [سلسلة أمسيات الاثنينية] وتحت مظلته صدر كتاب «عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية» للأستاذ محمود رداوي، في طبعاته: الأولى عام ١٤١١هـ/١٩٩١م، والثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، والثالثة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.. وأردف بكتاب «عبد الله بلخير يتذكر» للدكتور خالد باطرفي (ط١ ـ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ثم كتاب «الغربال» للأستاذ حسين الغريبي (ط١ ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).. ثم كتاب «الأعمال الكاملة للشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي» الذي صدرت طبعته الأولى في ستة أجزاء (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).. وكتاب «المجموعة الكاملة لآثار الأديب السعودي محمد سعيد عبد المقصود خوجه» للأستاذ حسين الغريبي (ط١ ـ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ـ وبين هذه الإصدارات وبعدها ـ أصدر [كتاب الاثنينية] مجموعة أخرى، إلا أن التي نوهت عنها ذات ارتباط مباشر بكتاب «وحي الصحراء» الذي استلهمت منه فكرة الأعمال الكاملة لكل أديب أسهم فيه بأنموذج من أعماله.

وبدأت مرحلة شاقة من البحث، وحصر الأعمال، التي كان معظمها متناثراً أو لدى الورثة الأفاضل الذين حافظوا عليها مشكورين، واستجابوا للإعلانات التي نشرتها في مختلف الصحف، إلى أن تجمعت حصيلة طيبة خضعت لمعايير صارمة من المراجعة والتدقيق أثناء مراحل الطباعة المختلفة... وقد أكرمنا الله عز وجل بطباعة هذه الكتب التي تقدمها «الاثنينية» بكل اعتزاز بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية ما بين عامين وعام من المناسبة المذكورة، وظلت في المستودعات لترى النور وتتلازم مع هذه الفعاليات.. ويسعدنا تقديم:

ـ الأعمال الكاملة للأستاذ حسين سراج (١٠ أجزاء).

ـ أخبار مكة للأزرقي (جزءان في مجلد واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحميد عنبر (جزء واحد).

ـ الأعمال الشعرية والنثرية للأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عزيز ضياء (٥ أجزاء).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان (٧ أجزاء).

ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأديب الأستاذ محمد صالح باخطمة (جزء واحد).

ـ الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأستاذ محمد إسماعيل جوهرجي (٥ أجزاء).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي (٤ أجزاء).

ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأستاذ مصطفى زقزوق (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأستاذ إبراهيم أمين فودة (٤ أجزاء).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد عمر عرب (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب عبد الله عبد الرحمن الجفري (٤ أجزاء).

ويلاحظ القارىء الكريم أن هناك أعمالاً لم تكن ضمن كتاب «وحي الصحراء» إلا أن أصحابها الأفاضل لهم ريادة وعلاقة وثيقة بهذا التوجه... أي إنها تنصهر كلها في بوتقة حب مكة المكرمة زادها الله تشريفاً وتعظيماً.

سائلاً الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها المسلمين ويجعلها خيراً يسهم في إثراء مكتبتنا العربية والإسلامية.

والله الموفق وهو من وراء القصد،،

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

كلمة الناشر

بقلم: عبد المقصود محمد سعيد خوجه

كانت مشكاة الحرف مقفرة وخامدة إلا من قناديل شعَّ سناها هنا وهناك.. إذا ذكر واحد منهم تداعت إلى الذاكرة بقية السلسلة الذهبية التي أرَّخت للأدب في مستهل العهد السعودي، ومن أولئك الأفاضل الذين كانوا ربيعاً في دهرهم، وزهراً في بستانهم، الأستاذ الأديب الشاعر عبد الوهاب إبراهيم آشي.. وقد جايل رموز الحركة الأدبية والثقافية (مع تفاوت السن) مثل الأساتذة أحمد السباعي، وإبراهيم فلالي، وعبد القدوس الأنصاري، ومحمد سعيد عبد المقصود خوجه، ومحمد سعيد العامودي، ومحمد حسن فقي، ومحمد حسن عواد، وعبد الله بلخير، وغيرهم.. وأذكر أنه كان من روّاد مجلس الأستاذ محمد عمر توفيق بدارته بريع الرَّسان، وقد حضرت بعض هذه الأمسيات التي كان من روادها أيضاً الأساتذة محمد حسين زيدان، وحمزة شحاتة، وعزيز ضياء، وأحمد قنديل، وعبد السلام الساسي، وياسين طه.. وغيرهم.. (رحمهم الله، وأمد في عمر الأستاذ السيد ياسين طه).

وقد شرفت بالصلة الوثيقة التي ربطتني بأستاذنا عبد الوهاب آشي،

فهو من أنداد والدي، وكثيراً ما أفضل عليَّ بالتوجيه والنصح، شأن الكبار الذين لا يضنون على أبنائهم بتجاربهم وخبراتهم وعلمهم وفضلهم.. وكم سعدت بالاستماع إليه في بعض مجالس الأدب والثقافة التي كان يرتادها مع صفوة أهل القلم.

إن أستاذنا الآشي أديب متعدد المواهب، فقد عُرف شاعراً، وناثراً، وقاصاً، وصحفياً، وله كتابات بأسماء مستعارة مثل (نعيمة الصغير) و(نعيمة القصير) وقد أشار إلى ذلك الأستاذ الباحث عبد الرزاق القشعمي.. وهو تقليد انتشر بين كبار الكتّاب والأدباء في كثير من الدول العربية والغربية.. وقد امتاز شعره بالرصانة، وقوة الديباجة، وجلاء المعاني، والصور التي ينتقيها بعناية من الطبيعة الساحرة.. وتميزت مرحلة شبابه بالشعر العاطفي الغزلي العفيف، بينما اتجه إلى الوطنيات وقضايا الأمة عندما اشتد عوده وقوي ساعده في دنيا الشعر.

أما مقالاته الأدبية فقد اتسمت بهدوء النبرة، وتوخي الحكمة، واختار الأساليب والعبارات التي لا تثير حفيظة الآخرين، وكل ذلك من منطلق المجادلة بالتي هي أحسن، فكسب ود واحترام كثير ممن تعامل معهم، غير أنه لم يداهن قط تجاه أي أمر من أمور الفكر والثقافة، بل كان صريحاً وواضحاً في تناوله، وكان لذلك النهج أبلغ الأثر في مواصلته مقالاته العديدة، والتي بدأت تنحسر تدريجاً بسبب داء السكر الذي هجم عليه في أخريات سني حياته إلى أن توفي «رحمه الله» عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

ومما لا شك فيه أن عمله بالتدريس، وحبه تلك المهنة، قد أكسبه عمقاً خاصاً في فهم النفس البشرية من واقع عمله التربوي، كما منحه

المزيد من قوة الشخصية استناداً إلى سلوكيات المعلم داخل وخارج الصف، كما شغل عدة مناصب أخرى في نقابة السيارات، ورئاسة تحرير صحيفة «صوت الحجاز» ورئاسة المحاسبات العمومية بوزارة المالية، وقد جعلته كلها أكثر التصاقاً بالمواطنين ومعايشة قضاياهم اليومية، فتطرق لكثير من المواضيع التي تبدو وليدة الساعة، مثل كتاباته المميزة عن سوق العمل والهجرة، والعروبة والإسلام، واللغة العربية، وغيرها من المسائل التي ما زالت تلقي ظلالها على حياتنا المعاصرة، مما يشير إلى عمق تجربته، وتقصيه أسباب ومسببات ما يتناوله بالتحليل والدراسة، فهو أديب ومثقف موسوعي له باع طويل في كثير من الشؤون التي يعالجها.

ولقد جاء طبع المجموعة الكاملة لإبداعات أستاذنا الكبير متزامناً مع اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، تقديراً لجهود رائد من روادنا، وجزء من واجب «الاثنينية» مشاركة من ابن من أبناء مكة المكرمة يشرُف بتقديم جهد العقل احتفاء بالكلمة في بلد شعَّ منه نور «اقرأ».

والله الموفق وهو من وراء القصد،،

عبد المقصود محمد سعيد خوجه شعبان ١٤٢٥هـ/سبتمبر ٢٠٠٤م

إصدارات كتاب الاثنينية

١ ـ ديوان (الأعمال الكاملة).

لمعالي الأستاذ أحمد بن محمد الشامي، (رقم ١) الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢ ـ كتاب (عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية).

لمؤلفه الأستاذ محمود رداوي، (رقم ١/١) الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣ ـ ديوان (عاصفة الصحراء).

للشاعر الأستاذ محمود عارف، (رقم ١/ ٢) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٤ ـ ديوان (الأربعون).

للأستاذ عبد السلام هاشم حافظ، (رقم ١/ ٣) الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٥ ـ ديوان (قلبي على وطني)

للشاعر العراقي الأستاذ يحيى السماوي، (رقم ١/ ٤) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٦ ـ كتاب (جرح باتساع الوطن).

للشاعر الأستاذ يحيى السماوي، (رقم ١/ ٥) الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٧ ـ ديوان (حصاد الغربة)

للشاعر العراقي الدكتور زاهد محمد زهدي، (رقم ٦/١) الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٨ ـ ديوان (الأعمال الكاملة)

للأستاذ الراحل زكي قنصل، (رقم ٢) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٩ ـ كتاب (البهاء زهير)

للأستاذ المرحوم محمد إبراهيم جدع، (رقم ٣) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠ ـ كتاب (التوازن معيار جمالي)

للأستاذة غادة بنت عبد العزيز الحوطي، (رقم ٤) الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١١ ـ كتاب (سوانح وآراء)

للأستاذ الدكتور بدوي طبانه، (رقم ٥) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٢ ـ كتاب (ترجمة حياة)

لمعالي الأستاذ محمد حسن فقي، (رقم ٦) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٣ ـ ديوان (قوس قزح)

لفضيلة معالي الدكتور الشيخ أحمد الزرقاء، (رقم ٧) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٤ ـ كتاب عبد العزيز الرفاعي من المهد إلى اللحد (الجزء الأول).

للأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب، (رقم ٨) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٥ ـ كتاب عبد العزيز الرفاعي من المهد إلى اللحد (الجزء الثاني)

للأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب، (رقم ٨) الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦ ـ ديوان الأعمال الكاملة (الجزء التاسع)

لمعالي الأستاذ محمد حسن فقي، (رقم ٩) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٧ ـ ديوان (أوراق من هذا العصر)

للشاعر الدكتور خالد محي الدين البرادعي، (رقم ١٠) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٨ ـ ديوان (زمن لصباح القلب)

للشاعر فاروق بنجر، (رقم ١١) الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٩ ـ الشعراء في إخوانياتهم

للأستاذ خالد القشطيني، (رقم ١٢) الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٠ ـ عبد الله بلخير يتذكر

للأستاذ خالد باطرفي، (رقم ١٣) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢١ ـ كتاب (الغربال)

للأستاذ حسين عاتق الغريبي، (رقم ١٤) الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٢ ـ ديوان (حلم طفولي)

للأستاذ سعد البواردي، (رقم ١٥) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٣ ـ كتاب (الأعمال الشعرية الكاملة وأعمال نثرية)

للشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي، (رقم ١٦) الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٤ ـ المجموعة الكاملة لآثار الأديب السعودي الراحل محمد سعيد عبد المقصود خوجه

إعداد وتقديم الأستاذ حسين عاتق الغريبي (رقم ١٧) الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٥ ـ الأعمال الكاملة للشاعر والأديب الكبير حسين عبد الله سراج رقم (١٨)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٦ ـ أخبار مكة للأزرقي رقم (١٩)، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

٢٧ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحميد عنبر رقم (٢٠)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٨ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي رقم (٢١)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٩ ـ الأعمال الشعرية والنثرية للأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي رقم (٢٢)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٠ ـ الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأستاذ محمد إسماعيل جوهرجي رقم (٢٣)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣١ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان رقم (٢٤)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٢ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي رقم (٢٥)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٣ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عزيز ضياء رقم (٢٦)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٤ ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأديب الأستاذ محمد صالح باخطمة رقم (٢٧)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٥ ـ الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي رقم (٢٨)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٦ ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأستاذ مصطفى زقزوق رقم (٢٩)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٧ ـ الأعمال الكاملة للأستاذ إبراهيم أمين فودة رقم (٣٠)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٨ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد عمر عرب رقم (٣١)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٩ ـ الأعمال الكاملة للأديب عبد الله عبد الرحمن الجفري رقم (٣٢)
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م.

السيرة الذاتية

شاعر وطني من الرعيل الأول في الحجاز، ومن روّاد الصحافة والأدب في المملكة العربية السعودية، (تأثر به الكثير من أدباء الحجاز من خلال آثاره الأدبية التي كان ينشرها في جريدة «صوت الحجاز» يحمل عاطفة وطنية قوية، وفي مفرداته الأدبية نجد مضامين عصرية (إلا أنها لا تخرج عن دائرة التقليد والمحافظة):

الميلاد والنشأة:

ولد بمكة المكرمة في عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، والتحق بمدرسة الفلاح وتخرج فيها سنة ١٣٣٧هـ، وهذه المدرسة «هيأت للبلاد خيرة الرجال المثقفين، فطلابها كانوا المادة الرئيسية التي اعتمدت عليها المملكة العربية السعودية في نهضتها»:

الحياة العملية:

ـ في سنة ١٣٤١هـ عيّن معلماً بالمدرسة الفخرية، ثم في سنة ١٣٤٣هـ عمل مدرساً بمدرسة الفلاح حتى سنة ١٣٤٧هـ:

ـ انتدب عضواً بنقابة السيارات، ثم أسندت إليه أمانة صندوقها:

ـ عندما أسس محمد صالح نصيف جريدة «صوت الحجاز» في شهر ذي القعدة ١٣٥٠هـ (إبريل سنة ١٩٣٢م) عمل عبد الوهاب آشي كأول رئيس لتحريرها، غير أنه لم يستمر بها إلا ثلاثة شهور فقط):

ـ في سنة ١٣٥٢هـ عيّن معاوناً لرئيس المحاسبات العمومية بوزارة المالية:

ـ وفي غرة ربيع الثاني سنة ١٣٥٥هـ عيّن رئيساً لقلم التحرير: ثم عيّن في وظيفة مفتش عام منتدب لوزارة المالية: كما أنه عضو بمجلس المعارف، ومراقب عام البنك الأهلي التجاري:

ـ عضو مؤسس بمؤسسة البلاد للصحافة والنشر:

ـ شارك في أول مؤتمر للأدباء السعوديين الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) تحت رعاية جامعة الملك عبد العزيز:

ـ شارك في تأسيس نادي مكة الثقافي:

آثاره:

ـ شوق وشوق «ديوان شعر» المكتبة السعودية، جمعية الثقافة والفنون ـ إدارة الثقافة ـ الرياض ـ مطابع الفرزدق التجارية، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م:

ـ ترك لنا نماذج من إنتاجه الشعري والنثري في كتب «أدباء الحجاز» و«المعرض» و «وحي الصحراء» و «المنهل»:

وفـاتـه:

توفي يرحمه الله عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م:

مصادر الترجمة:

ـ عبد الرحيم أبو بكر، الشعر الحديث في الحجاز، ص ٢٥٣:

ـ محمد سعيد عبد المقصود، وعبد الله عمر بلخير، وحي الصحراء، ص ٢١٥:

ـ عاتق غيث البلادي، هديل الحمام في تأريخ البلد الحرام، ص (٧٩٧):

قالوا عن الأديب عبد الوهاب آشي

حياتهم[1]

واليوم نعاود اللقاء عبر (حياتهم) ومعنا في هذه الحلقة فارس من فرسان الأدب السعودي.. أديب كبير من أدباء الرعيل الأول المبرزين.. أسهم في بناء صرح الفكر والأدب في بلادنا منذ أكثر من نصف قرن.. وترك بصماته واضحة على الحركة الأدبية.. وهو من طلبة مدرسة الفلاح بمكة وأساتذتها.. تخرج على يديه أفواج من طلاب العلم تقلد بعضهم مناصب كبيرة في الدولة.. اختير ليكون أول رئيس لتحرير صوت الحجاز.. وتقلَّد الكثير من الوظائف الحكومية.. عبد الوهاب إبراهيم آشي رحمه الله ورحلة حياة حافلة بالعطاء والمجد نصحبكم معها من خلال الكلمات التالية التي قالها عنه عدد من أدبائنا ومفكرينا.. فلنقرأ معاً تلك الكلمات.

الآشي شاعر وكاتب

يعدُّ الآشي من شعراء الرعيل الأول وله جولات في الشعر العاطفي والوطني والاجتماعي.. وللآشي أسلوب مميز في كتابة إفتتاحية صوت

(١) **المصدر**: جريدة البلاد، العدد ٨٤٨٦، الأربعاء ١٣/ ٦/ ١٤٠٧هـ الموافق ١١/ ٢/ ١٩٨٧م.

الحجاز التي كان يحررها.. وكذلك في كتاباته في الصحف.. ويذكر أنه كتب افتتاحية العدد الأول من صحيفة صوت الحجاز.. وله أشعار ومقالات كثيرة لم تجمع كلها.. وما جمع من إنتاجه الشعري صدر في كتاب هو عبارة عن ديوان شعر سمِّي (شوق وشوق) طبعته جمعية الثقافة والفنون.. والنية معقودة الآن لدى ابنه لجمع إنتاجه المتناثر وإصداره في كتاب.

من جيل الرواد

تحدَّث الأديب الكبير الأستاذ أحمد عبد الغفار عطار عن حياة وشخصية الأستاذ عبد الوهاب آشي فقال:

الأستاذ عبد الوهاب آشي من الفتية الأوائل جيل الرواد بناة الحركة الأدبية الأولى في بلادنا وهم:

١ ـ محمد سرور الصبان رائد الحركة، وبانيها الأول وراعيها إلى أن توفي منذ بضع سنوات.

٢ ـ عبد الوهاب آشي.

٣ ـ محمد سعيد العامودي.

٤ ـ عمر عرب.

هؤلاء الأربعة هم أركان النهضة الأدبية بقيادة الشيخ محمد سرور الصبان الذي صنع الحركة الأدبية، وكان مع الأجيال التي جاءت بعد جيل الرواد الأربعة، فما من أديب إلا وللشيخ الصبان في رقبته منه يذكرها له تاريخ الأدب.

مساهمة في الحركة الأدبية

ويضيف الأستاذ العطار قائلاً:

أما الشيخ الآشي ورفيقاه فكانوا ممن أسهموا في الحركة الأدبية التي صنعها الشيخ الصبان الذي يعد أول ناشر للأدب إذ طبع على نفقته هذه البواكير الأدبية:

١ ـ أدب الحجاز. ٢ ـ المعرض. ٣ ـ خواطر مصرحة لمحمد حسن عواد.

ودفع الشيخ الصبان كتاب العواد إلى الأستاذ الآشي ليكتب مقدمته ويُعرِّف القراء بمؤلفه فكتب المقدمة.

ذو أخلاق فاضلة

ويضيف العطار قائلاً: وكان الأستاذ الآشي رحمه الله ذو أخلاق فاضلة كغيره من الرواد الأوائل يمتاز كل منهم بخلائق مثلى ينفرد بها. تحدد شخصيته وسماتها.

وميزة الأستاذ الآشي أو علامته الفارقة أو مفتاح شخصيته الصدق الذي يتصف به في حياته الخاصة والعامة، بل تكاد تكون حياته الخاصة وحياته العامة سواء.

ويمضي الأستاذ العطار في القول: ومن هنا كانت سريرته مثل علانيته، ثم لا فرق بين رضاه وغضبه في إصدار الأحكام، فإذا غضب على أحد لا يخرج به الغضب عن الحد القوام، ولا يبخسه حقَّه، بل يصدر عن الصدق الذي يدفعه إلى إعطاء الحق، كما لا يحمله الحب أو الرضا على إعطائه ما ليس له بحقّ.

ولهذا ما كان المغضوب عليه محل نقمة الأستاذ الآشي، بل يعطيه الحقّ له وعليه، ولهذا ما كان المغضوب عليه يعاديه، بل لا يجافيه.

الآشي والنقد

ويستطرد الأستاذ العطار قائلاً: ومن أعظم خلائقه التي تتفق مع خليقة الصدق أن ينصف من نفسه، ويتقبل النقد النزيه ممن يصغرونه في السن وفي العلم والأدب أو من نظرائه، فذات مرَّة كتبت مقالاً عن العدد الممتاز من جريدة «البلاد» ونقدت قصيدة للأستاذ الآشي نقداً نزيهاً، وكان مجلسه حافلاً بالأدباء والمثقفين، وأرادوا مجاملته فذكروا له أن ناقده ـ وهم يقصدونني ـ أن نقدي ليس بشيء. فردَّ عليهم أنه قرأ النقد وأعجبه. وأن الحقّ مع الناقد النزيه، وأضفى عليَّ من الصفات المحمودة ما هو أجدر بها مني.

وتشاء المصادفة أنني زرته في ذلك الوقت فإذا هو يستقبلني بحفاوة ويعترف بأن ما ذهبت إليه حقّ.

صفات كريمة

وأضاف الأستاذ العطار عن صفات عبد الوهاب آشي قائلاً:

ومن صفاته الكريمة أنه ينظر إلى الأثر الأدبي دون النظر إلى صاحبه سواء كان شادياً أو رائداً.

وعلى سبيل المثال أذكر أننا كنا طلبة ودعينا مع رواد الأدب وكبار الأدباء والأساتذة المثقفين. لنحتفل بأول الطيارين.. ولبيَّنا الدعوة لمشاركتهم في الرأي ونشترك في مسابقة كانت مقامة.. وطلبت إلى الأستاذ حسين عرب الذي كنت أسبقه في الدراسة بسنة أن ينظم نشيداً يدخل به المسابقة فاستحى أن

يتسابق مع الرواد وكبار الأدباء، ولكنني أنا وزملاء لنا حملناه حملاً على الاشتراك.. في المسابقة ورضي ونظم النشيد.

وكان الأستاذ الآشي هو الذي رأى دعوة الناشئة ولهذا كنا نتفيأ ظلاله وسلّمناه نشيد حسين عرب، فأعجب به وهنأ الشاعر التلميذ.

وكان أول الأمر أن الأستاذ الآشي الذي نظم نشيداً يشترك به في المسابقة سحب نشيده منها اعترافاً منه بأن نشيد الأديب الناشيء حسين عرب أفضل من نشيده ولهذا اعتذر عن المسابقة.

وكانت لجنة الفحص مكوّنة من الأستاذ الآشي والأستاذ محمد سعيد عبد المقصود والأستاذ عمر صيرفي. وأشركوني في اللجنة عن الناشئة.

وكان عمر صيرفي ـ رحمه الله ـ أستاذاً لنا في المعهد العلمي السعودي، والآخران من أساتذتنا في الأدب وسرَّهم أن نبدي آراءنا في صراحة وحرية مع الخلق واحترام أدبائنا الكبار سنًّا ومقاماً.

علاَّمة في الدين والعربية

ويختتم الأستاذ أحمد عطار حديثه عن الآشي بقوله:

وكان الأستاذ الآشي رحمه الله علاّمة في علوم الدين والعربية قلَّ نظيره بين زملائه الأدباء من الرعيل الأول وإن كانوا لا يقلّون عنه.. وميزة جيله وجيلنا أيضاً التطلع إلى مختلف العلوم والآداب، والفنون مع التواضع ومكارم الأخلاق، والأغصان المحملة بالثمار متواضعة تتدلى إلى أمها الأرض، أما المجردة فتتطلع إلى أعلى تتحدى السماء.

الآشي من القلب إلى الذاكرة

وتحدَّث معالي السيد حسن كتبي عن عبد الوهاب آشي حديثاً من

القلب للذاكرة كواحد من تلامذته وكصديق وزميل له فقال:

الحديث عن المغفور له عبد الوهاب آشي بعد فترة من زمن وفاته يشجي القلب لأن هذا الإنسان والإنسان الكريم بطباعه وسجاياه وفطرته كان ينبغي أن يكون ذكراً مذكوراً. وليس نسياً منسياً، لأنه أعطى من علمه وفضله ونبله وأخلاقه في حياته الشيء الكثير لعارفيه.

لقد عرفته أستاذاً بمدرسة الفلاح للتاريخ والأدب أستاذاً محبوباً بروحه الطيبة المرحة وشخصيته المهذبة المحبوبة.. وبأسلوبه في الإلقاء وعرض المواضيع التي يلقّنها لتلاميذه ويشرحها لهم فلم يكن يجهد أحاسيسهم ولا يترك السأم يدب إلى نفوسهم.. لأنه كان جذاب الحديث يسبغ على الدروس التي يلقيها سلاسة ويسراً وبهجة وقبولاً.. وكان يعامل تلاميذه كالأخ الودود الذي يفرحون بلقائه مهما تكرر لقاؤه بهم.

ظاهرة بارزة

ويمضي السيد حسن كتبي في حديثه قائلاً:

وكانت هذه ظاهرة بارزة في حياته المرحة التي عرفتها في كثير من صورها.. فلقد تعمقت صداقتنا بعد الحياة المدرسية.. فعملنا معاً في قسم التحرير بوزارة المالية يوم كان الشيخ عبد الله السليمان وزيراً للمالية يحرص على المباهاة بهذا القسم ويلزمه أن يقدم شؤون وزارته على أكمل الوجوه وأتمها رغم التحديات القاسية التي تحاصره.

وكان الأستاذ عبد الوهاب آشي خير من حقق له غايته تلك مع المجموعة التي كانت تعمل معه وفي مقدمتهم الأستاذ الكبير السيد محمد حسن فقي الذي خلفه في رئاسة القسم.

يعيش مع الجماعة

ويضيف السيد حسن كتبي بقوله: وقد عرف عبد الوهاب آشي بين كل من صاحبهم بالروح والعواطف الإنسانية وكان لا يعيش إلاّ في جماعة ولم أعرف أنه قط عاش منفرداً أو بعيداً عن المجتمعات والذي عرفت من سجاياه في هذه الصفة أنه يتوسط دائماً مجاميعه تارة ثم لا تلبث حتى تجده في مقدمتهم وكثيراً ما تجده في الصفوف الأخيرة من بينهم وكأنما يحرص أن يصل أطرافهم بنفسه ويصلهم به حتى لا تنفك أرواحهم عن روحه ولا تُبلى العواطف الجياشة بينه وبينهم.

الاعتدال في كل شيء

ويواصل السيد حسن كتبي حديثه عن الآشي قائلاً:

ولم أذكر أني رأيته ساخطاً على أمر من الأمور التي تخص حياته أو ساخطاً على أحد من الناس ولقد كانت أبرز ميزاته الاعتدال في كل شيء فلا يخاطر بأقواله وأفعاله وآرائه وتصرفاته بالجنوح إذا حافه طرف من الأطراف قد يضطره للتراجع عنه.

وكانت ضحكاته التي ينمَّق بها حديثه فيبدأ بها حديثه تارة ويتوسط بها تارة أخرى وينهي حديثه بها دائماً. صفة دائمة إلاَّ إذا كان يتحدث في ظروف جادّة أو مقامات لا تسع لغير ذلك.

وكان صادقاً كل الصدق في كل ما يصدر عنه لأنه لا يصدر إلاّ عن أمانة تامة في أقواله وأفعاله وما يأتيه في شؤونه الذاتية أو شؤون الآخرين.

أديب بالفطرة

ويضيف السيد حسن كتبي قائلاً: وكان أديباً بالفطرة فحديثه سلس له جرس أخاذ ومقاطع مقنّنة ومسكّنة ويختار كلماته من غير عناء بحيث لا

يطرق سمع من يتحدث عليهم أي نشاز في تعبير أو طريقة أداء، وترك وراءه مجموعة من المقطوعات الشعرية المطربة المعجبة في الوطنية والأخلاق والسلوك ومختلف مواضع الشعر الملامس للحياة الإنسانية، وكان ذكياً ألمعياً يظن الظن في غيب ما يحدث وكأنه رأى ما حدث وسمع به.

ديوان شوق وشوق!

بقلم : ابن حمَّـاد

عبد الوهاب إبراهيم الآشي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمـة

قبل ما يزيد على النصف قرن، لمّا كان الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم الآشي في عنفوان شبابه، وقمة تحمسه وحيويته، كانت البلاد قد ضمدت جراحها الذي سببته الحروب الطويلة نتيجةً للفرقة التي عاشتها مضطربة الأحوال، معزولةً لا تكاد تعرف من وسائل التنوير شيئاً إلا بعد أن تم التوحيد واجتمع الشمل.

هذا الخلل الذي عانته بلادنا في تاريخها الحديث والمعاصر، أفرز سلبيات خطيرةً تمثلت في قلة العطاءات الثقافية، والانحسار بدائرة ضيقةٍ لا تسمح بالتحرك، فظلت المفاهيم محكومة بالمألوف وعدم تقبل الجديد، فتأخر مسار التغيير خوفاً من الانزلاق في منحدراتٍ تسلب القيم وتقضي على المثل المتوارثة.

المهم، أنها عاشت حيرةً في ظل ظروف صعبة بعد ذلك مدةً، والعالم يكتوي بنار حربٍ عظمى، تلاحقت طوال نشوبها أزمات ضاقت بها أكثر دول العالم ثراءً، فما بالك بدولةٍ فتية شحّت مواردها وغابت معطيات أهلها بسبب عوامل تاريخية في غاية السوء شهدتها جزيرتنا العربية

منذ انتقال عاصمة الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى دمشق، حيث قامت صراعات علوية أُموية، وزبيرية أموية وأموية عباسية أدت في النهاية إلى تمزيق حضارتنا العربية الإسلامية. هذه الصراعات أثرت إلى حدٍ بعيدٍ بحياتنا الثقافية، ولا سيما بعد أن تسلّط الشعوبيون، فانتشرت الأمية، وتفشت العامية، وكان نصيب جزيرتنا من الأمية أوفر من غيرها، ولعلّ عزلتها، وبقاءها على عفويتها ساعد أبناءها على الاحتفاظ بشيءٍ من الفصاحة، ولكنها فصاحة قلقة لم تخلّف إيجابيات فعالة إلا بعد أن فطن مثقفونا بأن مبعث عطائها مصدره استعمالها وسيلة لمعالجة قضايا العصر وإنجازاته إلى جانب مهمتها الأساسية كعنوان لشخصيتنا العربية بعدما تعرفوا إلى المؤامرات التي حيكت ضد لغتنا، ومحاولات طمسها وتغريبها أو النيل من أصالتها التي مكنتها من القلوب والعقول، فتشكّل بها رغم كل سلبيات الناطقين بها، تراث حضاري؛ لأن إيجابية الإنسان العربي حتى في أقصى حالات تخلّفه الكامنة في عدم استسلامه لغيرها، حماية لدينه ودنياه، فتهيأت بذلك الأجواء لقيام حركةٍ كافحت ونشطت بعدما تنوّر أعضاؤها بالمدينة الحديثة، فطعَّموا الفكر العربي بعطاء الفكر العالمي في مصر وبلاد الشام والعراق[1]، وهؤلاء هم جيل الرواد الذين أضافوا للأدب العرب روحاً عصريةً، ودوافع وطنية دون الخروج به عن أصالته، فعبّروا عن عصرهم من خلال تراثية غير مسرفةٍ، فكانوا خير شاهدٍ على قضايا عصرهم[2]، فتولدت من ذلك آفاق جديدة في الثقافة العربية، انطبعت في الأذهان، واستهدفت صيتاً عالمياً من خلال معالجات محلّية، تظهر الواقع ليكون سجلاً لشرائح الحياة.

(١) أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ص ١٠٣.
(٢) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص ١٠٣.

وهكذا نجد أن الأدب من أهم أهدافه إنعاش المجتمعات والنهوض بالأمم، وأنه عند بلوغه مرتبة الامتياز سواءٌ بالشعر أو النثر، حيث تتوافر فيه العناصر الفنية والجمالية التي تلهم القرائح وتنبعث من الذوق الرفيع والعاطفة الصادقة والتعلق بالحقيقة وعدم إتباع أهواء النفوس[١]، سيساعدنا على حفظ إحساسنا عندما نشعر بقيمته المساعدة على التشكيل والتغيير؛ لكونه تعبيراً عن الحياة، ومرآة صادقة للواقع؛ لأننا بهذا الإحساس ندرك النبض فيه[٢]، ونفهم ماهيته التي تعطي حياتنا بعداً إيجابياً، فتتكشف بالتالي لنا فعالياته[٣]؛ وذلك حين نتحرر في كتابة الأدب من المذهبية الضيقة متحررين من الإطارات التي قد تخرجنا من الحكم الصحيح على الواقع، فتتبعثر نتيجةً لذلك اتجاهاتنا بين عددٍ من المفاهيم المتناقضة عند عددٍ من الأنماط المنتجة والقارئة، ومن هنا تنبع الأزمة الحقيقية في حياتنا الأدبية[٤]، ما لم نتخذه وسيلةً للتنوير والاتصال الإنساني، واكتساب خبرات وتجارب الحياة، والتعبير عن الذات بمختلف أنواعه وأشكاله[٥]:

هذا ما أدركه روّاد أدبنا السعودي الحديث في شبابهم، بعيداً عن الشعور بالكبر الطفولي الذي استحكم بمعظم أدبائنا الشباب اليوم، حين كان الأدب مدار الأحاديث في مجالسهم ومنتدياتهم مجرَّداً من الأغراض، فأدركوا أن في ازدهاره إنعاشاً للأمة وإصلاحاً لحالهَا، وأنه دعوة لمكارم الأخلاق[٦]

---

(١) شكري عياد، تجارب في الأدب والنقد، ص ٦٤.

(٢) عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، ص ٣١ ـ ٣٢.

(٣) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس ومنير بعلبكي، جـ ٣١/١.

(٤) أنور المعداوي، كلمات في الأدب، ص ١٦٨.

(٥) Encyclopedia Americana, 717, P 559.

(٦) عبد القدوس الأنصاري، بين العلم والأدب، أم القرى، العدد ٨٤٦، السنة الرابعة، ١٤ من المحرم سنة ١٣٦١هـ = ١٦ فبراير ١٩٤١م.

والعمران[1] رغم اقتصار البلد في زمانهم على مقومات النهضة الفكرية والبناء الحضاري، ولكنهم بالهمم الجبارة، والإصرار المصحوب بالإيمان ذللوا الصعاب واجتازوا العقبات، فتحققت طموحاتهم؛ لأنهم لم يستسلموا ومضوا محققين نصراً ثقافياً فتح أعيننا على معطياتٍ فعالةٍ، عندما التزموا بمنطلقاتٍ أساسيةٍ، مؤكدين أن النهضة الحقيقية لا سبيل لتحقيقها ما لم تتحدد ملامحنا فيها؛ لأن فيها البعث، لفكرٍ أصيلٍ لا يذله التقليد أو يهزه التيار الدخيل، وأن الأخذ من غير وعي سيقلل من شأننا، ويحجم عطاءنا، وأن الإنسان أولاً (ابن بيئته)، فمنها يتشكل دون رضوخ قد يسلبه التكيف، والاستسلام للتحديات.

من هؤلاء كان (عبد الوهاب آشي)، وهو ليس بحاجةٍ إلى تعريفٍ، فقد عرفته المحافل الأدبية ناثراً مشرق الأسلوب، صائب الفكرة، وشاعراً خلاّقاً تحفل قصائده بالخيال الجميل والعاطفة الصادقة، ولطالما صال وجال في بلاط صاحبة الجلالة، والكثيرون عرفوه مسؤولاً إنساناً، ولا يخفي متتبع الحركة الأدبية قبل خمسين عاماً أن الآشي كتب مقدمة أهم وأجرأ كتابٍ لأديب سعودي هو كتاب (خواطر مصرحة) للمرحوم محمد حسن عواد الذي عبَّر بصدقٍ من أعماقه ودفق شعوره، واستمع إلى ما يصيح بداخله في أن يعمل شيئاً لبلده وصالح أمَّته[2].

كما أنه لا يغيب عن كل أديب دور الآشي الفعّال في عالم الصحافة حين تولى رئاسة تحرير (صوت الحجاز)، جاعلاً منها منبراً حراً تحوَّل

(١) محمد حسن عواد، خواطر مصرحة، ص ٩٢.

(٢) العواد في آخر حديثٍ عن حياته، جريدة المولية، العدد ٤٨٨٥، ٢ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٠هـ = ٧ أبريل سنة ١٩٨٠، ص ١٢.

للحدَّة في تناول الموضوعات، فشعر بأن ذلك يخالف الأهداف المطلوبة لخدمة الأدب، فما كان منه رغم سني شبابه الدافقة بالعطاء والتصدي إلا أن استمع لصوت العقل والتزم الهدوء حتى لا تضيع الأعمال الأدبية في ضبابية تبعدها عن النفاذ إلى الأغوار، التي استهدفها في افتتاحيته لعددها الأول حين قال[1]: (أُنشئت هذه الجريدة لتكون رابطة أدبية بيننا نحن أبناء هذه البلاد، توحّد بين أفكارنا وميولنا وثقافتنا)، ولكنها عندما تحولت إلى ساحةٍ أدبيةٍ ثار عليها جدل عابث، فأمسك كتّابها بعضهم بخناق بعض، فنشب بينهم صراع بعيد عن الموضوعية والأهداف النبيلة، لم يتوان فقال منبِّهاً ومحذِّراً: (كأنهم يريدون القضاء على تلك الروح الأدبية في مهدها قبل أن تتخطى إلى بعض مناحي التقدم)[2].

وإذا كان الأستاذ الآشي قد احتد في أحيان قليلة؛ فذلك من منطلق غيرته على وطنه، وحبّه للثقافة؛ ولأنه كان شاباً والشباب لا يخلو من حدّه، فالأحوال قد تغيرت، والمجالات غدت أكثر رحابةً، وصارت الأبواب مشرعة، ولا بد أنه أدرك الفرق بين ماضٍ كانت ظروفه تحتّم اتخاذ إجراءاتٍ بحكم طفولة ثقافتنا، زالت بزوال المعوقات، فكتب ما كتب حرصاً على الأمانة العلمية، وتوضيحاً لمرحلةٍ من مراحل حياته الفكرية، التي أكسبتها السنون نضجاً وعمقاً وبعد نظر. إننا إذ نسجل شكرنا للأستاذ الآشي على تجاوبه، فلا يسعنا إلا أن نعترف بجميله من خلال أسواه للأدب في بلادنا؛ لأن نشاطه الأدبي كان متميزاً، أسهم إلى حدٍ كبيرٍ في ظهور نهضةٍ أدبية، وما زال رائداً من الرواد الذين أنعشوا

(١) صدر في ٤/ ٤ ١٩٣٤م، ص ١.

(٢) كلمة صريحة حول نهضتنا الأدبية، العدد ٩٦، ١٣٥٧/١١/١٥هـ = ١٩ ٢ ـ ١٩٣٤، ص ٣.

حياتنا الثقافية المعاصرة، ومهّدوا السبيل لظهور أجيال تأهلت بالاختصاص في فترات لاحقة، فكان نتاجهم مجالاً ثراً لموضوعات استحقت دراساتٍ جادةً، ساهمت إلى حدٍ كبيرٍ في تطوير مفهوم أجيال من الأدباء السعوديين.

عبد اللَّه الشهيل

مدير إدارة الثقافة بجمعية الثقافة والفنون ـ الرياض

١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م

تـوطئـة

بعد حمد الباري، والصلاة والسلام على النبي العربي، وعلى آله وصحبه وتابعيه:

فبين يدي أرباب الأدب، وذوي اليراع

أضع الجزء الثاني من[1] «**شوق وشوق**»:

وهو ما ارتأيت تدوينه من نظم سني الصبا واليفاع

ولن يجدوا فيه:

سوى أبيات دبجها الصبا بأحلامه

وصفحات وشاها قلم الصغير المبتدئ

جعلها ذكرى حاله الآن في مستقبله، وسلوى فؤاده وقت انتفاضة من مشاغله وهي وإن نتجت عن عقل كليل، ورأي فطير، وقريحة خامدة، ونفس خاملة:

غير أن الأديب لا بد أن يجد فيها بياناً حاكياً لضمير فتى شرع يخوض مُعترك الحياة، ونهض يباري النيِّرين، ويساجل الفرقدين بجهاده في المجتمع البشري.

قد لذعت بنار الهموم حواشيه، وعركته المصائب في أغراضه

(١) الجزء الأول في النثر.

ومراميه. يرتاح إلى سماعها، ويطمئن بالنظر فيها
هذه هي باكورة أعمالي
أقدمها. وهي الشقيقة لي في كل عيوبها.
وما كنت لأبرزها لولا علمي:
بأن الشعر لغة الشعور والوجدان، ولولا:
رغبتي في إظهار ما انطوت عليه نفسي:
من الخواطر، والأفكار، والنوازع، والآلام!
ولا أكتمكم. أني لم أتلقَّ الأدب عن أستاذ مخصوص
فألام إن لم أجد
وما أقدمني على حمل القلم، واقتحام حومة الشعر
إلا شدة تطلُّع النفس إلى التشبه بأهل الفضل، ورجال الكمال.
على أني مرتاح لما أرشد إليه من الإصلاح
وأما رأيي في الشعر:
فخيره ما كان مجلياً للحقائق.
وإن كان هناك خيال:
فإلى تصويرها، وتعظيمها في نفس السامع
وختاماً. فالحكم لأُولي الحكم
وأهدي هذا العمل إلى كل من يسجل الحقيقة ويناصرها...
وإلى كل من يسعى في سبيل الإصلاح جهد المستطاع.
وإلى من يبغض الجمود، ويكره النفاق، ويقلو المراء.
والله ولي التوفيق

أم القرى: ٨/٤/٤٤هـ **ابن حماد**

«كلمة في الشعر والشعراء»

يدرك الإنسان ولأول وهلة أن كلمة الشعر مشتقة من مادة «الشعور» وهو ـ أي الشعور ـ صفة كل حي، وغريزة كل ذي روح إنما يختلف قوة وضعفاً باختلاف تركيب العضلات والبنية الجسمانية، وكثافة الطبائع ورقَّتها، وقوة المؤثرات وضعفها. وعلى ذلك، فإذا لم يكن القول صادراً عن الشعور يفيد عن خلجاته، ويعرب عن تموجاته، ويكشف عن تأثره، ويبيِّن عن تصوُّره. فليس بشعر. وأيّ جملة؛ بل وأيّ نبرة صوتية يجد المرء فيها التكييف الشعوري، والتمثيل الوجداني ـ يعدُّ شعراً. وما الأوزان والقوافي والسجاع في القول إلا رنات موسيقية، ونغمات شجية لا علاقة لها بجوهر الشعر إلا في قيادة النفس وجذب العواطف إليه، وترويضها عليه. لتستجلي مغازيه وتستظهر مراميه. ولا ريب في أن النفس تعشق النغمة، وتنزع إلى الإيقاع. فهي أشبه شيء بالألوان في تنميق الرسوم والصور الرائعة.

وعلى هذا جرى أكثر الأدباء الحقيقيين في عصرنا ـ عصر التمحيص والتحقيق ـ وكذلك أنا أقول فالشعر أسمى من أن يتناوله من يريد أن يتلمظ بالألفاظ، ويتشدق في التعبير، ويعاظل في الكلام. دون أن يكون لنفسه فيه أثر، ولا لشعوره فيه بيان. كأنما يريد أن يرمي صخوراً أو

حجارة مزخرفة. لا تستميل نفس القارئ غير ما فيها ـ إن وجد ـ من التنسيق، وأحكام التزويق.

وأحر بهذا أن لا يعذب نفسه، وينهك قواه فيما ليس له إلى مرتقاه من طاقة، ولا له في معالجته يدان، أو يجنح استنطاق ضميره، ويكون كما يريده الأدب، لا كما يريد هو.

إذا كان من معنى الشعور اشتقاقه فما بعده للمرء إلاَّ جنونه[1]

وقد اختار الإنسان ـ من يوم ألقي على بساط الأرض ـ أن يكون الشعر منفث نفسه في حياته، ونجوى روحه بعد مماته، وديوان أعماله ومفاخره، وسجل بدائعه ونوادره. لا فرق بين الأعاجم والأعارب. إلا أن الأعارب كانوا أسبق إلى التغني به وخوض بحاره، كما أن لهم التجلية في مضماره.

الشعر ديوان العرب أيضاً وعنوان الأدب[2]
بزوا سواهم في القريض وأظهروا فيه العجب

وحقّ للإنسان أن يقدِّر الشعر، ويجعل له مقاماً عظيماً وشأناً خطيراً. فما هناك ما يسير سير الشمس، ويحدِّث الغد بحديث الأمس. يطير في الآفاق مع البرق، ويدوم ينبىء المستقبل بما جرى في الماضي على الخلق. يذكر الأخلاق بكوائن الأوائل، ويطرفهم بما للمتقدمين من عوائد وشمائل ـ كالشعر ببلاغته وفصاحته، ورونقه وطلاوته، ولله درّ الشافعي

(١) البيت لمعروف الرصافي أحد شعراء العراق المعاصرين وبعدّ من أعظم نوابغهم.

(٢) البيت الأول لأبي فراس الحمداني الشاعر الأمير ابن عم سيف الدولة بن حمدان، والثاني لصاحب الكلمة.

حيث يقول «الشعر كلام كالكلام. فحسنه كحسنه، وقبحه كقبيحه. وفضله على سائر الكلام أن سائر الناس يبقى على الزمان فينظر فيه». بل إنه عبرة لذوي الأبصار، وسلوى لمن ساورته الأفكار، ومرشد المتحيد السادر، ومهذب الطبائع والضمائر. كما أنه معلن عز القبائل ومجد العشائر. وفخر البوادي، وزينة الحواضر، ولسان الحق الذي يقهر الباطل، وداعي المكرمات والفضائل.

وإنه كما قال جبران روح مقدّسة تتجسد من ابتسار نجى القلب، أو تنهدة لترق من العين مدامعها. استباح مكمنها النفوس، وغذاؤها الأفئدة، ومشربها العواطف. وإن جاء الشعر على غير هذه الصور فنبذة أوفى.

وأما الشاعر فهو ذلك الذي تلاعبت بحبة فؤاده نسمات الصبابة، ولمست نفسه الطاهرة أيدي الحب النقي الخفية، وصهرت مهجته شواكس الأيام، وقذائف مراد العذال، وراح بين جحيم اليأس ونعيم الأمل. مرتكزاً على لسان ميزان المقادير. فإما هوت به إلى كفة الأول وهناك الحياة المرة، وإما نزلت به إلى كفة الثاني وهناك حياة الغبطة، فينضد على القرطاس زهرات الوجدان معطّرة بشذا الحكمة، ومطهَّرة بلذعات الهوى، وندية بقطرات الحب، ومؤلفة بسكرة الشباب. تتطلع نحوها المشاعر وتقف أمامها وقفة الإجلال، وتتوق إليها النفوس؛ وتقع لديها موقع الكرامة والاعتبار.

أو ذلك الذي رأى مشهداً ارتسم في أعماق ضميره، فملك عليه شعوره، واستهوى نهاه فكلّل المهرق بلآلئ الوصف متوخياً فيه الحقيقة مشوبة بخيال هو إكمال للفن. تشخص إليه العقول، وتنتبه لروائعها الحواس.

أو ذلك الذي ثئر في أقدس مقدس لديه، وهمز في صميم روحه همزة حركت شجوه، وأنارت نخوته. فاضطربت نفسه ومفاصله، وتشنجت عروقه وأطرافه. فأفاض على الصحيفة عقيان العواطف منظماً في خيط من الأسى؛ والامتعاض يحيط بالقلوب، أو متوهجة بنيران الحماسة؛ أو التضجر. تغلي الأحشاء، وتهيج كوامن الصدور.

الشاعر هو ذلك الذي يتلمس في مغاور النفس بأشعة بصيرته مسارب إلى الروح العالية التي لا تخضع إلا للواجب والفضيلة، ويرى بعين عينه في ظلمات كهوف الحياة أنوار الموت ولفظ اعتناق التراب دون الحرية والتمتع بها.

الشاعر هو ذلك الذي في أسلة لسانه هدوء وثورة، ونور وظلمة، واندفاع وتريُّث، وكوثر وسعير، وانقباض وانبساط، ووضوح وإبهام. لا توقفه حاله، ولا يعجزه انقلاب، ولا يصدمه تضارب المواقف. قد شحذت شفرتا يراعه على مشحذة مناجزة الأهواء، ومكافحة الأغراض، وإثابة الحسنى بالحسنى، والسوءى بالسوءى. حتى ينجلي قتام التزوير والتحكم.

الشاعر هو ذلك الذي يضع للبشر صورة أضوأ من الشمس، وأجهر من الماس، وأبهر من الربيع، وأروع من خرير المياه المنحدرة من تلل الجبال، وأرهب من غسق الليل، وأهول من الموت، وأوسع من الوجود، وأعلى من الحياة، تكون لهم مرآة تنظر فيها تنازع البقاء، وتقلّب القوى، وانكسار اليتيم، واندحار الضعيف، وتذلل الصعب، وعظمة الحبيب، وإمرة الجمال، وجبروت الباطل، وقوة الحق، وجلال الدهور، وتطاول بني الإنسان على عرش الرحمن!

الشاعر هو ذلك الذي يعلو إلى قبة الفلك بروحه، ثم ينحدر إلى عمق الكون، ويسبح بأجنحة فكره بين الزرقاء والغبراء. يتملى بمشاهدة الكون. وينعم بكشف حقائق الوجود ليحلّ وثائق الحيوانية عن الآدميين، ويفك أكبال أجسادهم المصدأة، ويطلق أرواحهم من سر العادات والدساتير الساحقة لتكتنه أسرار الأبدية الآتية، وما ضمتها من أقداس وجلالات لم تبصرها الأعين، ولم تسمعها الآذان، ولم تخطر على قلب بشر!

الشاعر هو من إذا أراد أن ينبّهنا من غفلتنا وغرورنا، ويزيح من أبصارنا غشاوة الترّهات بنور الحكمة لننظر إلى الحياة وأسوارها وغرائبها بألف عين. تلا علينا من قصائده أمثال تلك المرثية التي جاد بها البصير العظيم[١]، أو سرد علينا أبياتاً أمثال تلك المفردات الباهرات للشاعر الذي ينوه بها في قوله[٢].

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

وإذا أرادنا أن نشرف بنفوسنا على مواقف الغرام، أفاض علينا أمثال قصة مجنون ليلى[٣] ومقطعات صبري باشا، وولي الدين[٤] العذبة وأشباهها.

---

(١) هو الشاعر الفيلسوف الكبير أبو العلاء المعري.

(٢) هو الشاعر الحكيم أبو الطيب المتنبي.

(٣) هو قيس بن الملوح أحد الشعراء الغراميين المجيدين. يضرب بعشقه ونزاهته المثل. بلي بحب ليلى العامرية.

(٤) صبري باشا هو إسماعيل صبري باشا أحد الشعراء المعاصرين، ويلقب بأستاذ الشعراء بمصر. وولي الدين يكن هو الشاعر الحر والكاتب الألمعي معه وفي الطبقة الأولى من الكتاب والشعراء المعاصرين.

وإذا أراد أن يهيب بنا إلى الصحو المعنوي، والتلذذ بالخمرة الروحانية، والسكر بمدامة المحبة الخالدة. رتل علينا أمثال طرف ابن الفارض[١] وأضرابه.

وإذا أراد أن يندب لنا أمة وعشرة تضاغت[٢] من الجوع، أو التهمها سعر جشع[٣] المبتدين وأطماعهم الذاتية السافلة. أو سحقتها الحرب بأقدامها الجهنمية، أو شاءت المقادر أن تصير فنية. بتساومها تجار الاستعمار على أيدي رجالها الجاري البسطاء. أفصحنا وأروى غليلنا بنغمات حماسية تثير شجوناً، وتغلي مراجل حميتنا ونخوتنا نضارع نغمة النعيمي[٤] في قصيدته (أخي!)، ونفثة شاعر الرصافة[٥] في وطنياته، وحافظ[٦] في اجتماعياته، أو قصيدة الشاعر الحر[٧] الذي يقول في مطلعها:

ديار الحمى حيث القنا والصوارم تحييك من عيني الدموع السواجم

وإذا أراد أن يسخر ويتألم من مجريات أبناء آدم، وكيف يلبسون الباطل ثوب الحقّ، أسمعنا أمثال قول من يدعونه ممترداً[٨] في مقطوعته.

والدين في الناس حقل ليس يزرعه إلا الألى لهم في زرعه وطر

---

(١) من الشعراء الصوفيين المبدعين.
(٢) ولو جعت وصاحت من الجوع.
(٣) سعرها سعير: لهب النار. الجشع: شدة الحرص والطمع.
(٤) هو الكاتب الخبير والنقادة البصير أحد شعراء سوريا بالمهجر ميخائيل نعيمة.
(٥) معروف الرصافي.
(٦) هو شاعر وادي النيل محمد حافظ إبراهيم.
(٧) ولي الدين يكن..
(٨) هو الشاعر الناثر المصور أبرع كتاب العربية خيالاً صاحب الطريقة الحديثة جبران خليل جبران.

وفي مقطوعة:

والعدل في الأرض يبكي الجن لو سمعوا به ويستضحك الأموات لو نظروا

أو كقول القائل[1]:

حمق الألى يحكمون الناس يضحكني وسوء فعلهم في الناس يبكيني
ما الذئب قد عاث بين الضأن أفتك من هذي الولاة بهاتيك المساكين

فكلُّ من كان على شاكلة هؤلاء، ونحا نحوهم. هم الشعراء الذين يحفظ الزمان لهم مكانتهم، ويقدِّرهم التاريخ حقّ قدرهم، وتجلّهم الحياة بمقدار ما رحبوا لها صدورهم، وشرحوا للناس خفايا أسرارها، ونشروا طوايا رموزها.

أولئك من تتغنّى الأجيال بألحان قصائدهم العلوية. وتترنم الدهور والكائنات بترنيمات أقلامهم الروحانية، وتتفتح براعم النفوس لنفحات ضمائرهم الذكية، كما تتناقل طرائف آدابهم الأبناء عن الآباء، وتتوارث محاسن كلمهم الأخلاف عن الأسلاف.

أولئك من نودّ أن لا تخمد شعلة ذكائهم، وأن يبارك الله لنا فيهم. لنتغدى بثمار قرائحهم، ونتمتع بجَنْي مجهودهم.

وما يؤيد ما ذهبنا إليه. ما نشاهده في مقدار ما حفظ لنا، وبقي مرموقاً بعين التجلة، من أشعار الغابرين، وأقوال السالفين. فإن لنشأة بني آدم على وجه البسيطة ما ينوف عن ستة آلاف سنة نتجت من الشعراء ما

(١) هو السيد توفيق البكري نقيب الأشراف وشيخ المشايخ الصوفية بمصر وأحد شعرائها المجيدين.

لا يعلم عددهم إلا الله. قالوا من الشعر ما لو كتب ودوِّن لملأ الملايين من المجلّدات. ولكن لم يصل إلى يدنا إلا مقدار زهيد لا يبلغ عشر معشار ما قيل في تلك الأزمنة على اختلاف عصورها. ولم يعن التاريخ إلا بما كان صادراً عن نفس لقائله يدرك القارئ الجيد ـ أنها حساسة!، ومملى عن شعور للناطق به لا يشك المتصفح البصير أنه كيفية من كيفيات ذلك الشعور الحيّ! وحرص عليه حرص الشحيح على درهمه. يعرضه لأولي البصيرة عيِّنة للبديع المذخور، ومثالاً للجميل المنظور.

وأما ما كان عبارة عن تأليف؛ وترتيب، وترصيف؛ وتبويب. فقد قبر بالرمس الذي دفن فيه ربه، وعاد هباء بعد مثال، وأصبح أثراً بعد عين!..

هذه كلمة في «الشعر والشعراء» أضعها مقدمة لديواني ـ إن صح أن يكون لي ديوان ـ فإني أعلم علم اليقين أن ليس فيه ما تنطبق عليه.

ولست أعد به إلا هاذياً مهذاراً. غير أن رجائي في المستقبل شجعني وجعلني أقدِّم هذا الغثَّ كمبشِّر لما سيأتي ـ إن شاء الله ـ بعده من الناضج الثمين.

وما هذه الكلمة في الحقيقة إلا صورة لمنتحلي الأدب تدلّهم على المنهاج القديم، وتوضح ما يجب عليهم اتباعه حتى لا تزل بهم إلى الحضيض قدمهم.

الشعر صعب وطويل سلّمه ... إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلّت به إلى الحضيض قدمه ... يريد أن يعربه فيعجمه

والله الموفق إلى خير السبيل

ابن حماد

تقسيم الديوان:

قد تراءى لي أن أقسم الديوان ثلاثة أقسام:

[**القسم الأول**] يحتوي على مختارات القصائد التي نظمت في عام ٤٠ و ٤١ و ٤٢ حينما كان شعري طفلاً يتدرج في مهد البساطة، ويسير على سنن المحاكاة طبق سنة النشء والارتقاء. ولولا ما في النفس من رغبة المقارنة بين منشآت الطفولة والكهولة لما كنت أثبت واحتفظت بمنظومات هذه السنوات الثلاث ـ لعلمي واعتقادي أنها ليست مما يحسن أن يدخر، ويعرض.

[**القسم الثاني**] يحتوي على «المشطرات»، والمخمسات، والمقطعات، والمشجرات»[1] التي نظمت باقتراح المقترحين في أغراض متنوعة أغلبها غزل ونسيب مرتّبة بحسب تواريخ نظمها حتى الساعة. ولقد اتبعت في أكثرها رغبات أغلب الطبقات من أهل هذه البلاد. فكانت ديباجة كثير منها أشبه بديباجة (الزجل: الشعر العامي).

[**القسم الثالث**] وفيه تتمثل روحي، ويتكيف شعوري. حيث لم أضع فيه إلا ما نظمته من القصائد في عام ٤٣ وما وليه ـ وقد أخذت النفس بعض رشدها، وبلغ العقل مبتدأ أشده وما نطقت إلا عن معنى جاش به

(١) المشجرات أو المطرزات: هي قصائد تنظم على عدد حروف اسم الممدوح أو المحبوب يبتدئ أول بيت من القصيدة بأول حرف من اسمه وأول البيت الثاني بالحرف الثاني وهلم جرّا. ولا أراه شائعاً إلا عندنا في الحجاز.

الضمير، ومغزى توخّاه الوجدان، وشعر به القلب، وتطلبته الحال. وإن كان هناك بعض مقترحات. فهي قد صادفت هوى في النفس. فكانت كالذي أدركه وتصوره الحسّ. على أني ما زلت في شعري إلى الآن تابعاً لا مبتدئاً. لأني لم أصل بعد إلى درجة الابتكار المحض، ومارست عهد القصور؛ والعجز، وما زلت طفلاً في دور التدرج والعروج.

فإلى ذوي الأدب، وأهل الفن معذرتي في الإخلال، والقعود عن مرتبة الكمال (الا أن الكمال لله وحده). وعليه اعتمدت وهو حسبي ونعم الوكيل.

٩/٤/٤٤هـ **ابن حماد**

القسم الأول

القصائد

«كيف أدافع جَيش القدر؟!»

كان أول علاجي للشعر في السابعة عشر من عمري على غير علم بأوزانه وفنونه. اللَّهم إلا ذوق منحنيه الله أدرك به ارتباك الوزن واضطراب تفاعيله. وأتذوق به فاسد الكلام من صحيحه وحسن المعنى من قبيحه. وكنت بادئ بدء لا أميل إليه حتى أنطقتني به بواعث قاهرة، ونوازع جائرة. فما لبثت أن تعشقته وصبت نفسي إليه. فأسلست لها القياد وتبعتها في المراد وصرت أقتني دواوين الشعراء، أو أتصفح أشعار البلغاء. فأتيت بما ترونه في هذا الديوان الصغير:

وإن هذه الأبيات النافرة التي بالقصيدة أدناه من أوائل ما نظمت، وما أثبتها وكل ما نظم في سنة ٤١، ٤٢، إلا رغبة ـ كما قلت سابقاً ـ في المقارنة بين شعر الطفولة وشعر الكهولة. وهناك تظهر الحقيقة فمعذرة.

ربيب ذكاء شقيق القمر ... الا عطفة منك تمحو الكدر
أدر لحظاتك نحوي لكي ... أرى بعض سعدي بذاك النظر
إلام أدوم شقياً إلى؟! ... وحتّام هذا الجفا والخفر؟!
قضيت خريفي طريحاً على ... فراشي أسامر نجم السمر
أفي شرعة الحق أن يستوي ... ربيعي بذاك الخريف الأمر؟!
كذا قد قضى اللَّه أن اصطلى ... فكيف أدافع جَيش القدر؟!

ألا إن لـي فـيـك كـل الـحـيـاة فـجـد بـالـوصـال لـعـلـي أُسـرْ
وإنـي لـديـك رهـيـن فـمـر تـجـدنـي لأمـرك طـوعـاً أبـر
حـويـت مـن الـخُـلـق الـمـجـتـبي جـلـيـل صـفـات تـفـوق الـدرر
ولـكـنـنـي كـلـمـا أبـتـغـي لـديـك وصـالاً وأرجـو الـظـفـر
أرى مـنـك وعـداً ولـكـن مـتـى أرى ذلـك الـوعـد يـبـدي الـثـمـر
فـمـا أشـبـه الـوعـد بـالـبـرق يـبـ ـدو مـنـك ويـخـفـي عـديـم الأثـر

٤٠/٣/٢٩هـ

[إني كريم النفس حر!]

«عش كريماً أو مت كريماً» أسماء بنت أبي بكر:

شعوري وإحساسي في صباي يتجليان في هذه القصيدة البسيطة. وإن هي إلا منطق الضمير وترجمان الوجدان في ذلك الأوان.

سئمت العيش مع قوم جناة ... وفضلت الممات على الحياة
فإن الموت أنفس كل شيء ... لدى قرم تحلى بالعظات
وإن الموت راحة كل شخص ... تطالبه الليالي بالترات
فيا نفسي كفاك القبر مثوى ... لتخلي من شرور ذوي الأناة
فلم أجد السعادة قط رهناً ... لغير ذوي الإباء على القذاة
وإن القبر دار العز حقاً ... كذا قد قال لي نطس الأساة
فكم عام قضيت حليف جد ... حليف تقى حليف المرهفات
حليف الصبر في درء العوادي ... بحد الحزم ألقى النائبات
ولكني وجدت الناس صنفاً ... يجاهر بالخبائث جهر عاتٍ
وآخر في اعتزال واغترار ... لما تزجي إليه من الهبات
علام رضاي بالأثواء فيهم ... وقد وصموا بخبث في الصفات؟!
يؤاخون الخمول بكل نفس ... تردت ثوب أدران الهنات

قضيت العمر سبعاً بعد عشر ولم أربأ بذكر الغانيات
فما لي والتصابي في أوان تقيد فيه أعمال الحياة
ويتبعه مشيب أجتويه، يذكرني عذاب الطاغيات
ألا إني كريم النفس حر أتوق إلى فعال المكرمات
ونفسي اليوم تصبو للمعالي وتلقى فيه صم الحادثات
لتحيا بعد في عز وسعد وللفجار يوم ذو قناة

٤٠/٤/٢هـ

[على أطلال القديم][1]

ـ لا الشمس ولا البدر ـ

تجلت قفار البدر بعد جلال ... ودلت فأصمت صبها بدلال
وجاءت تأطر في غلالة حسنها ... وترسل سهميها بكل مجال
فلما جلت عن وجهها وتكشفت ... وحيّت وأبدت عن جميل خصال
تهللت من بشر وقمت أجلّها ... وخلت كأني نلت كل منال
وقلت وقد حاك الخلي ملامة ... وأرسلها نحوي كصرد نبال
ترفق بنفسي لست تعرف منيتي ... وتجهل من في حبها إذلالي
فتالله ما الشمس المنيرة تنجلي ... صباحاً وتفشي رحبها المتلالي
بأحسن منها حين تبدو مطلة ... على رحبنا نسعى لخير مآلي
ولا البدر بدر حين تسفر وجهها ... وترنو إلينا عن رضا ووصال
وإني ـ وحق الحب ـ لست بسامع ... مقالك فاحذر من سهام مقالي
تود سلوى عن هواها وترتجي ... رجوت محالاً فارجعن بوبال

(١) هذه القصيدة كتب بها الشاعر الناثر «ابن حمام» أحد فتيان الحجاز المتأدبين. وقد قلدت الماضين في استهلاك فقدهم بالنسب، وضربت فيها على وترهم أيضاً. ومن العنوان تفهم!

وكـف قـلـيـلاً عـن مـلامـك واتـئـد فما العذل مُجدٍ في صفاء خلالي
وتـالله يـا مُـفـري الـفـؤاد بـلـومـه تـأصـل حـبـي فـاتـركـن جـدالـي

ومنها تزكية للأديب «ابن حمام»:

كـريـم نـجـار قـام يـسـعـى بـهـمـة لـيـرجـع مـجـد الـشـعـر غـب زوال
أرانـا تـصـاويـر «ابـن هـانـئ» ركـبـت بـمـصـقـول ألـفـاظ كـحـب لآل[1]

ومنها:

فـمـا لـلـقـوافـي سـاكـن خـدرهـا وآخـذ مـنـبـعـيـهـا بـكـل مـجـال
ومـا لـلـمـعـالي غـير منـصـلـت القـنـا مـنـيـع الـحـمـى قـد راض كـل نـزال
فـلا زال يـسـقـيـنـا بـحـد يـراعـه كـؤوس رحـيـق الـقـول دون كـلال

٤٠/٧/٥هـ

(١) ابن هانئ: هو الشاعر المجوني الشهير أشعر المحدثين بعد بشار الحسن بن هاني المكنى بأبي نواس.

[موازنة قصيدة «يا ليل الصبّ»[1]]

مضناك البين يسهده ... والسقم جفاك يجدده
وقلاك يفتته كمداً ... وكذاك الجور يعربده
يا من أضنى قلبي فغداً ... الوصل مناه ومقصده
وغداة الوصل يؤملها ... فمتى ذا الوصل فيسعده
«أقريب من دنف غده؟!» ... أم يوم المحشر موعده!
فلئن أنكرت ضنى قلبي ... فاسأل ليلي هل أرقده!
ولئن أنكرت ضنى جسمي ... فالطرف بجسمك أشهده
فهواك الليل يؤرقني ... فأراقب فجري أرصده
قد أصبح مسكنه جسمي ... وفؤادي أبداً مغمده
ما إن هاجرت إلى بلدٍ ... فالوجد لدارك يرشده
والروض تأوّه من شجني ... وصداه يقوم يردده
والطير جواي يعلمه ... شعري فيروح وينشده
يا من في الحسن أتى فرداً ... «آمنت بأنك أوحده»

(١) قصيدة يا ليل الصب: هي قصيدة بليغة مشهورة نظمها الشاعر الضرير أبو الحسن الحُصري القيرواني وعارضها كثير من المتقدمين والمتأخرين.

فـالـورد بـخـدك قـد أضـحـى فـوق الـبـلـور مـنـضـده
كـم قـد أصـمـيـت بـلـحـظـك يـا، مـلـك الآرام، وتـجـحـده
مـولاي وأنـت مـلـكـت فـؤا دي، ومـا لـي غـيـرك يـنـجـده
ارحـم عـبـداً بـهـواك غـدا صـبـاً يـغـريـه تـنـهـده
وأسـعـد بـحـيـاتـك مـن قـرحـت عـيـنـاه، وبـت تـهـددده
قـلـبـي كـلـف، جـسـمـي دنـف والـجـنـب جـفـاه مـرقـده
هـا «شـوقـي» فـيـك يـضـاعـفـنـي ألـمـاً، والـصـبـر يـؤكـده
«صـبـري» مـا كـان يـظـن بـأن.. ن الـوصـل يـطـول تـمـرده
«وولـي الـديـن» قـضـى عـلـنـا فـي الـحـب، ولـسـت أفـنـده
الـحـب مـهـذب كـل فـتـى فـالـواجـب أنّـا نـعـبـده
يـا «حـافـظ» ودي هـاشـكـوى ذا الـصـب تـقـدمـهـا يـده

٤٠/٧/٧هـ

[ما زهرتي إلا لآت بمهرها]

وخمصانة ماست بدل بخصرها ... وصادت فؤادي فاكتويت بهجرها
وورد الجنان الغض أزهر يانعاً ... على خدها، والنهد زان بصدرها
وقلت لها جودي علي بقبلة ... فقالت: أما تخشى مكايد سحرها؟!
فقلت: بنفسي أفتديك فمنيتي ... مراشف فيك ثم سكرى بخمرها
وتقبيل ورد الخد غاية مأملي ... ولا أبتغي إلا اغتباق عصيرها
فقالت: لقد منيت نفسي بالمنى ... وهيهات أني أصطفيك لزهرها
وهيهات تحظى بالمنى دون خبرة ... فما زهرتي إلا لآت بمهرها
فما هو المهر أيها الأدباء الكرام؟!

٤٠/٧/٨هـ

[رحماك ربي]

أفـي كـل يـوم أرى شـادنـاً يـطـالـب روحـي بـغـيـر ثـمـن
وتـقـتـادنـي لـلـردى ظـبـيـة تـريـني اللظى في نـعـيـم السكن
فـيـا رب رحـمـاً بـعـبـد قـضـى، لـيـالـيـه فـي عـذاب الـشـجـن
ألا إنـنـي لـم أجـد مـرتـجـى سـواك وإنـي شـديـد الـوهـن
فـكـن لـي الـمـعـونـة رب إذا أغـارت عـلـى جـنـود الـفـتـن

٤٠/٨/٢هـ

«دمعة على الوطن»

رأيت في بعض كتب «جبران خليل جبران» شعراً لمجرمي الروس يسخطون فيه على وطنهم. فما وسعني إلا أن أضرب على وترهم. فإنني مجرم في نظر مواطني وطني، وختمت القصيدة بعضاً من أبياته:

«ما عدت يا وطني تراني باكياً» إن رحت عنك وصرت كالأيتام
«أبكي وسمعك غائب عني فيا حزني وطول تعذبي وهيامي»
أمسيت ترهقني العذاب ولم أزل أسعى لنفعك سعية المقدام
أواه إني لا أطيق تغرباً، فالبعد عنك يجيء بالآلام
ولئن أطلت تعذبي، فعلى المدى أرجي إليك تولهي وسلامي
اللَّه فيك وفي بنيك أولي النهي لكنهم ألفوا الخنوع الطامي
ليت المنادي حين يصرخ فيهم يلقى جواباً غير طول ملام
كم ذا أكابد في صلاح نفوسهم حتى أراني باحثاً لحمامي،
وأذود عنهم كل شركي بهم ترقى بلادي منبع الإسلام
لكنني ضيعت عمري خائباً ورجعت أندب ماضي الأيام

٤١/٦/٤هـ

«أبلغوه سلاميا!»

ألا ما لهذا الظبي يعرض نائياً ... وينفر عني منعة وتحاشيا؟!
سلوه: أيرجو أن يراني معذباً ... يناوئني الهجران منه تقاسيا!
وألا أصاخ السمع منه لعاذل ... أتى بسقيم القول يبغي التلاهيا!
سلوه سلوه عن ودادي وصدقه ... أيرفضه من بعد أن كنت وافيا!
أيسلو؟! وقلبي فيه أضحى مدلهاً ... يسامر نجم القطب مصلاد باكيا
أيعرض لا يلوي عليه ترحماً ... وكان له نحو الصبابة داعيا
فمن فرط وجدي واشتعال نياره ... قطعت من الأرض العسير فيافيا
رجاء التقائي بالظباء، وسربها ... عسى رقة منها تكون شفائيا
وأسمعها حيناً أحاديث صبوتي ... لأطفئ غلّي أو يخف مصابيا
ألا أيها العذال كفوا فقد كفى ... وما عذلكم إلا مزيداً تصابيا!
دعوني دعوني باكياً ومولولاً ... لأندب حظي والليالي البواقيا
فيا ويل نفسي من جواها وما جنت ... عيوني إذا كانت ترود المغانيا
إلى ملك الآرام ـ والحب قاتل ـ ... «بسطت رجائي بعد بسط شكاتيا»
فوالله ما عن حبه لي مزحل ... «فإما بوصل بيننا أو فنائيا»
وبالله يا صحبي إذا ما شهدتم ... أقول سعودي فابلغوه سلاميا

ورفقاً به لا تزعجوه بمشهدي وإياكم أن تخبروه بحاليا!..
فإني أسير في يديه وقد غدا يقيني حتى لو أباح ذماريا
ولست ـ سوى الأفراح أرجو نعمه ليبقى قريراً ـ ابتغيه لنفسيا
عسى بعد حين يرعوي عن جفائه فيحييني بالوصل منه تساخيا!
فما أعذب الوصل الذي يعقب القلا فبعد الدجى تحلو لذاك شؤونيا

٤٢/١/٢٩هـ

«تزكية وتودد»

جواب مرفوع إلى الأديب اللوذعي، أو الشاعر الألمعي فقيد الشعر والأدب. الأستاذ «محمد صلاحي» رحمه الله.

أراني وحيداً لا نصير يساعد ... ولا زمناً ترجى لديه الموارد
تغالبني الأهواء والصبر خائني ... وفي النفس آمال عفتها المكايد
كذاك قنوطي قد أحاط بجوهري ... وأحبط سعيي حين كنت أجاهد
تصيد فؤادي كل آن تقده، ... من الغيظ والذل المميت مصائد
فأذهب أسري الليل أجمع طالباً ... لهمي أساة، والعيون هواجد
فلولا خدين غاثني اللَّه منجداً ... به لطوتني من قديم، وواعد
طوارئ أصمت كل حر مجاهد ... فباللَّه لي كم يضام المجاهد
ففي ذمة التاريخ ما قد لقيته ... من الدهر والإغرار واللَّه شاهد
رعى اللَّه ذاك الشهم في حومة الردى ... يعاضدني والخدن للخدن ساعد
وما قط أولاني إساءة محسن، ... إذا ما تزل نفسي عليه تكايد
سل الناس: هل خابت لديه طلابهم ... وهل رد عن نعماه مثن وحاسد!
إذا المجد نادى يا أنام ألا أقدموا ... ترى الناس أتباعاً له، وهو قائد
ويبذل في نيل المعالي نفيسه ... إذا ما تبارت في المعالي الأماجد

ومنها في وصف قلمه:

فـواهـمـة مـنـه إذا قـام نـاصـراً ... ووا قـلـمـاً تـجـثـو لـديـه الـفـراقـد
تـــراه إذا أجـــراه أرقـــم لاذعـــاً ... مجديه يصلي الدهر وهو معاند
ويكشف أسرار المعاني إذا التوت ... وتسعى إليه للصفاء الشرائد
ويبدع في سبك الكلام كأنه ... أنامل خود والكلام فرائد
ويأتي بأبكار المعاني كواكباً ... بها في سماء الشعر تزهو القصائد
عجائب من شهد وخمر وسلسل ... تتيه بفحواها الحسان الخرائد
فما الذهب المسبوك في أعين الملا ... ولا اللؤلؤ الأصفى جلته الولائد
بأروع من نظم كروض أزاهر ... ينسقه ذوق سليم مساعد

١/٢/٤٢هـ

[تزكية وتودد وعتاب]

رفعت إلى الصديق الفاضل والأديب الكامل الأستاذ «ع. عثمان» نزيل بومباي حالياً.

لئن صدعني فلا عجب ... فبومباي للعقل تختلب
برونقها، وبهجتها ... وحسن مناظرها تجذب
تزين شوارعها الكهربا ... وبأدوارها الصور الخلب
وسرب الغواني يمسن بها ... فتلك تتيه وذي تلعب
وجوه صباح تريك إذا ... نظرت بدوراً لها نقب
بطرف خفي كعين المها ... يشرن فيصرعن من يرقب
ويوترن ليث الشرى ختلة ... بسهم لحاظ هي القضب
يدرن عليه كؤوس الخمو ... ر تناثر في وجهها الحبب
فنذهب نفتش عن لبه ... أيصحو وإلا أبى يثب؟!
خليلي ما لي بهن سوى ... أرى ذكرهن بنا يتعب
فدع عنك ذكر محاسنهن ... لها الغمر يدنو وينسحب
وهذي أحاديث أشواقنا ... لمن بان عنا عسى نطرب
ألا اتل علينا له صفحة ... من القول نسقها الأدب

فإن ولوعي به قاتلي ... وحجرته في الحشا تلهب
وإن بواهر آداب . . ... لدينا قديماً هي المطلب
وإن محاسنه عندنا ... فما ثم يحجبها الريب
وأوصافه الغر مشرقة ... لديها الغزالة تحتجب
إذا ما ثويت بمثوى ترى ... له يدبر، ولا عجب!
فقد ورث الفضل عن أصله ... وقالت بذا الناس والكتب
وهذي المفاخر تنبيك عن ... فعالٍ له أسفرت تنجب
وهذي النفوس تشيد له ... معاهد للذكر ترتقب
فحيا الإله شهامته ... ودام له المنزل الخصب
عسى أن يجود على صبه ... بآية عطف هي الأرب
فقد مضه ألم الابتعا ... د ومر الجفاء أتى يعقب
وما كان يعهده سالباً ... سوى أنه الرجل الأحدب
ولم يدر ماذا جنى غير أنـ ... ـه مخلص في الهوى ينصبب
وما مبتغاه سوى عطفه ... وليس له غير ذا مأرب
فإن كان هذا يرى عنده ... خطاءاً ووصماً، فذا مذهب!
ولكنه سوف يبقى على ... خطاياه ما دامت الحقب
وإلا يوافيه ما سطرت ... أنامله آية تحدب
فيبقى له شاكراً أبداً ... وهيهات يوفي بما يجب!

٤٢/٢/٣هـ

[دعنا من الأنس]

دعيت للتفسح والتنزه خارج البلاد في أواخر الصيف كما هي العادة الجارية. وكنت آنذاك مكمود الخاطر متألم الضمير من أحوال الوطن ورجاله، فقلت على البديهة:

دعنا من الإنس خل الأنس يرتحل ... ما لي وللأنس قد حاقت بنا القيل
الأنس يجمل إن طابت مواطننا ... من كل غم، وطاب القلب والنزل
آه خليلي لو أن الدهر أنصفني ... ما كنت أخذل والأبطال تقتتل
لا تعذلني فإني مغرم بعل ... أفديه نفسي، فقد يكفيني العذل
كنا وكانت جميع الناس ترمقنا ... بالعز والعجب، فاسأل هل لنا مثل!
منا الملوك ومنا الناصرون إذا ... ما ناب قوماً دواه ما لها قبل
واليوم عدنا ولا علم ولا نشب ... نخطو به لا ولا جاه ولا طلل
بادت ممالكنا والعسف أنهكنا ... بين المظالم والإرهاق نشتغل
بالذل قادتنا والروع قد وسموا ... بل لم يهبوا ونار الظلم تشتعل!
هذي الخلال أضاعت مأملي وبرت ... قلبي ونفسي، ودمعي صيب هطل
صبراً يقولون إن الضيق منفرج ... تتلو الشدائد أفراح هي الأمل
نعم المقال، ولكن عز مصطبر ... أنى نرى العز قد ضاقت بنا الحيل!

يا قوم هبوا سراعاً نحو ملحمة نكسى بها ثوب أكبار كفى الجدل!
لا تضجروا وأقيموا صدر منجرد قيد الأوابد، لا يبليكم المذل
المذل أفتك داء المرء ليس له برء، كذلك داء الجهل يعتقل
بين الأماني وبين الفوز مهمهة حفت بكره وأرزاء لها أجل
تلك المصاعب إن قامت لها نجب تنزاح تالله لا يغشاكم الوجل
سيروا بعزمكم خوضوا بحرفكم بالاتحاد ينال الطلب والأمل

٤٢/٢/٢٩هـ

«منظر الصب المهجور»

فتى شحبت ملامحه وفاضت مدامعه وكوفح بالصدود
تراه كريشة بمهب ريح يروع قلبه هز القدود

«تخميس . الأصل لشاعر النيل حافظ إبراهيم»

أمتي دوماً أراك محبساً ليراع الحر مأوى البؤسا
لا تلوميني إذا القلب قسا «أنا في هم ويأس وأسى»

«حاضر اللوعة موصول الأنين»

قلمي من حين ما صاحبته صائل، من أجل ذا واريته
هو مثلي هائج داريته «مستهين بالذي لاقيته»

«وهو لا يدري بماذا يستهين»

وله عندي أياد جمة.. ومقال سطرت مشكورة
أحيت الأفكار منه نفحة «سور عندي له مكتوبة..»

«وَدَّلَوْ يسري بها الروح الأمين»

تلك آيات الرقيّ والعلا أبرزتها من قديم للملا..
قوة الأحرار أخفيها، ولا[1].. أنني لا آمن الرسل ولا»

«آمن الكتب على ما تحتوين»

١٥/٣/٤٢هـ

(١) أي لا أظهرها، فإن يد الاستبداد قد كمت الأفواه وحطمت الأقلام ووكالة المعارف قررت نهائياً منع ورود الكتب الأدبية والروائية.. خصوصاً ما نسب للإمام الأستاذ محمد عبده وأتباعه. اهـ. الناظم.

[مفـــــرد]

عـيـونـك والـغـرام ومـا هـواه سـهـام والـقـضـاء ومـا طـواه

«تخميس، والأصل للشاعر اللبناني داود عمون»

شـد مـا ألـقـاه مـن شـجـنـي يـا أهـيـل الـود فـي ظـعـنـي
كـلـمـا أعـرضـت عـن وطـنـي «هـاج أشـواقـي إلـى الـدمـن»

«طائر غنى على فنن»

كـلـمـا نـلـقـاه يـلـحـظـنـا، يـتـغـنـى بـاكـيـاً حـزنـا
قـلـت نـح يـا طـيـر وارث لـنـا «إيـه يـا قـمـري إن بـنـا»

«فوق ما يبكيك من شجن»

زاد مـنـي الـوجـد والـقـلـق ونـمـا فـي قـلـبـي الـفـرق
فـطـرت جـسـمـانـي الـحـرق «ولـو أن الـدمـع مـنـطـلـق»

«الهمي كالعارض الهتن»

فـمـعـي الـقـانـي وأكـؤسـه حـار فـي الأجـفـان أنـفـسـه
لا تـخـل قـد عـز مـلـمـسـه «إنـمـا بـالـرغـم أحـبـسـه»

«خشية التلوام واللسن»

أنت يا قمري في خطل من بكاك المر في القلل
أنت في أمن من الغيل «حبذا المصطاف في جبل»

«ينطح الجوزاء بالفتن»

أنا أما كنت في نعم غير أن القلب في ضرم
من هوى مثوى أولي الشمم «موئل الأحرار من قدم»

«وأباة الضيم من زمن»

١٥/٣/٤٢هـ

[اليأس مع الحياة]

وليل أناخ الهم فيه بساحتي ... وباعد ما بيني وبين منامي
قد اسود فوداه فلا الأفق ظاهر ... لعيني، ولا غير الظلام أمامي
وخلت جناحيه سدولاً تصبغت ... بنفس قد امتدت على الآكام
أرى الريح في عصف كأن فؤاده ... عميد تولاه طويل هيام
جعلت أجوب الأرض فيه تطلبا ... لتشتيت ما عندي من الأوهام
ظللت أجد السير حتى كأنني ... شقي أضلتني قوى الحكام
فتصدمني حين الركوض حجارة ... تصدع لحمي أو ترض عظامي
فما كدت أنجو من لجاج بلية ... تولت، وهذا الضوء جل مرامي
وأبت إلى داري وما كدت آيباً ... بعقل وهىٰ من علة وضرام
وأفلت الا واعتقبت بشدة ... وفوجئت بالأوغاد والأسقام
فحتى متى يمتد بؤسي وشقوتي؟! ... فيا رب عجل وأرسلن حمامي!
وإلا فعيش أجتلي فيه فرحتي ... وأحظى بأعلى منزل ومقام

١/٤/٤٢هـ

[يوم الوداع]

لا عدت لا عدت يا يوم الذي نزفت فيك العيون دموعاً كلها درر
صدعت شمل قلوب طالما جلدت عند المصائب لا يلغى لها خضر
أودعت جسمي نيراناً مؤججة أصليت قلبي سعيراً كله شرر
اللَّه فيك وفي أرزائك انتصرت قل لي: فكيف تلاقي جيشها الغرر؟
أن المصاليت لما شاهدوا ورأوا هول الفراق بكوا حتى انطفى البصر!

«جواب مألكة» إلى الأخ الكريم ع. عثمان

حبذا طرس أتاني مهلاً من صديق خير من في ذا الملا
حبذا إذ جاء منه مرسلاً ليقيل الصب من نار القلى

* * *

حبذا الطرس العجيب الزاهر يحتويه كل معنى باهر
قد أتاني والفؤاد الطاهر في اشتياق وولوع ظاهرٍ

* * *

فيه من آيات حبر ماجد من فعال الخير خير قائد

قـد أحـارت عـقـل كـل رائـد فـي مـعـانـي الـشـعـر كـالـخـرائـد

* * *

كـالـدراري فـي نـحـور الـفـتـيـات تـأسـر الـلـب كـأسـر الـغـانـيـات
قـد نـظـن حـيـنـمـا تـتـلـى عـظـات أو تـجـلـت لـك آي الـمـرسـلات!

* * *

إنـهـا أحـيـت شـعـوري بـعـدمـا خـمـدت جـذوتـه مـن الـشـقـاق[1]
وأثـارت فـي ضـمـيـري مـثـلـمـا يـلـمـع الـبـرق جـوى ذكـرى الـفـراق

* * *

هـذه الآيـات لـولا أنـهـا نـسـقـتـهـا أيـد خـدن بـالـثـراء
إدعـيـت أنـهـا مـن حـسـنـهـا صـفـحـة مـرسـلـة مـن الـسـمـاء

٩/٤/٤٢هـ

(١) من شقاق الشرقيين ونزاعهم الأمر الذي يرقص له الغرب ويطرب. فمتى ينتبه الشرق وينهض.

[نفثة من الهوى]

أحمامة الوادي لشجوي فاسجعي ... سكن الهوى في قلبي المتوجع
حومي على دور الأحبة حومة ... وصفي لهم تهيام صب مولع
مازال يشكو في الغرام مذلة ... تركته يضرع بانطلاق الأدمع
وأبى استماع مقالة من كاشح ... ما انفك في لوم وجد تسرع
زمر الكرام رثت له وتوجعت ... أيحق أن يبقى أليف توجع؟
ويظل يخبط في الأماني حالماً ... بوصالهم وحبير عيش أمرع
قولي لهم أطبعتم بالهجر لا ... يرجو العميد لديكم من مكرع؟!
أبشرعكم عد الصدود فضيلة ... فأذقتموه كل صد مفزع
وهدرتم دمه وجرتم قسوة ... من للضعيف أيا ولاة الأربع؟!
داروا بعزكم مذلة أروع ... حفظ المودة بالوفاء مدرع
سئم العيادة من تكاثر صحبه ... والكل يأسو وهو ليس بمقلع
يا آسي الصب الطريح ارحل ولا ... تأسوه فالأدواء ملء الأضلع
باللَّه لا يجدي الدواء بجسمه ... ما دام وصلهم بعيد المطمع!

٤٢/٥/٣هـ

«عبرة الدهر»

ربـوع بـأنـحـاء الـعـراق تـقـوضـت وآضت كما شاءت لها عبرة الدهر
وقـفـت أصـيـلانـاً أسـائـل رسـمـهـا وجـفـنـي مـقـروح، وقـلـبـي فـي ذعـر
أسـائـلـهـا عـمـن أقـام صـروحـهـا فعيت، وهل يرجى جواب من الصخر؟
رعى اللَّه في بطن الجزيرة أعظماً لها ما يحير العقل من شامخ الفخر
سقى اللَّه أرماساً حوتها وأطبقت ثراها عليها وابل العطف والقطر
وأخـلـد آيـات لـهـا ومـعـاهـداً وعزاً وما شادوه في سالف العصر
دعت مجدها للاعبين وما درت بأن سيعود المجد ضرباً من الذكر
تلهوا عن الماضي ولو أنهم دروا بما كان مما ليس يحصر بالحصر
لما أخلدت للهو واللعب نفسهم ولكن قضاء اللَّه يجري ولا ندري!

* * *

فـواهـاً عـلـيـنـا مـا أضـل نـفـوسـنـا تساق إلى الجدوى وتأبى سوى الفقر
كـأن كـتـاب الـلَّـه يـأمـرنـا بـه فطبنا به عن شائق السعي والكر
ألا لالـعـاً لـلـفـقـر إذ فـيـه ذلـة وقد كان مرغوباً إذا الصول للحر
أما والمعالي أصبحت لذوي الغنى وأصخى عصى المجد يرضخ للمثري
وتـعـنـو لـه الـصـيـد الأشـاوس عـنـوة وتـسـعـى إلـيـه رغـبـة ربـة الـخـدر

ولو أنه عبد عضيض تجمعت ... به كل أوصاف النذالة والغدر
فحيّ على المال الذي يكسب العلا ... ويلبس هام المرء تاجاً من الدر!
وحيّ على العز المعزز بالغنى! ... وقل لخلي الجيب: إنك في عسر!
فرد حوض نهر الموت علك تبتهج ... بما لك عند اللَّه من أرفع الأجر
ودع هذه الدنيا لمن راض أمرها ... وعقباه لا يلقى سوى آية الخسر
عدا من أتاح اللَّه للخير نفسه ... فمال إلى كسب الفضيلة والبر

١٢/٨/٤٢هـ

[شهر الصيام]

شـهـر الـصـيـام قـدمـت بـالإقـبـال تـنـبـي الأنـام بـمـقـتـضـى الأجـيـال
فلئن فضلت شهورنا فلقد خصصـ ـت مـن الإلـه بـمـنـتـهـى الأفـضـال
ولئن علوت فأنت أعظم ما رنت عـيـن الـتـقـى إلـيـه بـالإجـلال
تـأتـي فـتـفـرج عـن مـقـل عـابـه الـ أهـلـون لا يـقـوى عـلـى الأعـمـال
نـشـب الـعـيـال بـحـلـقـه كـل يـريـ د طـعـامـه وأبـى عـن الـتـسـآل
سـحـقـاً لـمـن أثـرى ولـم يـر سـاعـة يـحـنـو عـلـى الـبـؤسـاء والـجـوال
يـطـغـى ويـبـغـى لا يـرق لـشـاهـق فـكـأن لـم يـخـلـق مـن الـصـلـصـال

٤٢/٩/١هـ

[إلى اللَّه]

أعذني من الإخفاق في السعي إنني ... بعرشك يا ذا الحول نطت رجائي
أعذني من الكفران واطلق عقيرتي ... بشكرك في السراء والضراء
قني شرَّ عباد الهوى وأظلني ... لدى الرزء بالرحمات والآلاء
ابنِ لي وجوه الحق في كل مقصد ... وباعد بقلبي عن رحى الأهواء!
وبغِّض إلى نفسي الرياء فإنني ... أرى فيه كل الهلك للأحياء
وقوِّ جناني في صدام ذوي الخنا ... أولي السوء أهل البغي والأدواء

٤٣/٧/٥هـ

[أنا والشعر]

لا أطلب الشعر إلا أن تطلبني ... ما الشعر إلا شعوري حين أنظمه
يجيء عفواً إذا جاش الضمير به ... سامي المعاني، رقيق اللفظ، محكمه
وما تخيلته إلا لمعضلة ... تحير الشعب أبلوها، فيُفهِمُه[1]
هو الخواطر والأحلام مفرغة ... في قالب من رشيق القول تحكمه
هو النوازع والآلام يشرحها ... نطق اللسان، وعقل المرء يدعمه
هو السجل لمجد الشعب يحفظه ... وهو المترجم ما الأزمان تعجمه
هو الطبيعة يبدي حسنها وهو الـ ... ـمرآة للحق تبدو فيه أنجمه
لا خير فيه إذا لم ينش سامعه ... كالنور يُنعِش صافي الكون مبسمُه
لا خير فيه إذ لم يُحْي قائله ... يدوم دهراً، وكل الناس تكرمه

٨/٥/٤٤هـ

(١) الضمير في أبلوها عائد إلى المعضلة من بلاه إذا اختبره وعرفه. والضمير المستتر في يفهمه عائد على الشعراء والظاهر عائد على الشعب. المعنى أني ما تخيرت الشعر إلا ليفهم الشعب كيفية الخلاص من المعضلات بعدما اختبرها واكتشف مفازها، واعرف معامدها. فهو الواسطة بيني وبين أمتي والوسيلة إلى إفهامها ما أنظم.

[وانفسي وواكبدي]

وفي القلب ما في القلب من ألم النوى يضيق لديه الوصف والحد والحصر
فلا تلمني إن رأيت مدامعي، تسيل على خدي وضاع مني الصبر
فوانفسي الحيرى إذا اهتاج شوقها وواكبدي الحرى إذا انتابها الذكر

[أحن إليك يا يثرب!]

فـديـتـك مـن دار بـيـثـرب رحـبـة ... تـقـل أنـاسـاً مـن مـشـيـب وأمـرد
إليك يـمـيـل الـقـلـب وقـت هـنـائـه ... فـإنـك مـأوى كـل حـر مـعـبـد
وفـيـك ثـواء الـعـالـمـيـن مـطـيـبـه ... ولـيـس وأيـم الـلَّـه غـيـرك مـقـصـدي
ويـا لـك مـن دار وقـفـت حـيـالـهـا ... ضـحـى فـأنـارت مـدمـعـي وتـوددي
وأسـلـمـت روحـي والـفـؤاد لأهـلـهـا ... وفـيـه الـخـوالـي عـاتـبـونـي وحُـسـدي
فـبـالـلَّـه يـا خـالـي الـفـؤاد تـرويـن ... ولا تـلـق مـنـهـا كـنـت أول مـوجـد
فدع عنك هذا اللوم وابغ سواه من ... مـعـاذيـر حـتـى تـسـمـعـن بـمـشـهـدي
فإنك قدماً قد تكلفت زجرتي، ... فـلـم تـلـق مـنـي غـيـر أصـعـب مـقـود
ففي ذمة الأحقاب ما قد رأيته ... مـحـاسـن تـصـبـي نـهـيـة الـمـتـعـبـد
مغانٍ لها في القلب حب وتوقة ... وفي النفس لوعات تذيب تجلّدي
وأشـتـاقـهـا دومـاً لـمـا قـد رأيـتـهـا ... تـحـن عـلـى الـنـائـي بـطـرف مـسـهـد
فـقـد نـهـكـتـنـي عـاديـات مـظـالـم ... أصـارت فـؤادي كـالـهـشـيـم الـمـوقـد
وما لي صديق الوعد صادق منصفي ... ومـا لـي مـن نـدب بـهـديـة أهـتـدي
سـقـى الـلَّـه تـلـك الـدار دار مـعـزة ... بـديـمـة هـطـال مـسـيـل ومـزبـد

٤٤/٥/٣٠هـ

[الـدهـر]

الـدهـر لا يـنـفـعـك ذو كـدر وإن صافاك مختاراً فتلك من الصدف
صدق الألى في زعمهم ومقالهم الدهر مصدر كل بؤس والتلف

[صدر رسالة]

أكـاد أُجـنُّ مـن لـهـفـي عـلـيـكـم وشـوقـي كـل حـيـن فـي ازديـاد
ومـا غـيـر الـنـمـيـقـة أرتـجـيـه لـتـكـشـف شـمـسـهـا لـيـل الـبـعـاد
فقد قالوا: الكتاب كنصف لقيا لـدى الـثـانـي، ومـيـثـاق الـوداد

[شقيت!]

حلّت بقلبي وردة فحفظتها عطفاً لتبقى في لباقة حسنها
فشقيت مذ حلّت وأدمى حفظها قلبي، وعدت متيَّماً في حبها

القسم الثاني

المشطرات ـ المخمسات ـ المطرزات

«المشطـــرات»

«مقترح» «تشطير، والأصل لأحد شعراء الحجاز الماضين».

«ومكارياً عاينت في وجناته» آيات حسن قد علاها المرهف
فكأن خديه بحرتها غدت «ورداً يلوح وجلناراً يقطف»
«أخذ الكرا مني وأعدمني الكرى» وأتى يساومني الفؤاد ويجحف
صبراً إذا حكم الهوى فغداً يرى «بيني وبينك يا مكاري موقف»

«مقترح» «تشطير، والأصل لأحد الشعراء المتقدمين»..

«لو صدعني دلالاً أو معاتبة لقلت لا بد من وصل فأنتظر
وإن تمنع عن تيه وعن صلف «لكنت أرجو تلاقيه وأعتذر»
«لكن ملالاً فلا أرجو تعطفه» ولا أؤمل إن يرضى فاصطبر
ولا أحمل نفسي بعد أيلمة «جبر الزجاج عسير حين ينكسر»

«مقترح» «تشطير، والأصل للرصافي شاعر العراق الفرد»..

«قالت نوار وقد أنشدتها سحراً» شعراً يذكرها عهد الصبا العطر
يا بلبلاً غرداً قل لي ـ وقت تمثلت ـ «ممن تعلمت نفث السحر في السحر»

فقلت من سحر عينيك التي سحرت به نفوس أولي الألباب والفكر
ومن محاسنك الغر التي فتنت «بها المشاعر من سمع ومن بصر»

«مقترح» «تشطير، والأصل لشاعر قديم».

«كيف السلو عن الذي ملك الحشا» وبمهجتي وكر له وذمام
أضمى بلحظيه وقد بقده «ونأى وفي جنبي منه سهام»
«ما حيلتي وغرامه في مهجتي» يوريه منه الهجر والإحجام
أم كيف أقلع عن هواه بحالة «وله بنفسي لوعة وغرام»

«مقترح» «تشطير، والأصل لشاعر قديم»..

«وأمر ما قاسيت من ألم الهوى» إعراض حبي والعذول يصول
وأشد منه غضاضة ومضاضة «قرب الحبيب ولا إليه وصول»
«كالعيس في البيداء يقتلها الظما» وتسير تجتاب الثرى وتجول
وتظل تبحث جهدها عن مورد «والماء فوق ظهورها محمول»

«مقترح» «تشطير، والأصل لإسماعيل صبري باشا»..

«لما تبوأ من فؤادي منزلاً» قد أغمدت فيه ظبي عينيه
وسطا على قلبي الرقيق بلحظه «وغدا يسلط مقلتيه عليه»
«ناديته مسترحماً من زفرة» أذكى غضاها الكاشحون لديه
عصفت بأضلاعي وألقت نفثة «أفضت بأسرار الضمير إليه»
«رفقاً بمنزلك الذي تحتله» وأشفق بقلب أنت في عطفيه
ويلي وويل القلب منك تذيبه «يا من يخرب بيته بيديه»

[المخمســـات]

«مقترح» «تخميس والأصل محول ومقتطف من قصيدة للشاعر الكبير ولي الدين يكن»..

أغزال وادي المنحنى، نلت المنى كم ذا أقاسي في هواك لظى العنا
أرجو الوصال، وأنت تطلب بيننا «ماذا التخالف في المحبة بيننا»

«نفس مكرمة ونفس تزدري»

لا تقس في هجري وتعرض نائياً أفديك، وامنحني وصالاً شافيا
لا تصغ للعذال، وارع ودادي «كن مثلما أنا في غرامك وافيا»

«لا تهجرني ما خلقت لأهجرا»

ما لي أراك إذا لمحتك لمحة لأمتعن بروض خدك مقلة
تلوي بوجهك، ثم تبدي غرة «لا تنكري نظرات عيني خلسة»

«الله قد خلق العيون لتنظرا»

لا تحسبن القلب تاب عن الهوى وأفاق من عشق الجمال أو ارعوى
ما ارتاب يوماً في هواك وما نوى «نبع المدى بي كل شيء في الهوى»

«فإذا أردت زيادة لن أقدرا»

٤٢/٢/٣٠هـ

«تخميس والأصل للشاعر المعاصر ولي الدين»

ولـمـيـاء زاهـيـة الـجـمـال تـرنـحـت وأرخت على الخدين فرعاً وأقبلت
تـتـيـه وتـعـمـي ثـم لـمـا تـدلـلـت «نـظـرت إلـيـهـا نـظـرة فـتـأثـرت»

«وبان على الخدين من نظرتي أثر»

وطارحتها باللحظ صوناً لأمنها أحاديث وجدي أو افتتاني بلدنها
وسلطت رسل الفكر مني لفنها «ولما تراءى الوجد بيني وبينها»

«مددت له ستراً من الرأي فاستتر»

٤٢/٣/٣٠هـ

«المطـــرزات»

[ويـل القلــوب]

«مقترح»

أهـــــــزار وادي جـــــــرول أدّ الـــتـــحـــيـــة زائـــرا،
حـــي الـــحـــبـــيـــب وقـــل لـــه بـــالـــلَّـــه لامُـــك جـــائـــرا،
مـــهـــلاً بـــصـــبـــك لا تـــذقـــ ـه عـــنـــا الـــصـــبـــابـــة نـــافـــرا،
دكـــــت رواســـــي صـــــبـــــره والـــعـــقـــل أضـــحـــى طـــائـــرا،
زمـــر الـــكـــرام رثـــت لـــه مـــذ شـــاهـــدوه حـــائـــرا،
وعـــــذولـــــه لـــــمـــــا رأى مـــشـــقـــاه أصـــبـــح عـــاذرا،

* * *

أفـــتـــى الـــرشـــاقـــة والـــلـــوا حـــظ كـــالـــســـيـــوف شـــواهـــرا،
ويـــل الـــقـــلـــوب مـــن الـــعـــيـــو ن كـــذا الـــخـــدود نـــواضـــرا
يـــكـــفـــيـــك أنـــك قـــد حـــويـــ ـت مـــن الـــجـــمـــال بـــواهـــرا،
فـــاعـــطـــف عـــلـــى مـــن لا يـــرى لـــنـــهـــاه غـــيـــرك آمـــرا،

«والحر فؤادي»

«مقترح»..

صاغ ربي من الجلال محيا ... ك وسواه للملاحة بدرا
دمت تسمو على الملاح كمالاً ... وتعاليت في المحاسن قدرا
يتراءى لنا جمالك ليلاً ... فنخال الدجى تشقق فجرا
قر قلب الوشاة لما تناء ... يت صدوداً وبنت عني قسرا
دار دور الزمان فانقلب العذ ... ل صلاحاً وأصبح العطف وزرا
ما لقلبي وللهوى مستطيراً ... يتمطى عليه، مداً وجزرا

* * *

نزهة النفس مالك الروح رحما ... ك، فإني قد ذبت وجداً وصبرا
هال صبري تطاول الجفو حتى ... ملَّ مني، وعفته لي حذرا
وفؤادي ووالحرّ فؤادي ... عاد قناً من بعد أن كان حرا
رق عواده عليه وما زلـ ... ـت على النأي لابثاً ومصرا،
يرقب الوصل في ليال وعودٍ ... لك أفني ولا أرى لها فجرا،

١٣/٧/٤٣هـ

[مجلس اللهو وأعضاؤه]

من القوم لا حام النجاح عليهم ... وهدت مآويهم وعادت بلاقعا
ترى رأسهم كالثور ينفخ شدقه ... ويهذي ولا يلقى مقيماً ووازعا
وأعوانه كالحمر قيدت لمربطه ... فلم تكفنا ضراً ولم تجن نافعا
عمائهم ـ نصت ـ قباب مآثر ... وأذقانهم كادت تكون مراتعا
أولئك هم نواب مجلس لهونا ... ترقوا دسوت الحكم راموا مطامعا
وما أيقنوا أن البلاد ستبتلى ... فعالهم لا ترتضي الجهل شارعا
ألا فليتيهوا اليوم فخراً وعزة ... وسوف يرون الجد منها منازعا

٤٣/٧/٤هـ

«أمنية الشاب الطائش»

[تأخرت عن موضعها]

عـداني مـا عـدا غـيـري قـديـمـاً ... مـن الإلـحـاح فـي أمـر بـعـيـد
وأطـلـب مـثـلـمـا طـلـب الأنـاسـي ... حـيـاة نـظـمـهـا حـسـن الـنـضـيـد
فـأغـدو لا يـروعـنـي عـذول، ... وأحـظـى بـاهـتـصـار قـدود غـيـد
وأمـرح فـي ثـيـاب الـلـهـو تـحـنـو ... عـلـى جـنـبـي أفـنـان الـورود
وأرتـشـف الـشـمـول كـأنـه الـتـبـ ... ـر مـحـلـولاً لـه زهـو الـخـدود
عـلـيـه كـنـثـرة الـطـل الـمـصـفـى ... حـبـاب، أو كـنـمـمـة الـبـرود
يـحـلـلـه لـنـا ديـن حـديـث ... ويـطـلـقـه عـلـى نـهـج حـمـيـد
وأسـرح بـيـن أسـراب الـغـوانـي ... كـمـلـك بـيـن أفـراد الـجـنـود
لـنـا الـزهـر الـغـوالـي طـوق جـيـد ... فـرائـدهـا مـنـظـمـة الـعـقـود
ومـن طـرف الـمـنـاهـج نـسـج تـيـه ... وضـوء الـبـدر أثـواب الـخـلـود

٤٣/٧/٢٥هـ

«يا بـــــدر!»

«مقترح»

سمت بك نحو الحسن أعينك النجل ... وفاق عن الأوصاف حسنك يا بدر!
لوجهك سلطان على النفس قاهر ... يحار لديه العقل والقلب والفكر
يخر جلال الملك للحسن حرمة ... وتخضع مرضاة له الأنجم الزهر
ملكت رقاب الخلق فاحكم كما تشا ... جمالك يسبينا له النهي والأمر
أقمناك لا نعصيك ملكاً وآمراً ... كلا حالتيك ـ العطف تقبل والهجر
نفديك أغلى ما تضم نفوسنا ... ويؤديك منا القلب يكلؤه الصدر
رجاء ذليل ترتجيك فكن لنا ... صوى لحياة أنت فيها لنا الفجر
جرى الحب في أعراقنا منذ أقبلت ... شموس بهاك المستضيئة تفتر
بأسرع من برق تألق في الدجى ... فضاءت به الألباب، وابتسم الشعر!

١/٨/٤٣هـ

«صفحة من المجون»

«مقترح»

نبه الساقي فزنجي الدجى ... راعه الفجر بأنوار ذكاء
قبلما تنفتح الأكمام عن ... نورها تستقبل الشمس رجاء
قبلما تلبس هامات الربى، ... تاج حسن من نضار وبهاء
أيها الساقي أدرها عسجداً ... لم يشبه عاصر الأم بماء
وادع إخوان الصفا يأتوننا ... ننهب اللذات من قبل الفناء
إنما العيش انتهاب فرص الـ ... ـلهو، واستجلاء أقمار الهناء
وامتطاء متن أفراس الهوى ... واحتسا الصهباء مع حم الرواء
شادن يفتن أرباب التقى ... لم يزل موضع وصف الشعراء
هذه العيش أراها فإذا، ... لم تتح لي فعلى العيش العفاء

٤٣/٨/٨هـ

[الراح والنفس]

«مقترح»

وخير أيامنا يوم يوحدنا ... مع الأكارم والعذال في شغل
نخاطب الراح نستجلي شمائلها ... من رقة في صفاء نادر المثل
هي الشمول فبالغ في تناولها ... من كف أروع باهي الدل والكحل
ما قاربت نفس من ضاقت مسالكه ... إلا وعاد قرير العين في جذل

١٣/٢/٤٤هـ

«البكـــور»

«مقترح»

باكـريـنـي بـمـشـيـة الـحـوبـاء قـهـوة لـونـهـا كـلـون الـضـيـاء
وشـذاهـا ـ ومـا أرق شـذاهـا ـ كـشـذى الـروض رش بـالأنـداء
وتـهـيـج الأشـواق تـذكـرنـا بـالـ ـعـهـد، عـهـد الـغـرام والـنـعـمـاء

* * *

باكـريـنـي فـخـيـر وقـتـي بـكـوري باكـريـنـي ففـي الـبـكـور هـنـائـي
إن لـي في عـيـونـك الـنـجـل خـمـراً لا تـوازى ـ تـالـلّـه ـ بـالـصـهـبـاء
تـسـكـر الـصـيـد بـالـلـحـاظ وتـسـ ـبـي الـلـيـث تـرمـي فـؤاده بـالـجـواء
ومـحـيـاك روضـة الـحـسـن لـلـعـا شـق تـشـفـي مـا آواه مـن شـقـاء
إن رفـعـت الـنـقـاب قـلـنـا ذكـاء قـد أطـلـت فـمـرحـبـاً بـذكـاء
أو تـلـثـمـت خـالـك الـنـاس بـدراً يـتـوارى فـي سـدفـة الـظـلـمـاء

٤٤/٢/١٤هـ

«لك التحكم ولنا الرجا»

«مقترح»

حللت قتلي في الهوى، يا ريم بعد وثوق عهدك
ساقت عيونك لي الردى وحرمت حتى شم وردك
يرجو فؤادي منك عطفاً فهو قد أودى ببعدك،
نبئت بالغيد الحسا ن فما رأيت كمثل قدك
دست الجمال علوته وحللت أعلى برج سعدك
من لي وقد جرح الجوى قلبي بلثم رياض خدك
نطقت محاسنك التي حكمت على نفسي بودك
هذا الذي فاق البدو ر وحسنها من بعض جندك
ولك التحكم مفرداً ولنا الرجا في حسن وعدك
راح لروح العاشقيـ ـن المولعين، رضاب شهدك
يا من تملك مهجتي!.. ارحم قتيل عذاب صدك

٤٤/٢/٢٤هـ

«ما عهدت !»

«مقترح»

ما عهدت الحب من قبل هياماً ... لا ولا الألحاظ للقلب سهاما
حرت في أوصاف من قد مضني ... عشقه، وهو على الهجر أقاما
ماس غصناً وتبدى رشأً ... بمحيا يخجل البدر التماما
وبجيد بزّ أجياد الظبا ... وبعرف دونه عرف الخزامى
دلَّ قلبي للهوى واستامه ... فاصطلى شوقاً إليه وغراما

* * *

بالهوى بالحسن بالخال الذي ... «طاب تقبيلاً ومسحاً واستلاما»
خل هجري وأنل نفسي المنى ... فهي لا ترجو سوى الوصل مراما
أمن العدل بقائي في لظى ... حسرتي، والوجد أبلاني سقاما
رب إني للهوى مستسلم ... طيع أنقاد لا أعصى دواما
يبتليني بالجوى لا أشتكي ... يا لقلبي، ذاب وجداً وهياما

٢٩/٢م٤٤هـ

«هيكل الصبابة»

«مقترح»

.. من لمعمود، قضى في الحب ولهانا
دعاه جمالك الفتـ ـن كي يهواه إيمانا
يريه السحر في الأجفـ ـن والوجنات نيرانا
جرى في قلبه وحي الهوى، فأجاب إذعانا
هواه هوى لو أن الصخـ ـر حمل بعضه لانا
نسبتك إن نسبناك، إلى بدر السما آنا
وحق هواك انت من الـ ـملائك لست إنسانا
أقمت لنا الصبابة هيـ ـكلاً نرضاه مثوانا
ربيت مع الدلال فكنـ ـت تمثال الهوى بانا
يراك فؤادي المضني فيحيا بعد أن بانا
هبي باللَّه وصلك من لغيرك قط مادانا

٤٤/٣/٢٩هـ

«إلى أميرة الحسن»

«مقترح»

خط الجمال على جبينك أسطراً ... كانت لقلبي باعث الأشواق
دعت الأنام إلى الصبابة فانبروا ... يتهافتون عليك في الآفاق
يا من إذا شبهتها لا أرتضي ... بالبدر شبهاً فهو رهن محاق
جاءت كما شاءت وشاء دلالها ... ورأيت فيها مصرع العشاق
هل للبدور كورد وجنتها التي ... فضحت لعمري الشمس في الإشراق

* * *

نهزت فقلنا الغصن مال ومن لنا ... بالغصن يحمل نرجس الأحداق
ورنت فقلنا السحر ماج بجفنها ... هل يوثق الأرواح سحر الراقي؟!
آه لنفسي من لواحظها التي ... تركت فؤادي في أشد وثاق
راع الليوث جمالك المعبوديا ... من قد أطاعك طيب الأعراق
يكفيك دلاً فالصبابة صرمت ... منه الفؤاد بغير ما إشفاق
هدَّ الجفا أركان ثابت صبره ... فهبيه وصلك بعد طول فراق

١/٤/٤٤هـ

«ضرائر بنت الحان»

«مقترح»

مالي وللصهباء تشعل مهجتي، وتزيدني ألماً وتنهك قوتي
فرأيت ثمة كيف تشتار الردى لذواتها قوم الطلا المشمولة
ورأيت كيف الندب يغدو أحمقاً وعلمت كيف يضيع وافر شيمتي
يصفونها بالبكر وهي هلوكة من حضن عاصرها إلى حضن العتي
وإلى الصفا ينمونها وهي التي من خبثها لم ترع غالي ذمتي
أضنت فؤادي واستباحت نهيتي وسطت على عزمي، ونؤت بلوعتي
سلبت وقاري بعد كشف سريرتي بينا أرجيها تنفس كربتي

* * *

يا من تمادى في احتساء كؤوسها أقصر تفز واقبل ثمين نصيحتي
واربأ بنفسك أن تصاب بعلة ليست تقاس لدى السليم بعلة
ما في المدامة غير تضليل الفتى وتلاف درهمه وكل نقيصة

٢٤/٤/٤٤هـ

[في الهزل والمجون]

رأيت أن أضيف إلى القسم الثاني كل ما نظمته من الشعر في هذا النوع ليكون أوفى وأشمل ولما أن أكثره كان باقتراح المقترحين!

«الشيخ إسماعيل وطلابه»

في هذه القطعة تمثل أحوال التلاميذ في مدارسنا

أتاني الشيخ إسماعيل عصراً ... وفي وجناته أثر اكتئاب
فقلت علام أستاذي كئيب ... أمن هم توقد أم مصاب!
فقال دخلت هذا اليوم درسي ... ولم أر طالباً نحو الصواب
سطا الشيطان ممتلكاً قلوباً ... لهم يقتادها نحو التباب
فهم ما بين لاهٍ أو عنيد ... أراهم في لعاب في لعاب
أرى هرجاً وضحكاً في صدودٍ ... عن الدرس المثقف للشباب
لقد أرهبتهم فعييت زجراً ... بأصناف الجزاء مع العقاب
فما واللَّه: لما ألق شيئاً ... أرى فيه امتعاضي واكتئابي
أشد من التكلف حين ألقى ... دروساً في مكفأة الوطاب

«في رشا لما لحظنا مضى مسرعاً»

«مقترح»

بأبي ذاك الرشا ولّى على عجل. كأنني قد رعته
قادني للحب لما شامني، وثوى في مهجتي مذ شمته
يا حبيبي: صن فؤادي من جفا ك، فإني لك قدماً صنته

«تهنئة زفاف»

يـوم أغـر بـه الـنـفـوس تـبـاشـرت وغدا السرور لدى الصحاب عميما
بزفافك الميمون يا من أسفرت أيـامـه ومـنـحـتـه الـتـكـريـمـا
دام اقـتـرانـك بـالـسـعـادة مـشـمـلاً ورزقـت مـنـهـا بـالـبـنـيـن نـجـومـا

«تهنئة برتبة»

جـــاءت تـــجـــر ذيـــلـــهـــا تـبـغـيـك عـلـيـاء الـمـراتـب
أنـــت الـــذي شـــهـــدت بـــقـــد رتـــه الأبـــاعـــد والأقـــارب
فـــاهـــنـــأ ودم مـــتـــحـــلـــيـــاً بـالـعـز مـمـنـوح الـرغـائـب

«تهنئة بعيد»

سـيـدي الـعـيـد تـجـلـى مـعـلـنـاً لـمـعـالـيـكـم تـهـانـي الأصـدقـاء
عـاده الـمـولـى عـلـيـكـم كـل عـا م، بـخـيـر وسـرور وصـفـاء
فـــاقـــبـــلـــوا مـــنـــا ولاءاً وتـهـنـوا ولـكـم طـول الـبـقـاء

«بعيد أيضاً»

أقبل العيد فضاءت سيدي منه الرحاب
رافقاً آي التهاني قاصداً هذا الجناب

«بعيد أيضاً»

وافى إلى مغناكم عيد المسرة والهنا
فتهنئوا بقدومه ولتبلغوا كل المنى

تم القسم الثاني

في الآونة الأخيرة قصائد من باب الهزل والمجون بعد إغلاقه أثبتها ملحقة به في «الجزء الآخر».

القسم الثالث

في الوجدانيات والغراميات وفلسفتها

[على شاطئ البحر]

زاد وجدي، فأين ألقى حياتي؟! أخذت مهجتي وفرت أمامي
ما لهذي البحور سدت وحلت دون قصدي ومنيتي ومرامي!
أي هذي البحور! رفقاً بنفسي ضاع رشدي ولذت بالأوهام
أشفقي رحمة علي، واقريـ ـها سلاماً يفوق نشر الخزام
سائليها عن التجافي، وعما كان الصد، إنني في ضرام!
ألثأر؟! أم قسوة؟! أم دلال؟! ما وربي جنيت غير الهيام!
أفإن كان ذا الهيام لديها من ذنوبي التي تبيح ذمامي!
فإلى الحشر أو اللقاء يا رب أدم صبوتي، وابق غرامي!
إن ويلي وذلتي في رضاها هو سعد أرى لديه سلامي

٤٣/١/٢هـ

«في النظرة سر لا يحد»

يـا مـهـاتـي إن قـلـبـي فـي كـمـد ... لا يـرى فـي عـيـشـه إلا الـنـكـد
يـا مـهـاتـي لا تـذيـبـي مـهـجـتـي ... قـد كـفـانـي لـيـس لـي بـعـض جـلـد
أتـركـي ذا الـصـد أنـي فـي عـنـا ... أعـيـن قـد أوهـنـت عـزم الأسـد
أسـعـفـي بـالـغـمـض عـيـنـي كـي أرى ... طـيـفـك الـنـائـي فـقـد طـال الأمـد
أو عـديـنـي مـنـك بـالـوصـل عـسـى ... أن أرى فـيـه حـيـاة لـلـجـسـد
أوهـبـيـنـي نـظـرة عـن خـلـسـة، ... إن فـي الـنـظـرة شـراً لا يـحـد
لا يـهـولـنـك عـيـون الـرقـبـا ... ربـمـا نـلـقـى لـديـهـم مـا نـود
وهـم مـهـمـا تـصـدوا أو غـووا ... لـن يـروا مـنـا سـوى صـدق وود
خـاب مـا يـرجـونـه أنـا عـلـى ... عـفـة نـسـمـو بـهـا طـول الأبـد

٤٣/١/٣هـ

«لم أنس!»

برزت تميس بحلة بيضاء ... تسبي نواظرها فؤاد الرائي
لم أنس إذ خطرت تدل بقامة ... كالغصن تثنيه يد الأهواء
وكذاك لا أنسى نصاعة جيدها ... إذ يلتوي، والفرع كالظلماء
وتروح تسقي صبها كأس العذا ... ب تذيبه بالأعين النجلاء
تلك التي تخشى صوارمها الملا ... وعنا لسطوتها فتى الهيجاء
تدنو وتبعد فالعميد لديهما ... ما بين خفض تارة وعلاء
وعدت بوصل ثم مازالت تما ... طلني، وأوهى المطل خيط رجائي
يا ليت رقة خصرها في قلبها ... فكأنها خلقت لقطع هنائي
أو قد أرادت أن تحقق قول من ... لحظوا غرامي، فانبروا لبلائي
إن الصبابة لا تصدق في الهوى ... إلا إذا بليت ببعض جفاء

٢/٤/٤٣هـ

[عذاب النوى]

صرت كالطيف من بعادك أو كالـ ... وهـم مضنى، ألتاع وجداً وقهرا
صرعتني عمى الحوادث، والقلـ ... ـب بـراه الـهـيـام طـيـاً ونـشـرا
أنا لـولا الـرجـا ولـولا اصـطـبـاري ... لـجـفـوت الـحـيـاة وارتـدت قـبـرا
ألـثـم الـزهـر عـلـة فـي صـبـاحـي ... وأنـاجـي حـمـائـم الـروض عـصـرا
إن لـلـزهـر بـعـض ريـا نـديـاً ... مـثـل ريـاك فـاح طـيـبـاً وعـطـرا
وكـذا الـساجـعـات يـنـعـشـن بـالـشـد ... و ـ قلوباً تذوب في الحب حسرى
أشـفـقـي رحـمـة عـلـي فـإنـي ... بـك أحـيـا، والـلَّـه عـن ذلـك أدرى

٤٣/٤/٣هـ

«يا طيفها»

يا طيفها ما ضر لو زرتنا ... في سنة تجي عهوداً لنا
كم هجعة نهجعها كي نرى ... فيك جمالاً بات يسحرنا
كيما نرى فيك عيوناً عدت ... أمضى من السيف يروعننا
كيما نرى فيك خدوداً حوت ... ناراً وروضاً فيه طاب الجنى
يا حبذا المرشف عذب اللمى ... يا حبذا منه الطلا يقتنى،
يا حبذا وصلك نحظى به ... يا طيف! فيه البشر فانعم لنا

١١/٤/٤٣هـ

«مساء في روض»

شاقني الروض وما فيه من الـ سبيل
وتلوي الغصن إذ يخطو النسيم البليل

* * *

وانسياب الماء من بين الشجر كالأفاعي
ونثار الفل فيه منتشر كالقناع

* * *

وذكاء جرت الأذيال تبقي الأ ستار
ودعتنا ورمتنا بسهامٍ من نضار

* * *

حبذا في الروض يسقينا الغرام في الكؤوس
أهيف القد رشيق تفتديه النفوس

* * *

حبذا نسري معاً بين الظلال والغصون

نقطف النرجس لا نخشى الرقيب والـــعـــيـــون

* * *

تـجـتـلـي أرواحـنـا حـسـن الـورود والـــــزهـــــر
فيجيش الوجد في عمق الصدور والـــفـــكـــر

* * *

نـتـهـادى نـتـعـاطـى والـغـمـام يـــهـــتـــن
أقبل الحب ولا نخشى العذول يـــفـــتـــن

* * *

أتـمـنـى أرتـجـي قـرب الـحـبـيـب لـــلـــصـــفـــاء
غـيـر أن الـدهـر يـأبـى لـلـعـمـيـد ذا الـــهـــنـــاء

٤٣/٤/٢٧هـ

«بكـــــرت»

بكرت تساجلنا الغرام بلحظها ... حوراء مرهفة القوام وتُذكِرُ
فنظل بين الحال والماضي كمن ... قد بات مخموراً وأصبح يسكر!
وهناك قرب جداول محفوفة ... بالزهر والأطيار فيها تصفر
بين الغصون على بساط رياضنا ... تخطو بلدن قوامها، وتصعر
عجباً على حكم الغرام إذا قضى ... لا يستطيع الخلف عنه القسور
يغتر ثم يضام وهو بداره ... يعفو ولا يشكو ولا يتذمر!

٤٣/٤/٣٠هـ

[في الهجر تثقيف للصب]

قيدتني بالحب دعني أرى ... في هجرك ـ الحلو من العبر
لازال هذا الخلف مقصدنا ... إذ فيه ما أبغي من الذكر
الهجر يدريني النجاة إذا ... ما احتاط بي جيش من الضجر
الخلف أدركت الحياة به ... وجهين من خير ومن ضرر
لالا أقول الوصل إن له ... عقبى تقصر ليلة السمر
في الهجر أقضي الليل أسهره ... أنهي له ما جد من خبري
ما ضرني إن زدتني ألماً ... أو فيه كشف الستر عن بصري

* * *

يا صاحبي وصباك مختصر ... يتلوه صبح الشيب بالفتر
لا يلهينك فيه عن أرب ... إن نلته أسعدت في العمر
حب يعدك عن علا بجوى ... يصليك منه طائر الشرر
الحب فخر المرء مسعده ... إن كان يدعوه إلى الغرر
ما أشرف الحب لنفسي إذا ... كان لها كالجلو للدرر
ما أشرف الحب يقود النهى ... يعلمها أعجوبة العصر

٤٣/٥/١٧هـ

«هـــــي !»

هـي الـبـدر لـولا أن بـالـبـدر شـامـة ... هي الغصن لولا كان للغصن عاجم
هـي الـظـبي لـولا أن لـلـظـبي نـفـرة ... هـي الـدر لـولا كـان لـلـدر واصـم
لـهـا الـلَّـه مـن بـدر وسـيـم إذا بـدا ... يـريـك جـمـالاً تـتـقـيـه الـضـراغـم
لها اللَّه من غصن تميس فتصطلى ... نـفـوس، وأخـرى بـالـنـعـيـم تـقـاسـم
لـهـا الـلَّـه مـن ظـبي لـعـوب إذا رنـا ... تـروعـنـا مـنـه سـيـوف صـوارم
لـهـا الـلَّـه مـن در أنـيـق مـهـذب ... وزاد بـهـاء أن جـلـتـه الـكـرائـم

١٣/٥/٤٣هـ

«وصلك طب»

عليل هوى أودى به الوجد والحب ... وراح يلاقي ما يذوب له القلب
يروعه في كل شارقة قضا.. ... ويبدو له من كل غاربة خطب
وعيناه لا تنفكّ تهمي كأنها ... شآبيب إحياء بها درت السحب
تذكره الورقاء تهتف بالضحى ... زماناً إليه الدهر لا ينثني يصبو
زمان تقضى والنعيم حليفه ... سرور ولا عذل صفاء ولا عتب
يطير مع الأفراح في كل مهمه ... ويغدو إلى الملهاة يقتاده السرب

* * *

مهاة من الأعراب حلّت بمهجتي ... تصيد بلحظ دونه السهم والعضب
لها اللَّه إن ماست بقد مخصر ... فلا الغصن يحكيها ولا الذابل الشطب
تلفت عن جيد هو الفجر بهجة ... وتفتر عن ثغر هو اللؤلؤ الرطب
وتسبل إن شامتك فرعاً كليلة الـ ... ـمحاق يضل الصبح فيها كذا الشهب
على وجنتيها تفضح الورد حمرة ... ويشهدها لما تفنده القلب
تضن على العشاق نهلى لريقها ... برشف لماها إنه السائغ العذب

* * *

أسلمى وجور الكاشحين مصرم لحبي وقلبي والهوى حكمه صعب
أسلمى وأزمان الهناء تقلصت وهذا زمان حشوة الغم والكرب
فما لي اصطبار يحمل الهجر والجوى وجسمي مضنى، والنهى للأسى نهب
أسلمى وأنت النفس والروح والمنى فإن شئت إحيائي فوصلك لي طب

٤٣/٥/٢٥هـ

«بين لحظ وقامة»

بظل الصبا حيث الملائك خشع ومهد الهوى حيث المها تتمتع
وحيث الصفا يرتاد في جنباتها وحيث الردى أمواجه تتدفع
تركت فؤادي بين لحظ وقامة فذلك يعميه وتلك تقطع
«فللَّه قلبي ما أجل اصطباره وأثبته، والسيف بالسيف يقرع»
وواحر نفسي يوم قيل لها اصبري فما للذيذ الوصل نيل ومطمع
ترويـن ما عنه الليوث تراجعت مولهة، والقلب منه مروع
ألا كفكفي من غرب أطماعك التي تجر عليك الويل، والويل يصرع

* * *

وما أنس م الأشياء لا أنس ليلة غُدَافِيَّة والنوء فيها مسفع
تخطيت فيها أدوراً إثر أدور ورحب فناها بالعواذل مترع
أسارقهم خطوي كأني مجرم يطارد لا يهنيه نومٌ ومضجع
فما زلت حتى أن وصلت لدارها وما هي إلا أن تولت ترفع
تقول ألا ويح المهاجم غرة أما أبصرته حرس الحي يقطع!
فقلت لها.. رقي لمضنى صبابة غداً لمرارات الهوى يتجرع
وما ـ ويمين الحب ـ زور لي الردى وطوح بي، إلا الرجاء المشجع

حنانيك! رفقاً ما لقلبي منتأى ... عن الحب، ما للحب هول موقع
ورحماك! لي، فالسيل قد بلغ الزبى ... ولم يبق في قوس النصير منزع
فعادت ودمع العين خضل نحرها ... وأبدت محيا زانه الورد يسطع
وقلت: ـ ألا لا بارك اللَّه في الذي ... له كل يوم في التقاصي تطلع
بربك فاغفر لي تمادي قسوتي ... وما أنا قبل اليوم إلا مرقع
لصوت وشاة ـ لا سقى اللَّه تربهم ... ـ يقولون هذا في الهوى متصنع
وما برحت تبدي اعتذاراً ألذ لي ... من الناي نغماً يطربني وينفع
وظلت تعاطيني الحديث كأنه ... نثار زهور، أو جمال مرصع
فسرت ضباب الحزن عني وخلتني الـ ... ـنبي له بلقيس والكون طوع

* * *

وما راعنا إلا دجى الليل هارب ... أمام جيوش النور، والطير تسجع
فقمت على أنقى من الزهر شيمة ... وما شيمتي إلا العفاف الممنع
وودعتها، والكل منا مسائل ... «أهل لتلقانا معاد ومرجع»

٤٣/٦/٢١هـ

«أذكـريـني !»

إذا لـمـع الـبـرق بـيـن الـغـمـام وشـق الـصـبـاح قـبـاب الـظـلام
وقـامـت ذكـاء تـحـيـي الأنـام ألا فـاذكـريـنـي، وردي الـسـلام

* * *

إذا أنـعـش الـروض هـب الـنـسـيـم وغـنـى الـهـزار بـصـوت رخـيـم
ومـاسـت غـصـون وجـد الـنـعـيـم ألا فـاذكـريـنـي، وردي الـسـلام

* * *

إذا مـا الـنـدى كـلـل الـجـلـنـار وهـب الأنـاسـي لـكـسـب الـيـسـار
وحـل الـرحـيـل وسـار الـقـطـار ألا فـاذكـريـنـي، وردِّي الـسـلام

* * *

إذا جـونـة شـاقـهـا الـمـغـرب وأبـهـجـك الـشـفـق الـمـلـهـب
وأقـبـل جـيـش الـدجـى الـلـجـب ألا فـاذكـريـنـي، وردي الـسـلام

* * *

إذا الـبـدر نـاف عـلـى الـمـشـرفـيـن وصـال بـوجـه كـصـحـن الـلـجـيـن

وبـان الـسـهـى عـاري الـمـنـكـبـيـن ألا فـاذكـريـنـي، وردي الـسـلام

* * *

فـفـي الـذكـريـات زوال الـنـوى وأنـس الـنـفـوس وطـب الـجـوى
ألا فـاذكـريـنـي، فـإن الـهـوى أضـل فـؤادي، وردي الـسـلام

* * *

أسـلـمـاي هـل تـعـطـفـيـن عـلـى! عـلـيـل يـقـاسـي عـذاب الـقـلا
ألا فـاذكـريـنـي، وردي إلـى فـتـاك ـ الـحـيـاة بـرد الـسـلام

٤٣/٦/٢١هـ

«لـــــو !»

لو كنت أكتب ما يمليه نحوكم، وجدي لكنت ملأت الكون أسفارا
وجئت للزهر والأزهار مرصفة في صفحة الدهر آيات وأشعارا
لكنما نفثه في بثها رفه.. للقلب، والبث سلوى واله حارا

«يـا رب !»

هـو الـبـدر لـولا خـده الـمـتـورد ... هـو الغصن لـولا خصره الـمتعقد
لـه الـحـسـن آلـى أن يـقـيـم بـذاتـه ... ومـا الـحـسـن إلا حـسـنـه الـمـتـعـبـد
بـدا وتـعـالـى ثـم أدبـر مـعـرضـاً ... وفـي إثـره الأعـيـان راحـت تـنـشـد
سبى مهجات الناس ثمت وانبرى ... يذيقهم الهجران، والهجر يلحدُ
فيا رب صغت الحسن يملك روحنا ... ولـم يـرمـنـا قـط مـن يـتـمـرد
ولـم يـك فـي أربـابـه رب رحـمـة ... ولا لـنـواديـهـم طـريـق مـجـهـد
لئن كان هذا العدل منك فمدنا ... لدى الصد بالصبر الذي ليس ينفد

٤٣/٧/٣هـ

«معنى مقترح»

هل كان البدر وضياؤه، وجماله ولألاؤه، إلاَّ أشعة متطايرة من بسمات العذراء، التأمت، فكوّنت صفحة من النور يتوهج في كبد السماء!!

بروحي فتاة دونها الشمس طلعة من الحور أغوتنا بحسن دلالها
وما البدر إلا شعلة إثر شعلة تطاير من بسماتها وجمالها
تكون من مجموعة صفحة سمت ـ من النور ـ للزرقاء مثوى جلالها

«الفؤاد ونوازعه»

بين الهوى والهدى والصبر والقلق أضحى الفؤاد يقاسي ألذع الحرق
أما دعاه الهوى للنكر ليلته لواه داعي الهدى للرشد في الفلق
وإن تغاضى عن الهجران مصطبراً دهاه تواً شخوص الطيف بالقلق

«الوردة الذابلة»

بنفسي وردتها الذابلة ... تفوح لها فغمة عاطرة
تلوح على الصدر مغضية ... كأجفان مقلتها الفاترة
لها اللَّه من وردة قد ذوت ... وفي الخد أخت لها ناضرة
تلهب كالجمرة اكتنفتها ... رياح مولولة ثائرة
ترى الهدب وهو يظللها ... فتزداد شعلتها طائرة
كما الفجر يسطو على الليل أو ... كساحرة نافرت ساحرة

* * *

أوردة بستانها تتضو ... ع والخد وردته زاهرة؟!
ألا إنما الحسن يبلى وتبقى ... مآثره الفضة الطاهرة
فيا ربة الحسن لا تفخري ... فكل جمال له دائرة!
وعما قريب سيأتي المشيب ... فتحمل روضتك الباهرة
وتصبح وردة خدك كا ... لتي بلبانك، يا فاخرة!

٤٣/٧/٢٥هـ

«شـوق وشـوق»

تسلم تسليم المشوق وإن بي لأضعاف ما تشكو جوى وحنينا
فحتام هذا البعد يحجب بيننا وحتام يلتاع الفؤاد أنينا
عسى بعد حين نلتقي ثم نشتكي إلى بعضنا ما في الفراق لقينا

«حنين النائي»

أهيبوا بنا نحو «العقيق» نجيب ... وحيوا ربوعاً أمرهن عجيب
ربوع لها في القلب أشرف منزل ... وفي طيه من وجدهن لهيب
توليت عنها وأطرحت سرورها ... ورحت، ورشدي ضائع مسلوب
تركت بها «سلمى» وودعت عاجلاً ... وأني إليها دائماً لرغوب
وما عن قلى بيني وهجر أحبتي ... ولكن قضاء واقع ونصيب!
فلي من هواها العمر أعظم قائد ... ففي الشمس منها زبرج مسكوب
يذكرنيها البدر ليلة تمه ... ففي البدر منها نضرة ومهيب
يذكرنيها الورد يعبق نشره ... ففي الورد منها نفحه والطيب
يذكرنيها الطير تسجع بكرة ... ويذكرنيها شمألٌ وجنوب
فللنسم المقلول لن يحبسها ... وللطير منها الصوت والتطريب

* * *

لي اللَّه إني ما برحت أرى الجوى ... يسوق على قلبي الأسى فيذوب
وتنهلني أيدي الصبابة علقما ... له بضلوعي سطوة ودبيب
علاني القنا وانتابني الوهن واعترى ... محياي ـ من برح الهموم ـ شحوب
فواكبدي ممن ألاقي من النوى ... بها من لظاها حرقة وندوب

«فلو أن مالي بالصفا فلق الصفا وبالريح لم يسمع لهن هبوب»

* * *

فحتام يا «سلمى» أقاسي مضاضة الـ ـبعاد، ألم يأن لي التقريب؟!
وما كنت قبل اليوم أعرف ما النوى وأسخر بالنائي براه نحيب
وحتى بلائي منه ـ غير مسالم ـ بما لم يلاقِ عاشق وحبيب[1]
وحتى تمنيت الحمام يبلني وهل قبل مفئود شفته شعوب!

* * *

أعيذ ودادي أي «سليمى» بحقه وحرمته أن تبتليه ذنوب
وعهدي أن يبلي قوى حباله ويصرمه واش لديك كذوب
فقد ساءني أن لا أراك بجانبي تساقينني كأس الهوى فنطيب
ونكرع من بنت الكروم مدامة ينم عليها الجام وهو غريب
وتجرعها حتى الثمالة محضة فترتاح منا أنفس وقلوب
ونمشي ترنحنا المخيلة والصبا ويثني الصفا أعطافنا ويهيب
ولسنا بحكم العف نخشى ريبة ولسنا عن الحب الشريف نتوب
ولسنا نبالي بالرقيب نخافه ولسنا وإن لج الوشاة نجيب

* * *

(١) على حد قول الشاعر:

وأشرب الماء ما بي نحوه عطش إلا لأن عيونه سال واديها

«المزهر صفحة ١٥٥».

هو الدهر لم يفتأ يفرق شملنا وتصرعنا منه أذى وخطوب
يشاكس من يبغي العلاء منافساً ومنه على جلب السرور رقيب
أريت حياة لا يخامرها عنى وما كان إلا منه لي التعذيب
إلى اللَّه أشكو نحس جدي وشقوتي وما أنا من دهري الحياة رعيب

٤٣/٧/٢٩هـ

«احتكام العدل والجمال»

«إلى الأديب الماهر ع.ص»

أمـن الـسـحـر هـذه الأعـيـن الـدعـ ـج بـراهـا الإلـه لـلـقـتـل آلـه؟!
خـط روحـي الإفـصـاد مـن قـوسـهـا بـسـهـام كـانـت لـلـبـى حـبـالـه
مـن لـقـلـبـي يـأسـو كـلـوم جـواه صـرمـتـه الـنـوى ولـم تـرع حـالـه؟!
درس الـوجـد فـي وجـوه الـحـسـا ن الغر، وانزاح عنه ستر الجهاله
زهـرة الـحـب غـضـة فـيـه فـاحـت عـن شـذى يـفـعـم الـنـفـوس طـلالـه
وجـمـال الـحـبـيـب غـشـاه حـتـى لـم يـعـد فـي الـحـيـاة يـلـقـى مـثـالـه
أدب بـــارع ووجـــه صـــبـــيـــح وجـبـيـن زان الـصـفـاء هـلالـه
ودلال رأيـــت حـــيـــرة فـكـــري فـيـه لـلَّـه مـا أحـيـلـى دلالـه!
يـتـجـلـى كـالـبـدر صـوره الـحـسـ ـن كـمـا شـاءه الـهـوى وأدالـه

* * *

دعك يا عاذلي من العذل وانهض نحتسي الحب في كؤوس النباله
«قـم بـنـا نـدعـي الـنـبـوة فـي الـعـشـ ـق نـديـن الـهـوى ونـغـشـى الـرسـالـه
آيـة الـفـخـر فـي يـديـنـا مـلـكـ ـناها، فقد سلمت علينا الغزالة»

معجزات الحبيب في الحسن حكم صارم من جماله الصباله
ولدينا من الخلال لقاها الصد والفر والرجا والعلاله

* * *

قم أضئ مشعل المحبة فالحب ضياه يفوق نور الغزاله
إن في الحب قوة تجذب الرو ح فلا نستطيع يوماً سجاله
إن في الحب قوة تصقل النفـ س تريها العلا لتقلوا البطاله
وجلال الجمال يدعو الأناسي لحياة لها السعادة هاله
ما اشتغال النفوس بالجاه والمجـ ـد يوازي اشتغالها بغزاله
ما ذكرنا الجمال إلا رأينا ذلة الصيد في القصور المشاله
ما ذكرنا الجمال إلا رأينا قلق الصب يمتطي آماله
ما ذكرنا الجمال إلا رأينا مربض الأسد مستاب حياله
ما ذكرنا الجمال إلا رأينا مشهد الحر حاملاً أغلاله
ما ذكرنا الجمال إلا رأينا عنفوان الصبا يحكم آله
ما ذكرنا الجمال إلا رأينا كل عجز إذا وصفنا فعاله
ما ذكرنا الجمال إلا رأينا نور رب السما يغشى مثاله
ما ذكرنا الجمال إلا رأينا مورد الحب، فاقتحم بي مجاله
هو سر الحياة ينفث في الكو ن من السحر ما يزيد اكتماله

* * *

ما حفيف الأشجار في الروض إلا لجلال الغرام أبهى مقاله
يشرح الوجد للنسيم، ويمنى للنجوم الهيام في كل حاله

ذاك يـعـتـل مـثـل نـفـسـي وهـذي فـي خـفـوق تـريـك قـلـبـي وحـالـه
مـا أريـج الأزهـار إلا رُقـى الـحـ ـب تـزيـل الـضـنـى وتـجـي رجـالـه
مـا خـريـر الأنـهـار إلا خـطـاب مـعـلـن لـلـنـهـى الـهـوى وجـلالـه
مـا تـغـاريـد هـذا الـطـيـر إلا دعـوات الـغـرام يـخـلـد كـمـالـه
ما دبيب الإصباح في الليل إلا لـخـطـاه فـي الـنـفـس أقـوى دلالـه
ونـظـام الأفـلاك إلا دلـيـل لانـتـظـام الـقـلـوب ضـمـن الـعـدالـه
إن لـلـعـدل والـجـمـال رواء مـا وراء الـشـمـوس إلا حـثـالـه
إن لـلـعـدل والـجـمـال احـتـكـاماً مـا احـتـكـام الـمـلـوك إلا ضـلالـه

* * *

سر حبي تقدير نفسي لحبي واحـتـرامـي اعـتـدالـه وحـمـالـه
عـزتـي يـوم يـبـتـلـيـنـي هـواه ويـذيـق الـجـوى فـؤادي احـتـمـالـه
واعـتـلائـي عـلـى الـمـلائـك يـو م الـقـرب لـمـا أحـوز مـنـه وصـالـه

٤٣/٩/٢٠هـ

«التعلل بالرسوم»

ألهو برسمك حين الوجد يغلبني والقلب تلعب في أحشائه النار
هو الشعلة تشفي النفس منظره والصب يرضيه من نعماه آثار
إن شفني النأي والتفكير أجهدني ففي الرسوم لعهد القرب تذكار

«عتاب واستعطاف»

تـــغـــضـــب الـــغـــزال وصـــــــد عـــــــن دلال
وأشـــعـــــل الـــجـــوى بـــمـــهـــجـــتـــي وصـــال
ســـلـــوه لـــمَ جـــفـــا مـــتـــيـــم الـــجـــمـــال
فـــهـــل جـــنـــا أم الـــ ـظـبـا لـــهـــا حـــبـــال
مـــهـــلاً فـــديـــتـــك الـــ ـفـــــؤاد والـــــــلآل
عـــذبـــتـــنـــي فـــلا تـــزدلـــي خـــيـــال
يـــا ريـــم لـــيـــس لـــي جـــهـــد عـــلـــى الـــنـــضـــال
هـــبـــنـــي جـــنـــيـــت هـــل مـــن الـــهـــدى الـــســـجـــال
مـــا كـــان ضـــر لـــو عـــفـــوت يـــا هـــلال!
أنـــــا الـــــذي أرى فـــي حـــبـــك الـــجـــلال
وغـــرتـــي الـــهـــوى ومـــنـــيـــتـــي الـــوصـــال
فـــلـــن وارأف بـــمـــن قـــد صـــار كـــالـــخـــلال
وارحـــم قـــتـــيـــل هـــجـــ ـرك الـــذي اســـتـــطـــال
واقـــصـــد مـــن الـــجـــفـــا واقـــصـــد خـــيـــر الـــخـــصـــال
فـــدولـــة الـــصـــبـــا لـــهـــا غـــداً زوال

٤٤/١٠/٥هـ

[زفرة ولهان]

قفا بالمغاني واسألاها بدورها عسى بعد لأي ينطق الوجد دورها
سلاها عن الكرام أين ارتياعها؟! وأين التي ناطت بنفسي أمورها؟!
أهل عبثت بالعهد بعد وثوقه؟! وإلا فما لي قد منحت نفورها؟!
أهل قادها للحب ـ مثلي ـ شادن؟ وإلا لماذا أغفلت مستجيرها؟!
أظن الهوى جالت كتائب وحيه بمهجتها والوجد أصلى ضميرها
ووقد الجوى أذكى حشاها فأصبحت على وفر نعماها تقاسي سعيرها

* * *

ولـلَّه ما أبهى زماناً أقلنا!.. وما فيه غيري إلفها وسميرها
تولى وفي نفسي إليه تطلع بودي لو أفديه الحياة وخيرها
وهل يطرق السلوان مهجة لاذعة؟! وهل تسأم الأطيار يوماً غديرها؟!
فإن رغبت عني فهل لي في الورى مهاة ترينـي عينها وفتورها
ترينـي عيوناً في هواها مقاتلي وتزجي إلى قلبي المنى وغرورها
ترينـي محياً كالربيع بهاؤه ومنه جنان الورد صاغت زهورها
ترينـي ثنايا نضد الدر سمطها فأصبح صغراها يسود كبيرها
ترينـي فرعاً جلل الليل قنوه وقداً عليه الغصن أضحى غيورها

تـريـنـي جـيـداً مـشـرئـبـاً كـأنـه . . قـنـاة مـن الـبـلـور تـبـدي نـمـيـرهـا
تـريـنـي كـمـرآة الـخـرائـد صـدرهـا عـلـيـه حـقـاق الـعـاج بـزت نـظـيـرهـا
تريني جمالاً لست أسطيع وصفه ترى النفس في أفيائه النضر نورها
براها جلال الحسن للعشق قبلة وروضـتـه الـريـا حـيـتـهـا عـبـيـرهـا

* * *

أعاذل كف اللوم إني على المدى ولوع بسلمى حين تبدي نكورها
وما شمت منها غير صدق مودة بـه مـلـكـت قـلـبـي فـبـات أسـيـرهـا
تـصـد دلالاً والـهـوى يـسـتـفـزهـا كـأن الـمـهـا قـد عـلـمـتـهـا نـفـورهـا
فـفـي ذمـة الأيـام ويـلـي بـبـيـنـهـا وسقم فؤادي حين ترخي ستورها

١/١١/٤٣هـ

[الحب صراع ونضال]

هو القتل في شرع المحبة جائز بسمر قدود أو بأسياف أعيان
وليس الهوى ما تعرفون من الجوى فليس الهوى إلا تطاعن أقران
يصارعني ظبي الغرير تطاولاً له اللَّه لا يبغي سوى كل إذعان
أريد وصالاً منه وهو يرى الجفا لوجدي قداحاً فيوهج أشجاني
إذا سل سيف اللحظ أعنو لحكمه وأرضخ مختاراً سجية ولهان
وحين الرضا أقتص منه مبالغاً وأنزل عن حقي لدى كل عرفان

٤٣/١١/٣٠هـ

[نجوى مشتاق]

صـرم الـقـلـب جـفـاك الأنـكـد أيـن مـن قـلـبـك أيـن الـجـلـمـد؟!
كـلـمـا قـلـت دنـا وصـلـي إذا بـوصـالـي جـد مـنـي يـبـعـد
لـلـهـوى أنـشـيـت والـحـب فـلا عـجـب مـنـك دلال ودد

* * *

آه يـا سـلـمـى بـنـجـواك أرى راحـة الـنـفـس وعـقـلـي يـرشـد
ولـقـاك لـكـلـومـي بـلـسـم ولـهـجـري أبـداً لا أجـلـد،

* * *

مـن بـقـلـبـي! والـجـوى أسـعـره حـيـن يـجـفـوه الـغـزال الأغـيـد!
مـن لـنـفـسـي! يـتـولـى سـهـدهـا حـيـن يـرديـهـا الـقـوام الأمـلـد
مـن لـعـيـنـي والـهـوى أرقـهـا؟! مـن لـهـا حـيـن يـطـول الـمـوعـد
كـهـربـاء الـحـب نـارت فـغـدت بـسـنـاهـا أضـلـعـي تـتـقـد
إن هـذا الـوجـد نـور بـاهـر يـبـصـر الـعـمـي إذا مـا أجـهـدوا
ودبـيـب الـعـشـق وحـي سـاهـر يـبـعـث الـمـيـت، ولـلـوانـي يـد
كـل مـن لـم يـعـشـق الـحـسـن فـمـا بـيـن جـنـبـيـه فـؤاد مـسـعـد

وإذا لـم يـعـرف الـوجـد الـفـتـى فـهـو لا شـك الـغـبـي الأنـكـد[1]

* * *

آه يـا سـلـمـى إذا الـكـاشـح لـم يـدر مـا يـحـوي فـؤادي الـمـوقـد
ورمـانـي بـالـتـي تـحـرجـنـي قـلـت مـا ألـفـا فـي كـمـن لا يـرقـد
سـاجـيـات الـطـرف تـزهـو مـرحـاً مـا لـهـا غـيـر جـنـانـي مـورد
ولـدات الـحـور تـلـهـو طـربـاً عـابـثـات بـالـنـهـى لا تـزهـد
يـتـخـطـرن غـصـونـاً ويـبـ ـن شـمـوسـاً ذويـهـن الـعـسـجـد
فـإذا عـاد فـؤادي لـلـهـوى فـلـذاك الـعـود أنـي أحـمـد
من تربى في الهوى عاف الهدى إن رآه عـنـه يـومـاً يـقـعـد

٤٣/٢/٢٧هـ

(١) لقد يظهر جلياًما في القطعة والقصيدة قبلها وبعدها من التناقض، وذلك تبعاً لمؤثرات الحوادث والمواقف التي تملك حواسه ومشاعره.. يجري قلمه في وصفها طبق ما عرضت عليه. وقد كنت في هواي الأول جائش النفس بعيد الهمة واسع الأمل. وفي الثاني كليلاً ضجراً يائساً. أفلا أحمده في الأول، وقد أراني على سعادة الحياة تحت ظلال الجمال والشرف والأمل. وإذا أنا في الثانية قد أراني شقاء الحياة تحت كلاكل المكاره واليأس والوجل ومن لم يصدق فليجرب.

«حـــذار !»

حـذار مـن الـهـوى يـطـغـى بـقـلـبـك وانـج مـن لـمـمـه
فـإمـا إن مـنـيـت بـه ولـج نـهـاك فـي حـكـمـه
فـأرجـو الـلّـه أن يـنـجـي فـؤادك مـن لـظـى حـمـمـه
بـلاء مـن تـخـطـاه تـخـطـى مـنـتـهـى ألـمـه

«ويل قلبي من عيني»

جنت عيني على قلبي وسامته الأذى عمدا
نظرت إلى محيا من أضاعت مني الرشدا
فعدت ميتماً والقلـ ـب مكبول، وما يفدى
لها طرف براه اللَّـ ـه.. عابد جدا
حواجبه كقوس النصـ ـر لكن يختل الأسدا
ووجه كالرياض حوى مباهج تبعث الوجدا
وأنف زان نضرته قنىً كالمنتضى حدا
وجيد كالصباح إذا بدا يستوجب الحمدا
وفرع فاحم كالليـ ـل لا سبطاً ولا جعدا
وزاد بعقدها وهجاً كما هو بهج العقدا
عليه كأكرة الماس الـ ـلتي رصعت ندا
نهود بارزات أو كتفاحين قد ندا
وقد كالقنا، ويل الـ قلوب يقدها قدا
شمائلها يضيق الوصـ ـف عن إحصائها عدا
تبارك ربنا من الـ ـجمال أصارها بندا

* * *

بـــروحـــي هـــذه مـــن لـــم أجـــد مـــن حـــبـــهـــا بـــدا
مـــهـــاة مـــا رأيـــت لـــحـــســـ ـنـــهـــا شـــبـــهـــاً ولا نـــدا
ســـقـــتـــنـــي مـــن مـــراشـــفـــهـــا ســـلافـــاً ريـــقـــاً شـــهـــدا
ومـــن يـــدهـــا مـــعـــتـــقـــة تـــشـــب كـــؤوســـهـــا وقـــدا
فـــأغـــرت مـــهـــجـــتـــي وجـــداً وأبـــلـــت مـــقـــلـــتـــي ســـهـــدا
ســـكـــرت مـــن الـــغـــرام كـــمـــا ســـكـــرت مـــن الـــطـــلا جـــدا
فـــبـــؤت وصـــرح عـــقـــلـــي عـــا د مـــنـــثـــلاً ومـــنـــهـــدا
وعـــدت ولـــيـــس أمـــلـــك غـــيـــ ـر مـــا يـــدعـــونـــه وعـــدا

* * *

فـــمـــن ذا يـــســـتـــطـــيـــع وقـــد غـــوى لـــهـــوى الـــظـــبـــا ردا
فـــوا رحـــمـــا لـــمـــن ســـار الـــ ـهـــوى بـــفـــؤاده وحـــدا
وعـــاشـــت فـــي حـــشـــاه يـــد الـــ ـصـــبـــابـــة لا يـــرى رفـــدا
شـــقـــاء لـــلـــجـــســـوم وإن غـــدا لـــنـــفـــوســـنـــا ســـعـــدا

١١/٧/٤٤هـ

«موشح البدر»

ـ ١ ـ

يـا بـدر! أشـرق عـلـيـنـا
واهـد الـسـرور إلـيـنـا
مـع الأمـان
فـالـقـلـب بـالـحـب يـخـفـق
يـا بـدر! فـاعْـطـف وأشـرق

ـ ٢ ـ

أضـعـت رشـدي بـهـجـرك
واحـتـرت فـي كـنـه أمـرك
مـع الـزمـان
هـلا أزحـت الـغـمـامـا
عـن جَـوِّنـا، والـظـلامـا

ـ ٣ ـ

بـالـحـسـن فـيـك جـلـيـلا

والــدل مــنــك جــمــيــلا
قــد اســتــبــان
دع مــن جــفــاك قــلــيــلا
يــا بــدر! واشــف الــعــلــيــلا

ـ ٤ ـ

بــالــورد فــيــك تــبــســم
عــلــى الــخــدود، وهــيــم
قــلــبــي فــدان
قــم نــشــد حــلــو الأغــانــي
يــا بــدر! بــيــن الــغــوانــي

ـ ٥ ـ

مــا لــلــغــوانــي وقــلــبــي
وقــد رحــلــن بــلــبــي
بــــلا رهــــان
فــفــي ريــاض الأغــانــي
يــا بــدر! نــجــنــي الأمــانــي

ـ ٦ ـ

هــذي الــزهــور أشــارت
عــلــى الــغــصــون وفــاحــت
تــصــبــي الــحــســان

فَـمُـنَّ بـالـوصـل عـطـفـاً
يـا بـدر! واخـتـرنـي إلـفـاً

ـ ٧ ـ

قـم نـحـس كـأس الـحـمـيـا
ونـــطـــرد الـــهـــم هـــيـــا
مـــن الـــجـــنـــان
فـــالـــراح روح الـــحـــيـــاة
يـا بـدر! فـاغـنـم وواتـي

٤٤/٩/٢٨هـ

[الهوى كتمانه]

من أحب فكتم وعف: فمات، فهو شهيد «حديث»..

غير سري لدى الهوى في شتات جل سري عن أن يباح لذات
إن قلبي على الغرام مقيم.. واسع الرحب مشملاً بالأناة
إن سطا الحب فالتحمل درع يتلقى صوارم اللحظات
ما على النفس للهوى من سبيل إن رأته يقي عن الحسنات
في الهوى للنفوس كل حياة إن حباها مواضع النيرات
ولنا في الجمال كل رشاد إن أنار العقول والمهجات
ولئن كان مثلما يعشق النا س لنيل الأوطار والغايات
ما أضل الهوى وأذل الحسـ ـن مرمى لرائدي الشبهات
خسة في الطباع ينفر منها كامل النبل طاهر الخطوات

* * *

أنا في الحب مفرد غير أني لست أبغي في الحب بث شكاتي
واعد الحبيب علم شجوني وهيامي وقارص اللوعات
فكأني إذا حضرت لديه.. زائر أتى بلا ميقات
وإذا ما أتى لداري وحيداً كنت معه كخاشع في صلاة

إن تكلمت كان نطقي وجيزاً كالندى تسمح بالقطرات
وهو إن جال في الحديث ترى الآ ذان مني لقوله مصغيات
مأملي نظرة إلى وجهه الضحيا ن، تطفي مواقد الحسرات
ووصال منه أرى فيه مآ مل للقلب من نعيم الحياة
إنّ هذا هو الهوى في كتابي لاعناق وصيب القبلات
وكذاك المحب لا من ينادي بهواه في ملتقى الطرقات
يلفت الغر للملامة والعذ ل، فيغدو المثار للنكبات
يلجيء الخشف للنفار فيمسي ثائر لهم. طائر الزفرات
وهو الحب معلن عن ذويه بسناه وعاطر النفحات
ليس يحتاج في الورى لنداء عنه فهو التفسير للعاطفات
سبة شهرة العميد هواه وضلال في الحب كل شكاة

٩/١٠/٤٣هـ

«ما زلت للحسن عبداً»

تـصـدى لـهـجـري وأجـفـل عـمـداً فـلـم أر قـبـل رشـا مـسـتـبـدا
وأغـراه بـالـفـتـك حـسـن فـريـد يـبـز الـحـسـان مـحـيـاً وقـدا
مـحـيـا بـه الـورد أزهـر غـضـا وقـد كـمـا الـبـان بـل هـو أنـدى
تـعـثـر لـمـا رآه الـصـبـا ح وأطـلـق مـنـه حـيـاء وأكـدى
تـمـلـكـنـي وأنـا الـشـامـس الـ ـعـصـي، وأوسـع قـلـبـي وجـدا
وأرغـم أنـفـي الأبـي ولـم أجـد مـن رضـوخـي وطـوعـي بُـدا

* * *

رويـدك يـا راغـمـي فـبـمـهـ ـجـتـي عـرش حـبـك قـدمـاً أعـدا
وأصـبـح قـلـبـي كـالـروض يـنـ ـبـت الـحـب فـيـه غـضـاة ووردا
أقـام الـجـمـال عـلـى جـانـبـيـه بـنـاء الـهـوى فـعـلا وتـعـدى
فـمـا هـو إلا وبـالـحـسـن أضـحـى ولـوعـاً وفـي الـعـشـق أصـبـح فـردا
تـعـطـف عـلـى كـبـد حـرة أبـت لـسـواك انـقـيـاداً وقـيـدا
تـذكـر فـتـاك الـذي إن مـنـحـ ـتـه الـصـد أولاك حـبـاً وودا
وإن أوهـن الـعـهـد عـذل الـوشـاة سـعـى لـك تـواً لـيـبـرم عـهـدا

وإمـــا شـــكـــوت غـــداً حـــزنـــاً وجـد لـيـكـشـف مـا فـيـك جـدا
وإمـــا دعـــوت أجـــاب ومـــا يـريـد سـوى أن تـكـون الـمـفـدى
فـإن جـئـت لـنـفـسـي مـلـكـاً فـإنـي مـا زلـت لـلـحـسـن عـبـدا

٤٥/١/٦هـ

«يـا بـدر !»

أنـت يـا بـدر! مـلـهـم الـشـعـراء أشـرف الـقـصـد فـي أشـف مـلاء
أنت ملهى نفوسهم في هجير الخط ـب أنـت الـعـزاء لـلـبـؤسـاء
أنت يا من يمثل الطهر والعفـ ـة أنـت الـبـشـيـر بـالـسـراء
أنـت وحـي الـهـوى وأنـت رسـو ل الـحب بين العيون والأحشاء
أنـت سـر الـجـمـال حـيـر أفـكـا ر الـحـكـيـم الـمـسـدد الآراء
يـتـغـنـى بـحـسـن وجـهـك مـن ذا ب الـتـيـاعـاً وبـاء بـالأكـداء
ويـخـر الـعـشـاق ذكـرى وشـوقـاً حـين تـبـدو في بـهـجـة الـحـسـنـاء
ومـنـى الـكـل أن تـكـون عـلـيـهـم عـاطـفـاً راضـيـاً فـجـد بـالـرضـاء

* * *

أيـن يـا بـدر! قـد مـلـكـت نـهـانـا وأذقـت الـنـفـوس خـمـر الـرواء
وقـدحـت الـقـلـوب حـبـاً ووجـدا وحـرمـت الأعـيـان مـن إغـفـاء
غـيـر أنـا ونـحـن طـوع لـيـمـنـا ك جـهـلـنـا سـراك فـي الـظـلـمـاء
ألـمـرمـى سـراك يـا بـدر أم تـسـيـا ر شـخـصٍ قـد مـل طـول الـثـواء؟!
أم هـو الـسـعـي فـي رضـاء حـبـيـب شـأن صـب كـواه مـر الـجـفـاء؟!
أم هـو الـكـدح والـجـهـاد تـثـير النـا س جـمـعـاً إلـيـهـمـا فـي الـعـراء؟!
أم هـو الـبـحـث والـطـمـوح إلـى مـا غـر عـمـن سـمـا مـن الـعـظـمـاء؟!
أم هـو الـتـيـه والـدلال أبـاحـا لـك هـذا الـتـجـوال فـي الـظـلـمـاء؟!

«قيثارتي»

في ارتكام الظلام
واشتباك الغمام
عند نقض الذمام

هات لي قيثارتي أشد ألحان الهيام

إن قلبي الوجيع
ما له من شفيع
عند حبي[1] الرفيع

فعسى قيثارتي تهدني نحو المرام

يا رفيق الهنا
أين منى المنى!
قد براني العنا[2]

هات لي قيثارتي فهي لي طب السقام

---

(١) الحب: بكسر الحاء: المحبوب.
(٢) العنا: التعب والأسر.

فـي الـغـنـاء الأُسـا[1]

لـــفـــؤاد قـــضـــى

تـحـت عـسـف الـهـوى

هـــات لـــي قـــيـــثـــارتـــي كـــي بـــهـــا أطـــغـــى الأوام

فـي الـغـنـاء الـرُّقـي

لـــنـــفـــوس الـــورى

مـن عـيـون الـعـدى

هـــات لـــي قـــيـــثـــارتـــي تـــحـــمـــنـــي يـــوم الـــمـــلام

فـي غـرامـي الـهـدى

لا تـلـمـنـي سـدى

يـا عـذولـي كـفـى

طـــالـــمـــا قـــيـــثـــارتـــي عـــلـــمـــت نـــفـــسـي الـغـرام

هـــو حـــبـــي فـــمـــا

غـيـره لـي حـمـى

فـــي فـــؤادي نـــمـــا

وعـــلـــى قـــيـــثـــارتـــي عَـــلَّـــم الـــنـــوح الـــحـــمـــام

يـا لـسـرب الـهـديـل!

أسـعـفـوا ذا الـعـلـيـل

بـغـنـاء جـمـيـل

---

(١) الأسا بضم الهمزة: جمع أسوة وهي ما يتعزى به.

وامنحوا قيثارتي صدحكم يوم الوئام

إن وحى الغناء

أنزلته

فتغنوا سواء

بغنا قيثارتي قبلما يأتي الحمام

٤٥/٢/٢٦هـ

«رهـق الكاس»

أسـلـمـتـنـي لـوافـح الـهـجـران، لـلـضـنـى والـجـوى ومـر الـشـفـاء
بـيـنـمـا يـأمـل الـفـؤاد وصـالاً يـمعـن الـحب في الـنوى والـجفاء
أمـل شـائـق، ويـأس مـلـح أنـا مـن ذيـن فـي أتـون بـلاء
أفـصـبـر ومـا إلـيـه سـبـيـل، ورجـاء ومـالـه مـن ذمـاء
إن دعـانـي الـهـوى لـنـكـراء يـومـاً قـام داعـي الـهـدى وهـب حـيـائـي
بين بر الهدى ونجوى التصابي حـار قـلـبـي ومـالـه مـن نـجـاء
والـمـنـى ومـا أحـيـلـى مـنـانـا آه لـو نـمـنـح الـمـنـى بـالـرجـاء
هـي فـي الـعـيـش عـلـى الـمـرء أمـا ذهـبـت فـالـعـيـش رهـن الـعـفـاء

* * *

أرهـق الـكـاس واسـقـنـي يـا نـديـمـي هـو يـوم الـهـنـاء والـسـراء،
لا يـفـتـك الـراح فـي خـلـس الـدهـ ـر وبـادر إلـى اهـتـبـال الـرخـاء
وغـداً عـنـدمـا يـوافـيـك نـعـيـي فـاكسر الكأس واغتفر لي خطائي

١٦/٥/٤٥هـ

«رجاء في الهوى»

دعي عنك التجني إن قلبي ... ليتلفه التجني والتجافي
لئن رابتك غائلة الليالي ... فصدقي في الصبابة غير خاف
فلا تدعي نسيء إليه ظلماً ... ظنونك في البرايا واعترافي[1]

ولما شرحت الوجد يوم دنوها ... ورحت كأني للجفاء مولد
ندمت على نطقي وإن أخا الهوى ... لينطق أحياناً بما ليس يقصد

١٠/١/٤٦هـ

(١) قد يجني الاعتراف بالحب على صاحبه. وعليه قلت أيضاً.

«ساعة لقاء وفراق»

حسرت يوم قابلتني قناعاً عن محيا يشع نوراً جميلا
ثم عند الفراق مدت يديها لوداعي ومعصماً مصقولا
معصم رق كالضياء صفاء كاد لولا سواره أن يسيلا
برهة للنعيم مرت سراعاً وتلتها التي تضل العقولا

٤٦/٤/٣٠هـ

«الهوى ودواعيه»

أأسلو الهوى والبدر في كبد السما ... يهيب بقلبي نحوه حين يسطع؟!
وكيف تحيد النفس عما يجرها ... إليه دواع ماثلات تشجع!
وهل في الهوى نكر إذا ما انتمى له ... فتى جل ما يرجوه عيش ممتع!
ضلال يروم اللائمون رجوع من ... تردى به، هل في المقادر مطمع!
بلى! فاحجبوا عنا الحسان لتبعدوا ... هواهم، وقولوا للمحاسن تنزع
وردوا طلوع الشمس والبدر والسهى ... وقولوا لأزهار الرياض تسفع
وقولوا لغصن البان يقصف عوده ... وقولوا لهذا الكون يطوى ويرفع
وقولوا لهذا القلب يهدا وجيبه ... وقولوا لهذي النفس تخبو وتهجع
وإلا فلا تلحوا مقيماً على الهوى ... وليس له عنه مناص ومنزع
فكل الذي في الكون داع إلى الهوى ... وقلب بني الإنسان يعنو ويخضع!

١٠/٢/٤٦هـ

«يا رعاة الحسن»

ظبية في الحي أصلت مهجتي ... نار وجد واشتياق وحنين
أطمعتني المنى في حبها ... وأرتني رقة تغري ولين
يا لها ممشوقة القد رمت ... ليث غاب بسهام من عيون
فتصابى وهو في صولته ... وعنا للحب في ذل وهون
ودنا يرجو وصالاً ولقا ... ورضا من بعد ميثاق متين
وارتمى مستعطف تلقاءها ... فاجتوته، يا لها خب ضنين
صرمت حبل وداد طالما ... كان يرعاه على مر السنين
وارته في هواها كلما.. ... يمنع النوم ويحتز الوتين
صاح لما أن كواه حبها ... وأضاع الرشد فيها والخدين
ورأى العشاق جمعاً حولها ... بين باكٍ وصريع وحزين
يا رعاة الحسن هل لي منقذ ... منكم ينشل قلبي أو معين
فأجاب الكل مهلاً إننا ... ما سمعنا قط شكوى العاشقين
ما جحيم الحب للعشاق إلا ... نار إبراهيم برد اللاجئين
كتب الحسن على أبوابها ... أدخلوها بسلام آمنين
فتولى قائلاً في دهشة: ... رب صب يتلظى مستكين

يا لها من خدعة رمتم بها إن تضلوا الضعفاء البائسين

* * *

ويل أم الناس في هذي الدنى يخدعون المبتلى منهم بلين
فإذا ما الفرد منهم غاله ما يذيب الصم جاءوا مسرعين
أوسعوه الصبر سلواناً وهم ربما كانوا شجوناً في شجون

٤٦/٣/٣هـ

«ترجمة شعر من اللغة الملايوية»

كم ذا لدى لحسن وجهك مشرقاً من معجزات تخرس الأعداء
أتجرع ألم الزعاف تجاهه فيعود أقوى ما يكون شفاء
وأصيح بالشكوى لهجرك موجعاً وإذا وصلت أذوب منك حياء

«الشيـــب»

لمع الضوء في ظلام الليالي غرر الشيب في سواد القذال
هل للمرء آية تنبئ المرء بأن الحياة رهن الزوال

«على بلاج السويس»

بـدأت تـطـل كـمـا تـطـلْـ ـل الـبـدر مـن بـيـن الـغـيـوم
سـلـبـت قـلـوب الـنـاظـريـ ـن فـلا تـرى إلا وجـوم
ولـذاك أذهـلـه الـهـوى فـيـظـل مـفـقـود الـنـعـيـم
وبـذا اسـتـبـد الـوجـد لا يـدري أيـسـعـد أم يـهـيـم
أواه مـن غـيـد الـبـلا ج ومـن هـواهـن الـمـقـيـم
يـهـزأن بـالـبـحـر الـعـظـيـ ـم فـهـل درى الـبـحـر الـعـظـيـم
يـا بـحـر هـل لـك مـثـلـنـا قـلـب تـسـاوره الـهـمـوم
يـخـشـى دلال الـغـانـيـا ت ويـرتـضـي ذل الـكـلـيـم
لـلَّـه أنـت إذا لـطـفـ ـت تـزيـل آلام الأليـم
تـحـنـو عـلـى الـهـيـفـاء تـر قـص فـيـك كـالـظـبـي الـوسـيـم
وتـلاعـب الأمـواج تـقـ ـهـر عـاتـي الـلـج الـجـسـيـم
فـي مـجـسـد[1] يـبـدي مـحـا سـن جـسـمـهـا الـعـاري الـسـلـيـم
وإذا قـسـوت فـمـا لـقـسـ ـوتـك الـرهـيـبـة ـ يـا غـشـوم!

(١) المجسد هو القميص الذي يلي الجسم. ونريد به هنا (المايوه).

مـــن قـــاهـــر فـــارفـــق ولا تـفـتـك بـهـاتـيـك الـجـسـوم
أنّـــا وإن ذقـــنـــا الـــجـــوى نـبـغـي لـهـا الـعـيـش الـبـسـيـم

١٣٥٧/٧/١هـ

«يا ربة الحسن الفريد»

أتراي أنظر وجهك الـ.. ـوضاح مصقول الجبين
يا ربة الحسن الفريـ.. ـد وراية الطهر المكين
وآية العطف المنيـ.. ـع وفتنة للمبتلين
أم أنظر السحر المبيـ ـن يشع من نور العيون
فلقد سفرت كطفلة الـ ـفجر المنير على الغصون
بين الخمائل والأزا هر بين أفنان الفتون
ولقد جمعت محاسن الـ ـكون العظيم. ولا أمين!
وكسيت أبراد الجما ل فيا لعجز الواصفين
في الشمس بهجة حسنك الـ ـوهاج تصبي الوالهين
والبدر فيه سناك يشـ ـرق في الدجى للمهتدين
والروض فيه بهاؤك الـ ـقتال ليس له قرين
والبحر فيه هدوؤك الـ ـجبار يهزأ بالظنون
والورد مفتضح العيا ل تجاه خدك والجفون
والأقحوان الغض يغـ ـض الطرف عن خجل وهون
عند ابتسامتك التي يفتر لؤلؤها المصون
من بين خطي شفق ثان يحاذره الأمين

نـظـراتـك الـسـكـرى إذا غـزت الـقـلـوب فـلا مـعـيـن
أمـا خـطـرت نـزا الـفـؤا د يـطـل مـن حـدق الـعـيـون
وتـواثـبـت أحـلامـه وتـلامـعـت بـيـن الـشـجـون
فـيـلـج فـي وهـج الـصـبـا بـة مـمـعـناً لا يـسـتـكـيـن..
لـج الـفـراشـة فـي الـديـا جـي حـول نـار الـمـصـطـلـيـن
هـو قـدك الـمـيـاس يـبـ ـهـرنـا ويـعـمـي الـعـاذلـيـن

* * *

إنـا لـنـرجـو مـنـك مـا يـرجـو الـمـديـن. مـن الـمـديـن
بـراً يـذود عـن الـقـلـو ب مـرائـر الـوجـد الـدفـيـن
وأسـى تـرد إلـى الـنـفـو س حـيـاتـهـا الـغـالـي الـثـمـيـن
تـلـك الـتـي رخـصـت لـحـبـ ـك فـارتـضـت عـيـش الـمـهـيـن
وأذاقـهـا الـهـجـران فـي سـطـواتـه صـاب الـمـنـون
حـلـم إذا مـا قـد تـحـقـ ـق واسـتـحـال إلـى يـقـيـن
لـهـو الـحـيـاة تـضـم فـي جـنـبـاتـه الـجـد الـقـمـيـن

* * *

أواه مـن حـرق الـفـؤا د وآه مـن سـهـر الـجـفـون
تـتـقـطـع الآمـال حـيـ ـرى فـي نـفـوس الـعـاشـقـيـن
تـبـغـي الـوصـال فـلا وصـا ل، فـيـا لـمـعـتـرك الـشـجـون!
ويـلاه مـن جـد الـهـوى ويـلاه مـن هـزل الـسـنـيـن
هـاتـيـك تـسـخـر بـالـقـرو م وذاك يـبـتـعـث الأنـيـن!

١٣٦١/٤/٨هـ

«ذكريات الصبا في المشيب»

أوغل الصغر ممعناً في الذهاب ... إثر عهد الصبا وعهد الشباب
إن عهد الشباب عهد وضيء ... مستطير السنا عزيز الجناب
وارف الظل مستفيض هناء ... مترع الكاس بالعجيب العجاب
آه من لي برجفة من ليا ... ليه وأيامه اللطاف الطراب
يا رعى اللَّه ذلك العهد حيـ ... ـث النفس تنساب في الأماني العذاب
تتهادى في دلها وصباها ... ـ كتهادي النشوان ـ بين الصحاب
تلقى الحياة باسمة الثغـ ... ـر وتختلي في طرى الإهاب
إن بدا الصبح كان للصبح فيها ... نفحة الخلد بين خضر الروابي
وإذا أقبل المساء استجابت ... لهواها وأشرقت في الطلاب
تقتل الليل في انشراح ولهو ... وابتهاج وفرحة واصطخاب
وترى في ذكاء تدأب رمزاً ... لحياة ـ تمر مر السحاب
توسع الكون بهجة وصفاء ... وتتيح الآمال للطلاب
وتنيل المجد ما رام سعداً ... وتذيق الغافين مر العذاب
ـ فاستغلت قوارب المجد تعدو ... لا تبالي في عدوها بالصعاب
تغنم الوقت في سبيل هواها ... وهداها فيا لطول الشياب!

* * *

ذاك عـــهـــد إذا ذكـــرت جـــداه طال في الشيب حسرتي وعتابي
واستـطـار الـفـؤاد مـنـهـا ووجـداً ومضى الدمع مسرعاً في انسكاب

١٥/٤/٦٣هـ

«تحية منال الغالية»

يا منال الخير يا صنو القمر ... وملاكاً زاهي الحسن أغر
وملأت الدار نوراً وهنا ... وملأت السمع منا والبصر
صوتك المزدان في ساحاتها ... مهج أعذب من صوت الوتر
أنت سلوى كل من حل بها ... حلوة البسمة في شتى الصور
أنت في دنياك زهر يانع ... يبعث الفرحة مولينا الثمر
أمك البرة تحبوك بما ... ملكته من حنان وسهر
لترى فيك فتاة برة ... أمل الواثق يحدوه القدر
وأبوك الشهم يوليك الرضا ... ويرى فيك مفاتيح الظفر
يا رعاك اللَّه وليت الردى ... وتنحت عنك أجواء الكدر
لك مني قبلات جمة ... وتحايا الود والشوق العطر
قد ملأت النفس سعداً مشرقاً ... وملأت القلب بالحب الأثر

١٣٧١/١٠/٢٧

«مناجاة صورة»

أنـاجـي رسـمـك الـحـالـم وقـلـبـي فـي الـجـوى جـاثـم
وإنـي دائـمـاً أصـبـو لـرنـة صـوتـك الـنـاعـم
عـلـى الـتـلـيـفـون فـي الإصـبـا ح يـعـلـو نـجـوك الـراحـم
تـطـوف بـنـفـسـي الـذكـرى طـواف الـثـائـر الـنـاقـم
وتـشـعـل فـي فـؤادي الـنـا ر نـار مـدلـه واجـم
فـانـظـر فـي مـحـيـاك الـ ـنـضـيـر عـلالـه الـهـائـم
مـحـيـا زانـه تـاج لـه مـن شـعـرك الـفـاحـم
فـألـقـى الـبـشـر والإيـنـا س يـعـلـو وجـهـك الـبـاسـم
وأزهـو زهـو طـفـل غـا رق فـي لـهـوه حـالـم
وأحـيـا فـي الـخـيـال حـيـا ة مـوفـور الـجـدا نـاعـم

١٣٧٢هـ

«الأمل النائي»

أعيش بالأمل النائي يورقني ... ويملأ النفس أحلاماً وأشجانا
يا ليت شعري هل أحظى على عجل ... بما أريد من النعمى بلقيانا
يا بهجة النفس إن الحب أوردني ... صفو الحياة لماما والجوى آنا

«البكـــــور»

أذن الـديـك والـصـبـاح فـهـيـا يـا نـديـمي إلـى ارتـشـاف الـحـمـيـا
حـــبـــذا الارتـــواء فـــي غـــلـــس الـفـجـر يـنـادي بـه مـلـيـح الـمـحـيـا
شـادن فـاتـن الـلـحـاظ رشـيـق غـنـجـه يـرمـض الـخـلـي الـتـقـيـا
ويـح قـلـبـي الـشـجـي يـطـعـمـه الـوعـد مـن الـغـيـد فـي الـوصـال حـفـيـا
فـإذا الـوعـد كـالـسـراب يـضـل الـظـامـئ الـغـرّفـي الـحـيـاة مـلـيـا
أتـرع الـكـاس إنـه يـحـيـي مـنـيـة روح قـلـبـي ولا ضـنـيـن عـلـيـا

«سمـــــراء»

سمراء يا شمس الأصيل الساحرة ... أصميت قلبي باللحاظ الفاتره
سمراء يا ذوب النضار مرقرقاً ... كالخمر تجلوها الكؤوس السافره
سمراء يا أخت المهاة يزينها ... خفر العذارى في البرود الناضره
سمراء يا أنس القلوب وراحها ... بين الخمائل والرياض الزاهره
ما كنت أرغب أن أراك هزيلة ... كالغصن أوهته الثمار الفاخره
حتى رأيتك والقوام مهفهف ... لدن تهدهده النهود النافره
والخصر توثقه إلى أعطافه ... ردفان رجراجان يشده ناظره
آمنت أن الحسن في ألوانه ... وفتونه يهدي العقول الحائره
هذا الجمال يقودني لمصارعي ... ويلاه من عسف القدود الباتره
ما كان أطوعني لِجورك في الهوى ... مهما قسوت فأنت أنت الآمره
جور الحبيب على المحب محبب ... يذكي الصبابة في النفوس الثائره
زيدي دلالاً كي أزيد تدلهاً ... فأذوق معسول الهوى ومرائره
إني لأهوى في رضاك نعيمه ... وأحب في الدل الجميل مخاطره
لا يقدر العيش البسيم صفوه ... من لم يذق طعم الجوى وفواقره

١٣٧٢هـ

«بكـــاء حـــار»

بكيت فأبكيت الفؤاد المتيما ... وأنهلته دمعاً وأنهلني دما
بكيت على صدري فألهبت وجده ... وما الوجد إلا النار في القلب مضرما
بكيت فهل كان البكاء علالة ... لمن آده الجهد الممض ومغنما
حنانيك روح اللَّه تغشاك فأنعمي ... ولوذي بها إن خانك الدهر مجرما
ولا تسلمي للحزن نفسك واسلمي ... لقلب يرى فيك الجمال المجسما
يرى فيك ما يهوى من العطف والمنى ... فيا سعده قلباً أحب فأنعما

١٣٧٦/٣/٢٠هـ

«هدى وضلال»

في لماك وما أرق لماك ... سورة الخمر احتسيها عشيا
قد محوت معالم «الروح» عنه ... لترى العين لونها القرمزيا
شفق يبهر النفوس رؤاه ... وعقار يفيض عطراً وريا
هاتها هاتها أرو غليلي ... وأمص الرضاب حلواً شهيا
أنت من أنت؟ قد أثرت فُؤادي ... وسلبت الرشاد مني عتيا
أنت من أنت؟ لاعدمتك للحسن ... مثالاً مهذباً عبقريا
أنا نشوان من جمالك يا من ... كنت لي في الحياة نوراً سريا
وأرى فيك يا فتاتي هدايا ... مثلما كنت لي الضلال الرضيا

١٣٧٦هـ

«شهادة مسجلة»

رشـا بـارع الـجـمـال أديـب ... ساحر اللفظ قد عشقت مقاله
حين كان التليفون يملأ سمعي ... بـحـديـث لـه يـفـيـض طـلالـه
وعـشـقـت الـجـمـال فـيـه وإن لـم ... تـر عـيـنـي صـفـاتـه وجـمـالـه
بـات يـذكـي الـغـرام في صـديـقـي ... وهـو صـب يـذوب وجـداً حـيـالـه
شـفـه الـنـأي والـهـيـام وأضـحـى ... شـارد الـصـبـر لا يـطـيـق احـتـمـالـه
لـو طـار يـومـه لـيـراه ... حـقـق الـلّـه فـي الـهـوى آمـالـه
يـا حـبـيـب الـصـديـق تـطـلـب مـني ... لـصـديـقـي شـهـادة وكـفـالـه
آه لـو كـنـت هـهـنـا لـتـراه ... كـيـف يـسـتـعـجـل الـبـريـد رسـالـه
تـحـمـل الـعـطـف والـرضـا مـنـك جـمـا ... فـيـعـب الـسـرور حـتـى الـثـمـالـه
وإذا مـا الـبـريـد ابـطـأ يـومـاً ... فـقـد الـرشـد واحـتـوتـه الـجـهـالـه
هـاك مـنـي شـهـادة فـي قـصـيـد ... يـعـرب الـشـوق والـثـنـا فـي جـلالـه
شـوق مـنـه يـأسـر الـجـمـال نـهـاه ... ويـرى فـيـه سـعـده واكـتـمـالـه
ونـداء عـلـى سـؤالـك عـنـه ... إن هـذا الـسـؤال شـدّ عـقـالـه
أنـت فـي روحـك الـطـريـفـة فـذٌّ ... مـثـلـمـا أنـت عـزة ونـبـالـة
دمـت رمـزاً يـهـفـو إلـيـه فـؤادي ... ومـلاذاً أشـتـاق دومـاً وصـالـه

١٣٧٧/٢/٢٦هـ

«لم أدر ماذا حلّ بي؟»

مضت شهور أربعة أمسيت فيها إمعَه
مشرد الفكر كمن يبحث شيئاً ضيعَه
بلى أضعت مأملي وكل أفراحي معَه
لم أدر ماذا حل بي أضاع عقلي مهيعَه
أقضي الليالي ساهراً أرعى النجوم اللامعَه
وفي نهاري أرقب الـ ـبريد أبغي متعَه
رسائلاً مثل الربيع بالورود مترعَه
تروي فؤادي بهجة وتملأ النفس دعَه
أمنية تحلو إذا حقت جداها مسرعَه
كالفجر تمحو ظلمة الـ ـيأس رؤاها الرائعَه
لكنني وا أسفي لست أراها طيعَه
لوعني الهجر وما كنت ألفت مرتعَه
فالقلب يبريه الجوى والجفن يذري أدمعَه
يا هاجري رفقاً بصب في الهوى ما أضيعَه
لا أنت تأسوه ولا في البعد أهلوه معَه

مـــازال يـــرمـــيـــه الـــنـــوى بـــكـــل بـــلـــوى مـــفـــزعَـــه
قـــد خـــانـــه الـــصـــبـــر فـــمـــا عـــاد يـــطـــيـــق مـــضـــجـــعـــه
أواه مـــــــن وجـــــــد بـــــــه أواه مـــــــــــن روعـــــــــــه
أواه مـــــــن غـــــربـــــتـــــه يـــكـــفـــيـــه مـــا قـــد لـــوعـــه

١٣٧٧/٣/٥هـ ـ الرياض

«زيـارة طيـف»

زارنـي طـيـفـهـا فـأروى فـؤادي بـالأمـاني الـعـذاب ضـمـاً ولـثـمـا
زارنـي طـيـفـهـا فـكـان وصـالاً بـعـد طـول الـبـعـاد أفـضـل نـعـمـى
عـشـت يـا طـيـف لـلـعـمـيـد الـمـعـنـى إن قـلاه الـحـبـيـب جـوراً وظـلـمـا
أنـت لـلـصـب فـي جـواه رؤوف أنـت لـي فـي الـغـرام أعـظـم رحـمـى
طـال شـوقـي إلـى الـلـقـاء فـكـنـت الـمـسـتـجـيـب الـمـجـيـر جـفـواً وسـلـمـا
جُـدْتَ بـالـوصـل والـبـنـاء كـريـمـاً بـالـغ الـعـطـف لاعـدمـتـك شـهـمـا

١٣٧٧/٣/١٠هـ

«هدية فاخرة»

حبتني الحبيبة سلسلة ... من الذهب الخالص الفاخر
تشع سناء يشيع السرو ... ر ويجلو الغشاوة عن ناظري
هدية سيدة الفاتنات ... لعاشقها الواله الساهر
أسلسة الحب أنت الوثاق ... لقلبي ورمز الوفا العامر
فديتك سلسلة أفعمت ... حياتي بوابل المنى الزاخر
وكنت كزهر الربا ملأت ... رحابي بكل شذى عاطر
وكنت كناي الطروب شدا ... بلحن الهوى الشائق الساحر
وكنت أرى اليمن فيك وما ... يروق لكل فتى كابر
غزوت الفؤاد ملكت الزمام ... فيا لك من مالك ظافر
لقد كنت حراً فأصبحت عبداً ... فيا لك من سيد قاهر
رضيت عبوديتي فاخراً ... لك اللَّه من صائد ماهر
فقدتك يا سلوتي بعد ما ... أنست بمقدمك الزاهر
فقدتك في مصر يوم الترحل ... بين الجوى والقضا الباتر
وأصبحت في موطني مثقلاً ... بذكراك مرتبك الخاطر

١٣٧٨/٤/٢٠

«رسم الشباب»

أهـديـك رسـم شـبـابـي نـضـراً طـرى الإهـاب
لـتـنـظـري فـرق مـا بـيـن شـيـبـتـي والـشـبـاب
وا حـسـرتـي يـا مـهـاتـي عـلـى زمـان الـتـصـابـي
قـد كـنـت فـيـه رشـيـقـاً أتـيـه بـيـن الـصـحـاب
ولّـى فـولـت عـهـود مـلـيـئـة بـالـرغـاب
ولـوح الـشـيـب سـمـتـي وهـز مـن أعـصـابـي

١٣٧٨/٩/٢٨

«مناجاة على البعد»

كـــم ذا أبـــثـــك وجـــدي ... فـــي وحـــدتـــي وبـــعـــادي
يـــا مـــأمـــلـــي فـــي حـــيـــاتـــي ... ومـــنـــتـــهـــى إســـعـــادي
آمـــنـــت بـــالـــحـــســـن تـــعـــنـــو ... لـــه الـــنـــفـــوس الـــصـــوادي
وبـــالـــجـــمـــال مـــهـــيـــبـــاً ... يـــهـــيـــم فـــيـــه فـــؤادي
تـــجـــمـــعـــا فـــيـــك طـــراً ... مـــــن طـــــارف وتـــــلاد
تـــركـــت مـــصـــر وقـــلـــبـــي ... مـــن شـــوقـــه فـــي ازديـــاد
يـــا مـــلء نـــفـــســـي حـــبـــاً ... ومـــالـــكـــي وعـــمـــادي
ومـــلء قـــلـــبـــي جـــلالاً ... يـــوهـــي ســـنـــاه جـــلادي
ومـــلء عـــيـــنـــي جـــمـــالاً ... أضـــعـــت فـــيـــه رشـــادي
كـــم ذا لـــوصـــلـــك مـــن ذكـــ ... ـرىً مـــــــدى الآبـــــــاد
وكـــــم أثـــــار جـــــداك ... بـــلابـــل الـــحـــســـاد
اســـتـــلـــهـــم الـــشـــعـــر مـــنـــهـــا ... فـــي مـــوطـــنـــي وبـــلادي
فـــيـــســـتـــضـــيء جـــنـــانـــي ... بـــوحـــيـــهـــا الـــوقـــاد
ويـــســـتـــفـــيـــض بـــيـــانـــي ... مـــا إن لـــه مـــن نـــفـــاد
يـــا مـــنـــيـــة الـــنـــفـــس إنـــي ... أســـلـــمـــت طـــوعـــاً قـــيـــادي

ولـــســـت أبـــغـــي ســـواك فـــأنـــت أنـــت مـــرادي
يـلـومـنـي بـعـض صـحـبـي فـي صـبـوتـي وانـقـيـادي
يـا لائـمـي فـي هـواهـا وحـبـي الـمـتـمـادي
أقـصـر فـلـو نـلـت مـا نـلـ ـت مـن رضـا وودادي
وقـد نـعـمـت مـن الـعـطـ ـف والـهـنـا والـمـرادي
وأنـهـلـتـك حـنـانـاً مـنـهـا كـصـوب الـعـهـاد
لـمـا أطـقـت سـلـوى وبـت إلـف سـهـاد
تـسـعـى لـنـيـل رضـاهـا فـي كـل صـوب ونـاد
ومـا أطـلـت مـلامـي ولا اسـتـبـحـت انـتـقـادي
وقـد طـلـبـت مـحـالاً فـي عـذلـك الـمـزداد
تـريـد مـنـي انـطـلاقـاً مـع كـل سـار وغـادي
لا لا أحـبـذ وداً يـتـيـه فـي كـل وادي
إنـي امـرؤ مـسـتـقـر فـي مـبـدئـي ووداد

١٣٧٨/١٠/٢٠هـ

«خيبة رجاء»

لها بي سوء الحظ عنك أيا (حلو) ويهصرني وجدي وقلبي لا يسلو
أثرت بما أرسلت شجوي ولوعتي ويفتن عقلي فيه منطقك الجزل
بيان كأنسام الربيع مهذب وشعر كنور الروض باكره الطل
ترحلت والأشواق تغلي بمهجتي فهل يا ترى بعد النوى يرتجى الوصل
لقد كنت أحيا بالمنى في رحابه وبت ووقد اليأس يوهجه الرحل
فوا رحمتا للصب في حر وجده تؤانسه الذكرى ويذهله المطل
وينعشه في غفوة بعض حلمه ويفزعه في الصحو واقعه المحل
حنانيك بعض الرفق (يا حلو) بالذي تجرع كأس الويل يعقبه الويل
ويجتر في دنياه خيبة رجوه ويرثي لمرأى حاله الأهل والخل

١٣٧٩/٣/٢٠

ذكرى ليلة زاهرة

من ليالي الحبيبة في القاهرة

هات لي يا صاح أقداح الشراب وامنح الندمان ما لذ وطاب
وأسقنيها نشوة مشبوبة تصدع الهم كأضواء الشهاب
وتريح القلب من أشجانه وتقيل النفس ألوان الرغاب
بين غادات حسان خرد كغصون البان في أحلى إهاب
كزهور الروض مرأى وشذى وظباء القاع سحراً واجتذاب
قد أثرت الوجد في أعماقنا ومجال اللهو مخضر الجناب
وأشعن البشر في أرجائنا بين رقص وأغانٍ ولعاب
ليلة العمر ازدان غابها كمرائي الحلم في عهد الشباب
يا لها من ليلة فاضت سنا واستجاب الأنس فيها واستطاب
كان فيها لملاكي جولة عجب في زهوها أي عجاب
أنعمت قلبي بها من لطفها وضروب العطف ما يعدو الحساب
وسقتني مقلتاها حبها وسقاني الثغر معسول الرضاب
فرصة الدهر أطلت سانحاً قد غنمناها وأدركنا الطلاب

ليتها دامت مجاليها ولم تك يا (حُبيٍّ) كأمواج السراب
صور كالطيف لم ننعم بها برهة حتى توارت بالحجاب
وتلاها البين أضنى مهجتي وأضل العقل مني والصواب

١٣٧٩/١٢/١٦هـ

«رويدك لا تحيفي»

رويدك لا تحيفي أن تلبي ... أطاح به الهوى قعداً كسيرا
لئن رابتك مني في حياتي ... هنات هينات لن تضيرا
فما علقت بنفسي في هواك ... شوائب توجب الشك المريرا
ثقي (يا كيم) في حبي وإني ... أقدس في الهوى العهد الخطيرا
لأنت لنفسي الحيرى رواء ... يبل صداي يملؤني حبورا
لأنت لقلبي المضني شفاء ... لأنت لي الهدى يفتر نورا
لأنت لي المنى يهفو إليها ... كياني يبتغي العيش النضيرا
ومهما أفتن في الإغراء غيد ... وكان جمالهن لنا مثيرا
فلن أرضى سواك تقود نفسي ... وتوهجها غراماً لن يبورا
وما واللَّه غيرك لي ملاك ... ثوى في مهجتي قمراً منيرا
يفيض علي من نعمي رضاء ... ويوسعني بما يوري الشعورا
فلا تدعي ظنونك والليالي ... تزيد بلا بلي ظلماً وزورا
فقد هددتني بالهجر رفقاً ... بقلبي حين لا يجد النميرا
وقد عاتبتني عتباً عنيفاً ... أثار بنفسي الأسف العقيرا
تجاه صديقة لك هل لهذا ... قصدت؟ أم استطبت لي النكيرا؟

رويـدك يـا مـلاكـي لا تـحـيـفـي فـمـا زلـت الـمـحـب لـك الأسـيـرا
ومـا والـلَّـه أخـشـى فـي حـيـاتـي كـمـا أخـشـى جـفـاك ولا مـجـيـرا

١٩٥٩/١٢/٢

القاهرة

١٩٦٠/٥/٢٧

«تم ديوان شوق وشوق»

قصائد أخرى

يـا ليـل!(*)

يـا لـيـل، مـا بـالـي وبـالـك نـلـتـقـي ... فـأرى لـديـك مـبـاهـجـي ورضـائـي!
أرهـبـت غـيـري بـالـظـلام وكـنـت لـي ... خـيـر الأنـيـس وأصـدق الـخـلـصـاء
ولـئـن صـمـتَّ فـلـي بـصـمـتـك نـجـوة ... حـفـلـت بـدنـيـا الـسـر والإيـحـاء
ولـئـن سـكـنـت فـلـي بـجـنـحـك مـوئـل ... رفـت جـوانـحـه بـكـل هـنـاء
أخـلـو إلـيـك فـلا أرى لـسـريـرتـي ... حـرجـاً، ولا أخـشـى لـظـى الأهـواء
ظـلـمـوك إذ لـهـجـوا بـأنـك راهـب ... صـبـغ الـحـيـاة بـفـاحـم الأزيـاء
لا. لا. فـأنـت لـمـصـطـفـيـك مـسـرة ... يـهـب الـكـلـيـم أطـايـب الآلاء
هـذي الـنـجـوم لـوامـع تـزهـو بـمـا ... ضـمـنـتـه مـن حـسـن ومـن أضـواء
تـزجـي إلـى الـنـفـس الـشـجـيـة رَوْحَـهـا ... فـتـبـثـهـا شـكـوى الـمـحـب الـنـائـي
وتـشـيـع فـي أطـوائـهـا حُـلـم الـهـوى ... بـيـن الـمـنـى وطـوارق الـبـرحـاء
والـبـدر يـرسـل مـن سـنـاه مـفـاتـنـاً ... تـغـري الـخـلـي بـوحـيـهـا الـلآلاء
يـغـزو الـفـضـا مـتـرنـحـاً فـي غـرة ... تـرنـو إلـيـه فـواتـن الـخـضـراء
نـشـوان مـن خـمـر الـجـمـال وسـحـره ... يـجـلـو كـؤوس هـواه لـلـنـدمـاء

(*) المنهل المجلد السابع السنة السابعة ذو القعدة والحجة ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م.

والـزهـر فـواح الـعـبـيـر مـنـمـنـم شـتـى الـرؤى كـغـلائـل الـحـسـنـاء
وسـنـان يـغـمـره الـضـيـاء مـشـعـشـعـاً وتـجـوده الـنـسـمـات بـالأنـداء
صـور تـبـش لـهـا الـنـفـوس صـواديـاً فـتـعـود ريَّـا بـهـجـة وصـفـاء

* * *

يـا لـيـل! يـا ظـرف الـغـرام وسـربـه يـلـهـون فـيـك بـصـبـوة ولـقـاء
تـحـنـو عـلـيـهـم والـهـوى مـتـلـهـب بـيـن الـضـلـوع يـعـيـث فـي الأحـشـاء
تـتـراقـص الآمـال فـي جـنـبـاتـهـم كـتـراقـص الأنـسـام فـي الأمـسـاء

من واقِع الحيَاة الأليم

قصة قصيرة شعرية واقعية .

غالها الفقر في ربيع صباها ... واحتواها الزمان في يوم نحس
غادة كالصباح مرأى وإشرا ... قاً، وقطر الندى طهارة نفس
صوتها الناعم الشجي كناي ... يطرب السمع في حنان وجرس
لفها السحر بالفتون فكانت ... دمية الحسن في غلالة عرس
لمحت في الندى حراً كريماً ... أملت فيه كل خير وأنس
فانتحت نحوه تبث أساها ... وأتت داره تنوء بيأس
أسلمت عرضها لتأخذ منه ... ثمن العرض باخساً أي بخس
فنهاها وقال وهو يناجي ... مقلتيها في رهبة وتأس
يا فتاة الشقاء والبؤس هوناً ... لا تبيعي الإعلاق فيك بوكس
هاكها بدرة تعالج ما حل ... بمغناك من شقاء وبؤس
أنت ريحانة يفوح شذاها ... بأريج يذيب أوضار نفسي
أحلال هذا الجمال لعات ... همه السطو في مباءة رجس
آه ما للحياة تقسو على من ... ثكلت سعدها وباءت بتعس

(*) المنهل السنة ١٥ الجزء ٧ رجب ـ شعبان ١٣٧٤ مارس ـ إبريل ١٩٥٥م.

وردتـــان!

وردة تـــــلـــــثـــــم وردة ... مـــنـــظـــر قـــد ذبـــت عـــنـــده
أبـــهـــج الـــقـــلـــب رؤاه ... ودَّ لـــــو يـــــنـــــهـــــل ورده
وردة فـــــي الـــــروض لا ... تـشـبـهـهـا فـي الـحـسـن ورده
يـــمـــلأ الـــجـــو شـــذاهـــا ... عـــاطـــراً، يـــمـــنـــح رفـــده
قـــد بـــدت بـــيـــن زهـــور ... الـحـقـل مـلـكـاً سـاد جـنـده
قـــطـــفـــتـــهـــا وحـــبـــتـــهـــا ... كـــل عـــطـــف ومـــوده
أوسـعـتـهـا شـفـتـاهـا الـجـوّ ... لـــثـــمـــاً ضـــل رشـــده
واحـتـواهـا قـلـبـهـا الـخـا ... لـي، فـشـبـت فـيـه وجـده
وردة ذات دلال ... وجـــمـــال فـــاق حـــده
ذات قـد يـفـضـح الـغـصـن ... ويـحـمـي الـلـحـظ نـهـده
ثـغـرهـا والـمـاس سـيـا ... ن، تـرى لـلـمـاس شـهـده
خـــدهـــا والـــورد صـــنـــوا ... ن، فـــلـــم يـــخـــتـــار نـــده
يـــا لـــهـــا مـــن وردة غـــيـــد ... اء قـــد جـــنـــت بـــورده

(*) المنهل: جزء (١١) ذو القعدة ١٣٨٦هـ.

لا تبخلي يا ملاكي

أقدس فيك الجمال الذي ... يغذي فؤادي بأسمى المعاني
ويملأ عيني سنا باهراً ... ويغمر نفسي بأغلى الأماني
وأكبر فيك الوفاء الذي ... يفيء علي، بأحلى المجاني
مجان من الحب وهاجة ... مضمخة بعبير الحنان

* * *

لئن باعدت في اللقا بيننا ... ظروف النوى وصروف الزمان
ففي الذكريات لقاء القلوب ... وروح النفوس كما في التداني
فهل تذكرين أيا منيتي! ... فتاك الذي ما له عنك ثاني
فتاك الذي هاله أن يرى ... صدودك طال بدون عنان
يؤرقه الشوق في ليله ... ويقضي النهار بغر أمان
ولولا تعلله جاهداً ... بآماله فيك ـ في كل آن
لأضواه فيح الجوى عارماً ... وباء يجر ذيول الهوان

* * *

(*) المصدر: المنهل ربيع الأول سنة ١٣٨٧هـ.

فـلا تـبـخـلـي يـا مـلاكـي! بـحـرف تـخـطـيـنـه بـيـديـك ـ لـعـان
يـرى فـي الـرسـائـل رجـع الـصـدى لـحـب تـغـلـغـل طـي الـجـنـان
ونـجـوى لـروحـيـن فـي عـالـم مـن الـحـلـم والـخـلـد لا يـبـلـيـان
فـيـسـعـد بـالـذكـريـات عـسـى تـكـون لـه كـالـريـاض الـحـسـان
تـضـم مـن الـبـشـر ألـوانـه وأشـهـى الـثـمـار وأزهـى الـمـغـانـي

التحية الوطنية

يا موطني حييت من ... وطن تحييك الدهور
فلأنت بعد اللَّه لي ... أسمى المقاصد والأمور
بعث المسرة والهنا ... ماضيك في أقصى الضمير
وأهاج نيران الأسى ... في النفس حاضرك الكسير
إن ما نظرت إلى السوا ... لف يوم كنت بلا نظير
أيام كان بنوك في ... عيش يجللهم نضير
يزهون بالشمم الأشم ... وعدلهم بين العشير
وخليقة شهد الخلا ... ئق طيبها كشذى الزهور
تعنو لصولتك الجبا ... بر كالبغاث[1] لدى النسور
تزجي الهباة لمن أرا ... د عطاءك الوافي الوفير
وتذيق أجناد البغا ... ة عذابك القاسي العسير
ولك المجادة[2] مفرداً ... بين الممالك والصدور
أزهو كما الطاووس يز ... هو، ثم أفخر عن غرور

(١) البغاث: صغار الطير وأحقرها.

(٢) المجادة: المجد.

مـا الـفـخـر بـالـمـاضـي سـوى فـخـر الـمـشـايـخ بـالـقـبـور
الـفـخـر كـل الـفـخـر فـي مـجـد جـديـد لا يـمـور
يـبـنـيـه شـعـب بـاسـل بـالـسـيـف والـعـلـم الـغـزيـر

* * *

وطـنـي وقـد حـاقـت بـنـا زمـر الـخـطـوب ولا نـصـيـر
مـالـي أرى أبـنـاك قـد جـنـحـوا إلـى سـكـنـى الـخـدور
وتـصـامـمـوا حـتـى كـأنـ ـهـم صـلاد مـن صـخـور
عـن صـوت مـحـتـدم الـجـلا د تـجـاه بـابـك والـنـذيـر
أفـثـلـمـت تـلـك الـعـزا ئـم أو قـضـى قـاضـي الـثـبـور
أم أخـلـدت تـلـك الـنـفـو س إلـى الـجـبـانـة والـفـتـور
ويـح الـجـبـان إذا اسـتـطـا ر لـهـيـب قـاصـمـة الـظـهـور
يـدع الـديـار بـلاقـعـاً والـحـر فـي قـيـد الأسـيـر
والـمـوت خـيـر لـلـفـتـى تـحـت الـمـنـاصـل والـقـتـيـر
مـن ذلـة تـدع الأبـي مـطـيـة الـعـسـف الـمـريـر

* * *

قـومـي ومـا شـعـب حـوى اسـ ـتـقـلالـه الـعـالـي الـكـبـيـر
وبـنـى أريـكـة مـلـكـه وسـمـا عـلـى الـبـدر الـمـنـيـر
إلا بـتـضـحـيـة الـمـصـا لـح والـرئـاسـة والـسـريـر
والـسـعـي جـمـعـاً فـي اجـتـلا ب الـخـيـر لـلـوطـن الـخـطـيـر
لـم يـعـنـه الإصـلا ح بـنـيـه فـي خـلـق وخـيـر

وجـــهـــاده فـــي بـــث أنـــ وار الـــمـــعـــارف فـــي الـــقـــصـــور
ونـــــوالـــــه حـــــريـــــة . . فـي ضـمـنـهـا الـنـفـع الـكـثـيـر
مـــا قـــط خـــر أمـــام عـــا صـــفـــة الـــمـــظـــالـــم لـــلأمـــيـــر
وعـــلـــى مـــجـــاري الـــحـــق سـا ل مـــكـــرمـــاً دمـــه الـــطـــهـــور
قـــومـــي كـــذلـــك فـــلـــتـــكـــو نـــوا تـــدركـــوا الـــعـــز الـــجـــديـــر

السأم من الحياة

يقولون: «لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة» كلمة هي في حقيقتها قول صادق، ولكن من يضمن للمرء ـ وخطوب الدهر تكتنفه عن يمينه، وشرور العالم تتراكض عن شماله ـ أن لا يتقزز من الحياة، وأن لا ينكمش فؤاده أمام مظاهرها الوقتية المتقلبة. ذلك ما لا يكون أبداً سوى أن اليأس إذا تمكن قتل، كما أن السرور إذا استقام وطال أضجر. والآمال هي الحد الفاصل بين هذا وذاك. ويمكن أن تكون الكفيلة بتحقيق ما يقولون. وخير الآمال ما يذيق المرء مرارة الألم ساعة الجهاد. كما يذيقه حلاوة السرور عند المنال، وإنه لأعظم درس في الحياة يهذب ما شذ من أخلاق بني الإنسان:

عِفت تاللَّه حياتي لا أرى ... في ثناياها سوى ذل وهون
ونزاع فك مفتول العرى ... وأتون الوجد تذكيه السنون
بينما ليلاتنا ملأى قرى ... فإذا الأنهار سادتها الشجون
ثم لم ألق عطوفاً في الورى ... أو ظريفاً يزدهيني بالمجون
أو حكيماً ألْمعِياً أجدرا ... يصقل النفس بأنواع الفنون

* * *

ما حياة المرء في هذي الدنى غير آمال نتيجات ظنون
ونضال في ميادين المنى يصحب المرء بها بيضاً وجون
فإذا ما المرء أضحى مثخناً بجروح اليأس والدهر الخؤون
لا طموح لا مرام يجتني لا جهاد لا عراك لا شؤون
فجدير أن يعاف الموطنا وقمين ـ عمردیني ـ بالمنون

يـا قلـــب!

يا قلب صوت أنين الناي يشجيني ... وسجع ورق الحمي في الفجر يشفيني
ما بال نايى بأيدي الحور أسلمني ... إلـى سـهـاد وتـعـذيـب وتـوهـيـن
وتـلـك ورقـاء عـجـمـاء تـقـاسـمـني ... روحـي فـأعـنـو لـهـا كـل الأحـايـيـن
منـهـا سـروري وفـي تـغـريـدهـا جـذلـى ... هـل كـان بـيـنـكـمـا عـهـد بـتـأمـيـنـي
هـل شـمـت منـهـا وصـالاً غـيـر منـقـطـع ... هـل أشـركـتـك صـفـاء الـود والـلـيـن
إن الـحـيـاة إذا لـم يـصـف مـنـهـلـهـا ... وأوردتـنـي عـلـى مـا لـيـس يـرضـيـنـي
أرى صـدوري مـنـهـا مـنـتـهـى أمـلـي ... وكـيـف أحـيـا بـلا أمـن وتـمـكـيـن
هـو الـسـرور فـإمـا أن أصـادفـه ... أولا، فـعـيـشـي فـيـهـا عـيـش مـغـبـون

* * *

يـا نفـــس!

يـا نـفـس مـا هـذا الـلـجـاج تـرفـعـي ... وتـنـكـبـي سـبـل الـمـفـاسـد والـغـواه
مـــا أنـــت إلا زهـــرة مـــن بـــاقـــة ... في الكون قد جمعت لأشتات الحياه
مـــا أنـــت إلا ذرة مـــن عـــالـــم ... هـو طـفـلـة الـمـاضـي أعـدت لـلـغـداه
مـــا أنـــت إلا فـــرع دوح نـــاضـــر ... تـجـنـي لـطـاف ثـمـاره أيـدي سـواه
فـتـبـصـري كـي لا تـضـيـعـي مـأربـاً ... تـبـغـيـنـه كـإضـاعـة الـسـاعـي مـنـاه
الـيـوم يـومـك فـاقـصـري مـن مـسـلـك ... يـدنـيـك لـلإخـفـاق واغـتـنـمـي الـنـجـاه
كـونـي لـمـن صـافـاك شـهـداً نـافـعـاً ... والـصـاب لـلـطـاغـي أسـيـر قـوى هـواه
ودعـي الـهـوادة يـوم يـبـلـوك الـعـدى ... واللـيـن أحـمـد حـيـن لا يـرجـى سـواه
لا فـرق بـيـن فـتـى أبـيّ عـائـف ... لـلـهـون، والـذُّلان إلا فـي أبـاه

لـــوم مردود

تـلـومـيـنـنـي أن لـسـت أهـجـر مـوطـنـي تَرى ليس يجدي شدك الحبل في العتب
بـلادي لُـبِّـي والـفـؤاد، فـهـل فـتـى يـعـيـش بـلا لـب ويـحـيـا بـلا قـلـب؟

يـا رفيـــقي !

خذ حديثي وخل عنك شجوني ... يا رفيقي ففي حديثي الحقائق
قصدنا ـ والجهات مختلفات ـ ... شاسع الدار مشمل بالمزالق
فانتض العزم وامتط الجد والبس ... مطرف البأس كي نجوس الخنادق
إن في هذه الحياة مجالاً ... لمريدي الحياة جم الطرائق
جولة ثم جولة يتجلى ... لك في ذا الجهاد صدق الأصادق
وترى ما أكن صدر المعادي ... من حقود، وما طواه المنافق
لك مني الثبات يوم تعد الـ ... ـعزم للكر في مجال البوائق
نقصد المجد لا الونى ينقض العهـ ... ـد ولا العاديات تفري المواثق
إن سبق العزوم إذ يتصدى ... للعلا دونه تقذي[1] السوابق
كل شيء وإن تسامى منالاً ... هين أن عنى الهمام المسابق
وخزات الزمان للمرء درس ... منه يدري كيف اقتحام المضايق
ووقوف الأقدار في وجهه ها ... د يريه كيف اجتياز العوائق
ما حياة الفتى سوى كسب مجد ... فيه يلقى المدمرات السواحق

(١) التقذي: هو أن يخلط الفرس الخبب بالعنق في سيره «فقه اللغة».

فـيـعـود الـرزيـن إن كـان وغـداً[١] ويـعـود الـشـجـاع إن كـان خـافـق
ويـعـود الأبـي إن كـان نـكـسـاً[٢] ويـعـود الـرضـي إن كـان حـانـق[٣]
ويـعـود الـحـكـيـم إن كـان غـراً[٤] ويـعـود الـصـدوق إن كـان مـاذق[٥]
ويـعـود الـفـصـيـح إن كـان فـدمـا[٦] بـل ويـغـدو الـصـلـيـح إن كـان فـاسـق

* * *

فـإذا الـمـرء لا يـروم الـمـعـالـي فـهـو فـي عـيـشـه كـإحـدى الأيـانـق[٧]
فـاقـصـد الـمـجـد واجـعـل الـعـز مـرمـى ضـل مـن لـم يـبـار أسـد الـمـشـارق
تـلـك أسـد تـالـلّـه مـا غـالـبـتـهـا فـي غـمـار الـوغـى جـمـوع الـفـيـالـق
ورثـوا الـفـخـر عـن قـواضـبـهـم واسـتـأ ثـروا الـمـجـد بـالـنـصـول الـذوالـق[٨]
لـم يـزل يـزدهـي بـطـيـب عـلاهـم جـيـد أجـيـالـنـا وتـزهـو الـمـفـارق[٩]
فـانـح مـنـهـاجـهـم ولا تـخـش بـأسـاً إن سـعـي الـمـجـدّ رهـن الـطـوارق
لا تـخـف مـن صـواعـق الـمـوت تـبـدو ذل والـلّـه مـن يـخـاف الـصـواعـق
أنـت إن جـلـت سـوف تـعـلـو عـلاهـم وكـذا مـن يـسـيـر لا بـد لاحـق

---

(١) الوغد: الأحمق.
(٢) النكس: الذليل.
(٣) الحانق الغاضب.
(٤) الغر: الشاب لا تجربة له.
(٥) الماذق: غير المخلص في حبه.
(٦) الفدم: العيي.
(٧) الأيانق: النياق.
(٨) النصول الذوالق: الرماح الماضية.
(٩) الفارق: موضع افتراق الشعر في الرأس.

الحجاز مستقر الوحي والطبيعة الخرساء !

دعاني أساجل أحرارها ... وقوما لنقفو آثارها
فمالي وللحب يذكي الجوى ... بقلبي فقد عفت أقمارها
وإني مغري بأحوالها ... وقد هتك الدهر أستارها
بلاد حبتها الطبيعة ما ... يحبب للقلب أدوارها
جبال تناطح جون السحاب ... وتوحي إلى النفس أفكارها
تنائف تمرح فيها الوحوش ... تساجل في الدوح أطيارها
ومشتبك الأثل في غابها ... كما جارة عانقت جارها
إذ الليل أرخى ستائره ... أرتك الكواكب أنوارها
ترى البدر في علوها مشرق الـ ... جبين يضاحك نوارها

* * *

بلاد سمت بالأولى عرفوا ... طريق المعالي ومضمارها
كبار النفوس قصيوا المرا ... م تهدّوا الحياة وأسرارها
سعى المجد طوعاً إلى بابهم ... وأولتهم الأرض أمصارها
إذا جد جد الوغى يمموا ... ميادينها وجلوا عارها
وقد يجنحون إلى ضدها ... ويسعون كي يطفئوا نارها

ومـا عـن ونـى يـؤثـرون الـسـلام ولـكـن يـريـحـون ثـوارهـا
وأفـضـل مـا يـطـلـب الـمـرء فـي دنـاه عـلا يـعـتـلـي دارهـا
فـإمـا بـسـلـم وإمـا بـحـرب ويـا ويـل مـن جـر أخـطـارهـا

* * *

بـلاد بـهـا الـوحـي ألـقـى الـعـصـا وبـالـهـدي بـارئـهـا خـارهـا
بـلاد أضـاءت سـوالـفـهـا ورثـنـا أسـاهـا وتـذكـارهـا
تـصـدى الـزمـان لـتـصـديـعـهـا وأوهـى الـتـنـاحـر أمـرارهـا
ولـن يـسـتـبـيـن لـهـا ألـق إذا الـعـلـم لـم يـمـح أوضـارهـا
ولـن يـسـتـقـيـم بـهـا عـوج إذا الـدهـر لـم يـصـل إغـرارهـا

* * *

بـلاد بـهـا نـبـتـت أعـظـمـي أكـلـت جـنـاهـا وأثـمـارهـا
أحـن إلـيـهـا وأصـبـو إلـى ربـاهـا وأعـشـق أحـجـارهـا
وأسـعـى أداء لـواجـبـهـا حـيـاتـي، وإن ذقـت أضـرارهـا

«الحق أجدر بالنصر»

خطرت تأطر[1] غادة حوراء مرهفة القوام[2]
ما كان إلا نظرة منه ومنها فاستهام
لو كان يعلم عاشق أن الهوى في نظرة
لمشى يغض الطرف لا يرنو إلى رعبوبة[3]
تصبي التقي بدلها[4]
ويل الفتى من دلها
بأبي ضفائرها[5] التي غشيت صباح المستهام
فغدا يجاهد لا يرى في سعيه غير الظلام
حتى أزاحتها فأسفر وجهها قمراً منير
كان الدليل له إلى حب تغلغل في الضمير
حب الشريف لمثله

(١) تأطر: تتثنى وتتمايل.
(٢) نحيفة القد.
(٣) الرعبوبة: الفتاة الناعمة.
(٤) الدل: الدلال.
(٥) الضفائر: الشعور المفتولة.

سـعـداً لـواجـد مـثـلـه

بـأبـي مـراشـفـهـا الـتـي حـوت الـلآلـئ والـشـمـول[1]

هـاتـيـك تـنـتـهـب الـعـيـون وتـلـك تـلـعـب بـالـعـقـول

شـغـلـت خـواطـره فـأصـبـح لا يـقـرّ لـه قـرار

عـبـداً (لـسـلـمـى) أسـكـرتـه فـلا يـفـيـق مـن الـخـمـار[2]

سـكـر الـصـبـابـة سـكـره

يـفـنـى ويـبـقـى سـكـره

(سلمى) وما سلمى سوى ملك علا عرشَ الجلال

مـا جـيـشـه غـيـر الـقـلـوب يـقـودهـا وحـي الـجـمـال

دانـيـتـهـا فـرأيـت مـا يـعـي يـراع الـواصـفـيـن

حـسـن تـزيـنـه خـلال[3] كـلـهـا ظـرف ولـيـن

مـا أنـضـر الـحـسـن الـرفـيـع

يـحـوطـه الأدب الـرفـيـع

كـلـمـتـهـا فـتـأوهـت وأسـوتـهـا فـتـفـجـرت

فـرأيـت مـنـهـا مـنـظـراً مـنـه الـشـجـون تـسـعـرت

مـا الـورد بـلـلـه الـنـدى كـالـخـد جـادتـه الـدمـوع

هـذا لـيـبـهـج والـهـاً[4] وبـذاك تـحـتـرق الـضـلـوع

---

(١) الشمول: الخمر.

(٢) الخمار بضم الخاء: السكر.

(٣) الخلال بكسر الخاء: الخصال والصفات.

(٤) الواله: العاشق.

أواه مـن حـرق الـهـوى

وارحـمـتـاه لـمـن هـوى

(سلمى) لي الوطن العزيز فلست أنكر فضلها

سـلـمـى مـقـر الـوحـي مـا بـلـد يـطـاول نـبـلـهـا

دفعت بنيها للتقدم فاجتووا[1] غير الجمود

وأبوا سوى الموت الأصم ونومهم على اللحود

فـتـأوهـت وتـفـجـرت

واشـقـوتـاه تـفـجـرت

سلمى أقر بمجدها أبناء مختلف العصور

ولـيـخـلـدن فـخـارهـا مـتـألـقـاً[2] خـلـد الـدهـور

مـالـي أرى فـي حـبـهـا يـعـلـو صـراخ الـعـاذلـيـن

مـا كـنـت أعـهـد قـبـل حـبـي غـيـر قـوم صـامـتـيـن

جـهـل الـعـواذل قـبـلـتـي

فـلـسـوف تـظـهـر قـبـلـتـي

حـرب أثـار عـجـاجـهـا جـهـل طـغـى بـجـيـوشـه

والـجـهـل غـايـتـه الـردى. أمـم هـوت بـخـدوشـه[3]

فـلـيـهـدأ الـعـذال لـيـس لـنـا سـوى الـحـق الـقـمـيـن

مـرمـى. وإن الـحـق يـعـلـو رغـم أنـف الـنـاقـمـيـن

---

(١) اجتووا: كرهوا.

(٢) متألقاً: مضيئاً.

(٣) الخدوش: الجروح.

والـحـق أجـدر لـو دروا
بـالـنـصـر آه لـو دروا
إنـي لأنـظـر فـي الـرجـال فـلا أرى غـيـر الـريـاء
لـبـسـوه ثـوبـاً فـاحـمـاً فـغـدوا عـلـى الـوطـن الـبـلاء
بـلـه الـحـقـود ومـا طـوت أضـلاعـهـم مـمـا يـشـيـن
ضـعـف أمـام الـبُـطـل لا يـعـنـيـهـم غـيـر الـلـجـيـن
تـبـاً لـعـبـاد الـلـجـيـن
تـبـاً لـعـبـاد الـلـجـيـن
مـا لـلـشـبـاب وأيـن هـم؟ مـالـي أراهـم فـي هـجـود
بـزغـت شـمـوس الـمـجـد والأوطـان جـمـعـاً فـي جـهـود
هـلا يـريـدون الـحـيـاة؟ ومـا الـحـيـاة سـوى الـنـضـال
مـا فـاز فـيـهـا غـيـر مـن مـشـق الـحـسـام، ومـا الـرجـال
إلا حـمـاة لـلـوطـن
فـي مـوتـهـم عـز الـوطـن
لـبـيـك يـا وطـنـي وهـل يـفـنـى الـذي يـحـيـي الـبـلاد؟
لـبـى الـشـبـاب نـداءك الـعـالـي وهـبـوا لـلـجـهـاد
سـيـروا أيـا شـبـان قـومـي لـلـمـعـالـي لـلأمـام
وخـذوا وسـائـل حـذركـم وابـنـوا عـلـى أسـس الـوئـام
أمـجـادكـم وفـخـاركـم
والـعـلـم فـيـه فـخـاركـم
سـيـروا بـعـزم الـنـاهـضـيـن يـرف فـوقـكـم الـعـلـم

علم التفكر والرزانة وارهفوا حد القلم
«فالعقل فوق الحس» لا يوهي التطرف عزمكم
واقلوا التفرنج واجعلوا الشورى مناط أموركم
فالحكم شورى لا احتكام
سحقاً لجور الاحتكام

وحـي صـورة

هـذه صـورة الـحـبـيـب أمـامـي تـعـرض الـحـسـن رائـعـاً لـلأنـام
اجـتـليـها فـأجـتـلي الـسـحـر يـنـسـا ب رقـيـقـاً إلـى دمـي وعـظـامـي
هـذه الـفـتـنـة الـرصـيـنـة تـذكـي الـحـب فـي الـقـلـب دونـمـا إيـلام
ريـح نـفـسـي أهـاب داعـي مـنـاهـا فـاسـتـجـابـت ـ إلـى الـهـوى والـغـرام
لـيـس تـدري أللـسـعـادة تـغـدو قـدمـاً؟ أم إلـى جـوى وهـيـام؟
أفـتـلـقـى الـحـبـيـب يـحـنـو عـلـيـهـا فـي كـهـوف الـحـيـاة والآجـام؟
أم تـجـوب الـدروب تـفـتـقـد الـعـو ن افـتـقـاد الـيـتـيـم ـ بـيـن الـرجـام

* * *

يـا حـبـيـبـي! ومـا أحـيـلـى نـدائـي يـا حـبـيـبـي! نـداء وحـي غـرامـي
كـن كـمـا شـئـت، أنـت أنـت لـنـفـسـي ولـقـلـبـي كـل الـمـنـى والـمـرام

رباعيات

البلاغة

يا من تطلب في الأسفار يدرسها ... ورد البلاغة عن شوق وإشفاق
إن البلاغة في فكر ومعرفة ... ومنطق بفصيح القول دفاق
يفيض نوراً ويسمو في جلالته ... كالشمس تظهر في زهو وإشراق
ما اللؤلؤ المنتقى؟ ما الحسن أبرعه! ... لدى البلاغة بل ما نفثة الراقي

القوانين والأهواء!

دساتير وأوضاع ... تنسقها الهويات
وباسم العدل واعجبا ... لها في الخلق صولات
ينفذها القوي كما ... تشاء له الحزازات
فويل الناس من أهوا ... ئهم ويل وويلات

القوي والضعيف

الـنـاس تـبـنـي والـطـبـيـعـة تـهـدم هـي سـنـة فـي الـكـون لا تـتـزعـزع
لـولا وجـود الـهـدم لـم يـكـن الـبـنـا فـعـلام تـضـطـرب الـنـفـوس وتـجـزع؟
إن الـقـوي عـلـى الـبـنـاء مـواظـب وعـلـى الـطـبـيـعـة أمـره لا يـدفـع
لا يـنـثـنـي إلا الـضـعـيـف وأنـه لـقـوى الـطـبـيـعـة دائـمـاً يـتـوقـع

بين قلبي والدهر

ألا فاسكبي الدمع الذي جد طالبه ... أيا عين! هذا الدهر جاشت غواربه
أبى بعدَ وِرْدِ العزّ إلا مذلَّة ... أقاسي لظاها، واستهلت عقاربه
رماني بموج ما اكتشفت مسيله ... ظلامٌ نواحيه أجاج مشاربه
مصائب لا أدري مصادر نحسها ... فأمنع نفسي أن تراها كواكبه
كذلك شاء اللَّه للدهر في الورَى ... عجائبهُ ما تنقضي وغرائبُهُ

* * *

دعتني دواعي البين ما اسطعت كبحها ... أجبت، وقلبي لوَّعته رغائبه
طَموحٌ إلى العليا وَلوعٌ بمنزل ... تباعد حتى ما تنالُ جوائبه
يزجُّ بنفسي في الملمات قاحماً ... وليس يبالي فاز أم خاب ذاهبه[1]
فيا ويلتا مما ألاقي على المدى ... زمانٌ عصيٌّ والفؤاد يحاربه
كذاك كبير النفس يجهد جسمه ... فإما تردي أو تتاح مطالبه
وما الشهم إلا من يرى كل مأمل ... دنيًّا ولا تعييه منه مصاعبه

(*) المصدر: أدب الحجاز.

(١) قاحماً: رامياً نفسه بلا روية.

وهـل كـان إلا بـالـجـهـاد وسـعـيـه ... حوى المجدَ حُرُّ النفسِ أو فاز كاسبُه
أرى العز في حمل الظبى وقراعها ... وخوضِ الردى، فالعز جلَّتْ مراتبه
ومـن رام نـيـل الـعـز دون تـجـالـد ... تـراجـع كـالـحـيـران ضـلـت مـذاهـبـه
فـمـا الـعـز إلا طـلـبـة دون نـيـلـهـا ... سنان العوالي، فليحاذره غاصبه
ولـيـس لـه إلا هـزبـر سـمـيـذع ... منيع الحمى قد حنكته تجاربه[1]
رصين الحجى قد روّض الصبر قلبه ... أبى أن يـلـيـن الـدهـرَ لـلـذل جـانـبـه

* * *

عـذيـري إن عـدنـا وعـاد طـلابـنـا ... كـمـا أوَّم الـظـمـآن فـي الآل كـاذبـه
فـمـا أنـا إلا مـن تـتـابـع سـهـده ... ومـن كـثـرت فـي الـنـائـبـات نـوادبـه
تـخـطـيـت أهـوالاً يـذل لـهـولـهـا ... سليل الوغى تحميه فيها كتائبه
ولـكـن إذا مـا الـلَّـه لـم يـهـب أمـرأً ... نـجـاحـاً فـمـا تـغـنـيـه عـنـه مـواهـبـه

* * *

(١) الهزبر: الأسد الشجاع، والسميذع: الواسع الخلق الكثير الخطية.

آلام وآمـــال

نحو أمتي ووطني

نـفـسـي مـروعـة وقـلـبـي يـخـفـق ... والـفـكـر فـي جـو الـظـنـون مـحـلـق
فـي لـيـلـة حـاك الـجـمـود ظـلامـهـا ... والـهـم أوسـعـنـي اضـطـراباً يـقـلـق
ما ذاق فيها الطَّرف من طعم الكرَى ... سِنَةً، وكـنـت كـمـا يـكـون الـشَّـيِّـق
وأقض مضطجعي وأنهكني الأسَى ... والـــهـــم يـــودي بـــالأبـــي ويـــؤرق
ولَـكـم أسـوت الـقـلـب وهـو مُـوَلَّـهٌ ... وكـفـفـتُ دمـعـي وهـو هـامٍ مـغـدق[1]
حـزنـاً عـلـى أحـوال أمـتـي الـتـي ... مـا زال يـرديـهـا الـشـقـاق الـمـعـرق[2]
مـالـي أراهـا والـحـوادث حُـوَّمٌ ... يـقـظـى تـبـيـد الـسـادريـن وتـسـحـق
تـنـصـاع لـلأمـراء لا تـبـدي قِـلاً ... وتـديـن إذ يـسـطـو عـلـيـهـا الأحـمـق[3]
مـا قـط قـاد إلـى الـرقـي زمَـامَـهـا ... مـن بـعـد حـكـم (الـراشـديـن) مُـوَفَّـقُ
ألـقـى بـنـو مـروان نـحـو شـآمـهـم ... نـظـراتِ إصـلاح فـضـاءتْ جـلَّـق[4]
وعـنـى بـنـي الـعـبـاس أمـرُ عـراقِـهـم ... فـزهـا بـجـهـدهـم الـعـراق الـمـشْـرقُ

---

(١) هام: سائل، ومغدق: كثير.
(٢) المعرق: من أعرق الشجر إذا امتدت عروقه في الأرض.
(٣) تدين: تطيع وتدل.
(٤) جلق: اسم لمدينة دمشق.

والـتـرك مـا نـظـروا لـغـيـر بـلادهـم ... نـصـفـيـهـم مـنـا الـوداد ونـمـذق[1]
ومـضـى الـحـسـيـن بـقـضـه وقـضـيـضـه ... وبـنـو الـحـجـاز هـم هـم لـم يـرتـقـو
درجوا على الجهل المشين عصورهم ... ونـأوا عـن الإصـلاح، وهـو الألـيـق
فقضوا كما يقضي الكسول حياتهم ... نـفـس مـلـوّعـة، وعـيـش ضـيـق

* * *

أسـفـي عـلـى وطـنـي الـعـزيـز ومـالـه ... راع يـقـوم بـأمـره مـتـرفـق
لـعـبـت بـرقـعـتـه الـسـيـاسـة جـهـدهـا ... وغـدا كـشـلْـوٍ ذائـبٍ يـتـمـزق
كـم مـن مـصـائـدَ عُـتَّـدَتْ لـثـبُـوره ... وسـهـام أضـغـانٍ إلـيـه تُـرشَّـقُ
مـا نـاء عـنـه مـن الـمـصـائـب فـيـلـق ... إلاّ وعـن كـثـب تـبـدى فـيـلـق!
فـي كـل يـوم يـسـتـجـد لـه عَـلَـى ... كـرسـيِّـه مـلـك يـصـول وينـعـق
هـذا يُـمـنِّـيـهِ الـسـعـادة سـاخـراً ... مـنـه، وذلـك بـالـهـدى يـتـشـدَّق
والـكـل لـم نـرهـم لـغـيـر شـقـائـه ... عـمـلـوا ـ ومـا أغـنـاه ذاك الـمـنـطـق
مـا سـادَ هـذا الـعـرشَ إلاّ طـامـعٌ ... جَـشِـعٌ، وآخـرُ غـادرٌ مـتـمـلـق
ولـهـي عـلـى وطـنـي الـعـزيـز وأهـلُـه ... عـبـثـت بـهـم أيـدي الـهـوَى فـتـفـرقـوا
ألِـفـوا الـخـضـوعَ لـكـل بـاغٍ غـاشـمٍ ... وسـعَـوْا لـهـدم فـخـارهـم فـتـوفـقـوا
(عـلـمـاؤهـم) بـيـن الـتـجـاهـرِ بـالـهُـدى ... والـخـوفِ من بطش الـمُـمَـلَّـكِ أخفقوا
(ورجـالـهـم) لا يـدأبـون لـغـيـر مـا ... يـرضـي الـظـلـومَ. فـجـاهـد ومُـحـلَّـق
أمـا (الـرعـاع) (فـسـيـنـمـا) مـتـجـسـم ... يـتـحـركـون كـمـا ابـتـغـى الـمـتـفـوِّق

* * *

(١) نمذق: من مذق الود إذا لم يخلصه.

آه أيا وطني المجيد متى أرى ... شمس الحضارة في الرُّبَى تتألق
ومتى أراك متوجاً بجلالة، ... أيدي العلوم تحوكها لا تمزق
ومتى أرى أبناك قد جنحوا إلى ... كسب العلا وعلى الفضائل أطبقوا
وأراهم نبذوا الصغائر وابتغوا ... سبل الفخار وبالنظام تعلقوا
وأراهمو اطّرحوا الضغائن وانبروا ... يتآزرون ليُستباح المأزق
وأرى الجمود تحطمت أصنامه ... ومضى الظلام ولاح صبح مشرق
وأرى العمائم هُدِّمَتْ أبراجها ... إن العمائم للتقدم مِزهَق
وأرى السعادةِ طنَّبتْ بربوعنا ... وأرى الهناء مَسيلهُ يتدفق
وأرى العدالة حلَّقت بسمائنا ... والحرُّ موفور الكرامة ينطق
يبدي لنا الحق الصراحَ مُوضِّحاً ... ويرد كيد المعتدي لا يفرق
ويبين عن خدَع السياسة حينما ... في سَلبنا السُّواسُ لا تترفق
وأرى الأماني البيضَ وهي حقائقٌ ... وأراك بالإجلال دوماً ترمَق

* * *

وطني بنفسي أفتديه فحبذا ... موتي لسعدك والممات محقق
ما مات من خَلَدت صحائفُ مَجده ... ولسعيه الوطنُ العزيزُ مصدق

مِن أحسَنِ ما نَظم

يـا لـيـل مـا بـالـي وبـالـك نـلـتـقـي . . فـأرى لـديـك مـبـاهـجـي ورضـائـي
أرهـبـت غـيـري بـالـظـلام وكـنـت لـي خـيـر الأنـيـس وأصـدق الـخـلـصـاء
ولـئـن صـمـت فـلـي بـصـمـتـك نـجـوة حـفـلـت بـدنـيـا الـسـر والإيـحـاء
أخـلـو إلـيـك فـلا أرى لـسـريـرتـي حـرجـاً ولا أخـشـى لـظـى الأهـواء
ظـلـمـوك إذ لـهـجـوا بـأنـك راهـب صـبـغ الـحـيـاة بـفـاحـم الأزيـاء
لا . لا . فـأنـت لـمـصـطـفـيـك مـسـرة تـهـب الـكـلـيـم أطـايـب الآلاء
هـذي الـنـجـوم سـواطـع تـزهـو بـمـا ضـمـنـتـه مـن حـسـن ومـن أضـواء
تـزجـي إلـى الـنـفـس الـشـجـيـة روحـهـا فـتـبـثـهـا شـكـوى الـمـحـب الـنـائـي
والـبـدر يـرسـل مـن سـنـاه مـفـاتـنـاً تـغـري الـخـلـي بـوحـيـهـا الـلألاء
يـغـزو الـفـضـا مـتـرنـحـاً فـي عـزه تـرنـو إلـيـه فـواتـن الـخـضـراء
نـشـوان مـن خـمـر الـجـمـال وسـحـره يـجـلـو كـؤوس هـواه لـلـنـدمـاء
والـزهـر فـواح الـعـبـيـر مـنـمـنـم شـتـى الـرؤى كـغـلائـل الـحـسـنـاء
وسـنـان يـغـمـره الـضـيـاء مـشـعـشـعـاً وتـجـوده الـنـسـمـات بـالأنـداء
صـور تـحـن لـهـا الـنـفـوس صـواديـا فـتـعـود ريـا بـهـجـة وصـفـاء

* * *

يا ليل! يا وكر الغرام وسربه ... يلهون فيك بصبوة ولقاء
تحنو عليهم والهوى متلهب ... بين الضلوع يعيث في الأحشاء
تتراقص الآمال في إخلادهم ... كتراقص الأنسام في الإمساء
هلا تحدثنا عن المهج التي ... قد ضيعت في الحب كل رجاء؟
هلا تحدثنا بما فعلت بها ... أيدي العوادي الغبر في الغبراء؟
هات أروِ لي عما تنوء به جوى ... رسل الهدى بين الدوا والداء
إني أرى في البوح بعض غلالة ... للنفس نهبي خيبة وشقاء
فلقد أطلت الصمت والآذان للأ ... صداء في شوق وفي إصغاء

النشــر

بين الأمس واليوم(*)

وفي هذه المرة وافتنا رسالة ثانية من فضيلة صديقنا الأستاذ الكبير عبد الحق نقشبندي وفي طيها مقال كتبه الأستاذ الكبير عبد الوهاب آشي، جواباً على الاستفتاء الذي كان بعث به إليه إذ ذاك.. وفي هذه الإجابة تجلية وإيضاح لما كان يجيش في ضمائر ناشئة أدباء يومذاك.. الذين هم شيوخ أدب اليوم..

الفاضل المحترم الأستاذ عبد الحق نقشبندي حفظه الله..

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقد تلقيت سؤالك الجليل بالتكريم وإنه لسؤال كل وطني غيور يرجو لوطنه الرقي والصلاح ويأمل لأمته السعادة والفلاح. غير أن لكم الفضل في سبقكم بطرحه على منصة البحث وعرضه على مسامع أدبائنا الحديثين. فلكم منهم واجب الشكر والتقدير. ثم نزولاً على سامي طلبكم أخط لكم ما جال بالضمير حول موضوعكم الخطير، بمقدار ما يسمح لي به الوقت الذي قضى الله بأن يكون علينا أضيق من حجر الضب. مع الشكر العظيم على حسن ظنكم

(*) (المنهل): من المناسب أن نذكر هنا أن في هذا العدد مقالاً وصل أخيراً إلى رئيس التحرير من الأستاذ الكبير عبد الحق نقشبندي كان الأستاذ الكبير عبد الوهاب آشي كتبه وهو مدرس بمدرسة الفلاح بمكة.

بي وأنا العاجز الخامل. وطلب المعذرة في التقصير. وغض النظر عن القصور.

ينحصر جوابي في سؤالكم في ثلاث نواح:

أولاً ـ الناحية الخلقية: وإنها لأهم ما يجب علينا النظر فيه. اضرب بنظرك في طول البلاد وعرضها فلن تجد إلا سقوطاً في العادات، وضعفاً في الإرادات، وتجهماً في الصفات سببت انحلال عروة اتحادنا، وغدونا نهباً للمصائب، وغرضاً لسهام الكوارث. وإني أرى أنجع دواء لزوال هذه العلل مراقبة الحكومة الوطنية لمنابع الفساد وسدها. ورجال السوء ومعاقبتهم. وتخصيص أفراد عرفوا بالعلم والنزاهة لإلقاء دروس وخطابات في المحاضر العامة تندد بالعادات السيئة والصفات الخبيثة، وتنفث في الأمة روح الجد والعزم والنشاط، وتدعوهم، بل تحثهم على التجمل بأحاسن الأخلاق، بالإخلاص والصدق والأمانة والتحاب والتعاون في طلب الخير وكبح النفس عن الشهوات والشجاعة، والصبر على السعي والجهاد، لا على الخمول والظلم والاستبداد. وتفهمهم بوجوب تلقين المرأة وتعليمها الواجبات العائلية والدينية والمنزلية لتعرف كيف تراقب نشوء أبنائها وتربيهم على قواعد المناضلة في هذه الحياة. وتهذب ما شذ من أخلاقهم وطباعهم. وتنمي الملكات السامية في نفوسهم، وتغرس حب الوطن والدين في قلوبهم. وهي الأم كما تكون يكون أبناؤها وعليها المعول في تكوين أخلاق الأمة. «وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت».

ثانياً ـ الناحية العلمية: نحن في بدء نهضة نحتاج فيه إلى التشبع من

روح العلم القديم والحديث. العلم لمباراة الأمم الحية ومناهضة دخائل الاستعمار ومقارعة ما ينزل بنا من الأخطار، وإحراز سعادتنا الدنيوية ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ (القصص: ٧٧). وذلك يحتاج إلى عناية الحكومة بمعاهد العلم، وتوجيه النظر التام إلى إصلاح شأن المدارس، ومراقبة حركات التعليم بها. نحن فقراء في العلم، فقراً مزرياً، فيجب على حكومتنا ومتمولينا تعميم المعارف بين طبقات الأمة بإنشاء مدارس تحضيرية وابتدائية جمة وإجبار الأمة على إدخال أبنائها بها. وتأسيس مدارس ثانوية وعالية لتكميل التحصيل الأول لمن أراده من نبهاء التلامذة ونجباء الأبناء، ثم تنشيطهم وتعضيدهم عليه. ثم بعد ذلك تكون بعثة علمية مختارة من خريجي تلك المدارس وترسل إلى الخارج لتتميم ما نقص عليهم من أبواب العلوم والفنون، وتلقف ما تحتاج إليه مواطنهم من مرافق المدنية والحضارة النافعة. فيأتون إلى بلادهم بالخير الجزيل والنفع العميم.

ثالثاً ـ الناحية الاقتصادية: وقبل أن أتكلم على طرقها لا بد لي من التنبيه على خلق فينا كاد يكون طبعاً خاصاً، وهو الإسراف والتبذير في مواطن لا تعود على الأمة بغير الوبال كنصب الولائم الكبيرة والزينات الفاخرة لكل قادم وصادر، وفي الزواج والأعياد، تلك المواطن التي لا يجني منها صانعوها غير الفخر الكاذب والرياء الممقوت وتكليف ما لا يستطاع.. وأدهى من ذلك أنه إذا ما دعاهم داعي الإصلاح ورجا منهم المكاتفة والمساعدة اشمأزوا وكلحت وجوههم وأدعى كل منهم الفقر والعدم. لست بضارب الأمثال في ذلك حذراً من أن أرمى بالتشيع أو غرض ذاتي مما أنا براء منه. ولكن سوف تجزى كل نفس بما كسبت والله لا يضيع أجر المحسنين.

ولنعد إلى غرضنا الأساسي، وهو الاقتصاد. وهو لدينا من طريقين اثنين ليس إلا:

«**الأولى التجارة**»: فيلزم على من بيدهم زمامها من الأغنياء أن يتركوا العمل الفردي ويلتفتوا إلى تأليف الشركات والتضافر في جلب المنافع لقطرهم وسد حاجياته وضرورياته على أساس الإخلاص والأمانة. ففي الاشتراك قوة لا يصل إليها الفرد مهما أوتي من غنى. وفي التعاون نجاح لا يصل إليه الإنسان بمفرده مهما جمع من حيلة. ثم ذلك يجب أن لا يكون محصوراً في جهة أو مقيداً بنوع. بل يلزم أن تتوزع الجهود على مقادير الحاجيات والضروريات. فمثلاً بعض الشركات يكون لها العمل في صنف الحبوب. وبعضها في وسائط النقل. وبعضها في وسائل العمران. وهكذا وإلا كان النطاق ضيقاً وذهب العمل هباء.

«**والثانية الزراعة**»: فلدينا أراضٍ لو اعتني بها واستنبتت على أصول الزراعة الحديثة لكنا في غنى عن الخارج من جهة المؤونة، ولأصبحنا في نعمة وافية وعيشة راضية. وهي متوقفة أيضاً على تضافر الرجال القادرين لاستثمارها ومساعدة الحكومة لهم بتأليف هيئة زراعية جل همها تعيين تلك الأراضي، وفحص تربتها وصلاحيتها لأي أنواع المزروعات. ثم توزيعها بطرق منظمة تكفل حياطتها على مريدي إحيائها. والنظر في أحسن الوسائل وأقربها لإصلاحها. وإرشاد اصحابها إلى كيفية استثمارها ومراقبة أعمالهم فيها. وإحضار المعدات على حساب أولئك العاملين ـ أقساطاً ـ لحرثها وبذرها على أحدث الطرق وأجد الطراز.

وليس في تحقيق كل ما ذكرته صعوبة توجب الإحجام وإطالة التفكير والنظر. وما على الأمة والحكومة إلا أن تصغي إليها وتقدم على تنفيذها

تدريجياً حتى تصل إلى المطلوب بعد مدة وجيزة. والإصلاح، والترقي كغيرهما من الأعمال لا يمكن أن يكونا دفعة واحدة (فإن الطفرة محال) كما يقولون.

فهذه هي النواحي التي يجب الالتفات إليها لإنقاذ بلادنا وأمتنا من هوة جهلها وفقرها وانحطاطها. وبغير إصلاح هذه النواحي الثلاث ـ فهي آخذة برقاب بعضها ـ بما ذكرته من الطرق أو غيرها، لا فلاح لأمتنا، ولا رقي لبلادنا. والسلام عليك.

تحريراً في ١٣٤٦/٦/٤هـ: ٢٨ ـ ١٢ ـ ٢٧م

من المخلص

عبد الوهاب إبراهيم آشي

بمدرسة الفلاح ـ بمكة

ملحوظة: البحث يحتاج إلى مجال أطول، وكل ناحية من النواحي التي ذكرتها تتحمل إفاضة تامة في موضوعها وبالأخص الناحية الأولى والثانية، عسى أن يوفقنا الله إلى تمحيصها وإيفائها حقها، ويوسع في أوقاتنا حتى نقضي واجباتنا كما ينبغي، ودمت..

حفلة الشباب بمكة المكرمة(*)

كلمة الأستاذ عبد الوهاب آشي

«افتتح حفلة الشباب بمكة المكرمة»

«عبد الوهاب آشي بالكلمة الآتية»

سلام عليكم يا شباب العراق في الناهضين

سلام عليكم يا فتية الجزيرة في المجاهدين العاملين

سلام عليكم يا زهرة الحياة العربية في الطيبين المخلصين

سادتي إخواني:

إن المنطق ليعجز، وإن القلم ليخون صاحبه. إذا ما أرادا أن ينبيا عما تعتلج به القلوب في مواقف الإجلال والإكبار. أو يفصحا عن خلجات النفوس في مواضع السرور والابتهاج.

أجل!! إنه لإجلال وإكبار ـ يا شباب العراق ـ بتضحياتكم الغالية. فقد فارقتم الأهل والديار، واقتحمتم المفاوز والقفار. لا لمغنم مادي تقصدون اهتباله. ولا لغرض ذاتي ترومون احتياله. وإنما هو لغاية نبيلة سامية أهابت بنفوسكم إلى إجابة دعاء الله وتلبية نداء الواجب القومي المحتم.

(*) **المصدر**: ذكرى الكشافة العراقية ـ ١٣٥٣هـ ـ مطبعة أم القرى.

أجبتم داعي الله فأديتم فريضته الخامسة الاجتماعية. ولبيتم نداء الواجب القومي. فأتيتم إلى وطن العرب الأول تكتشفون مآثره وتستجلون روائعه. تمدون يد الولاء لرجاله وتصافحون على الإخاء والإخلاص أتباعه. وإنه لفضل سبقتمونا إليه، ووفاء وأيم الله إننا نغبطكم ونحسدكم عليه.

أجل!! إنه لسرور وابتهاج بحلم لم نكن نوقن برؤيته، وأمل كان منة مناط الثريا ما كنا نطمع في تحققه. فمن كان بنا يرقب بعد أن لعبت السياسة بقدراتنا، ومزقت أوطاننا. وانتهكت حرماتنا ـ أن يلتئم الشمل ثانياً في مثل هذا اليوم. في محيط واحد يحوطنا شعور واحد ويكتنفنا إحساس واحد والكل منا يسعى إلى غرض شريف واحد. ألا وهو إثبات الحياة العربية الحرة في هذا الوجود الذي تناكرت فيه الوجوه. وأضحت الحقيقة فيه مقنعة بحجب كثيفة من الأنانية والأطماع فلم يعد الحق بين شعوبه وأممه إلا للقوة. ولم يعد التقدير والاحترام إلا لمن تفنن في أساليب المكر والقهر والإرغام.

يا شباب العراق ويا رجالات العرب!

لن تقوم المظاهر مقام الحقائق. ولن يفي المقال بكل مقتضيات الأحوال وإنا إن أجهدنا نفوسنا لنعرب عما خامرنا من سرور وإعجاب. وعما نحمله لكم بين جوانحنا من التقدير والتكريم والترحاب. على ما تفضلتم به من تشريف هذا المحفل الوضيع في مظهره وأبهته. الكبير في حيثيته ومعنويته. فإنما نحاول أمراً عسراً. ولسنا بمستطيعين إبراز ذلك كله بحقيقته وحسبنا شفيعاً لديكم إن قصرنا في أداء الواجب معكم. اعترافنا بالعجز، وأتباعنا لقاعدة ما لا يدرك كله لا يترك كله. وإننا إن حييناكم اليوم فإنما نحيي مجداً تالداً منقضاً أقمتم بناءه ودعمتم صروحه. وإن

كرمنا فإنما نكرم البطولة العربية والأخلاق العربية والحياة العربية متمثلة في أشخاصكم وأنه بقدر ما أحسسناه من غبطة وجذل بمقدمكم سيتولانا الأسف وتتملكنا الحسرات على فراقكم. وكم كان بودنا أن يطول مقامكم بين ظهرانينا حتى نستطيع أن نتشاكى إلى بعضنا ما فعلت بنا وبأوطاننا الأيام. ونتبادل الرأي الصريح الثابت في جهادنا لإشادة عز العرب. وحياطة بيضة الإسلام. فعلى اليمن والسعد حلولكم ومقامكم وإلى التوفيق والنجاح مغداكم ومسراكم.

وختاماً أضرع بحرارة إلى الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا حماة الدين والوطن بحق. وأن يحقق الوحدتين العربية والإسلامية على يدي عاهل العرب ملك المملكة العربية السعودية جلالة الملك عبد العزيز السعود. وملك المملكة العراقية جلالة غازي الأول.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حديث الأسبوع(*)

مؤتمر اللجنة الثقافية وخطاب الدكتور طه حسين

بقلم: عبد الوهاب آشي

لقد كان هذا الأسبوع حقاً أسبوع العلم وتكريم رجاله، فهذا الدكتور طه حسين مجرداً من كل لقب غير لقبه العلمي الرفيع ـ يجول مكرماً في الحفلات والنوادي بجلاله العلمي، وعظمته الفكرية. وهذه الفئة الممتازة من رواد الفكر والثقافة العربية مكرمة تشد أزره في المهمة الجليلة التي قدموا من أجلها إلى هذه البلاد. فاستمتع بنوها بما شهدوا من محافل العلم الباهرة، وما سمعوا من تليد وطريف الثقافة العربية والعالمية الواسعة.

ولسنا الآن بسبيل سوق عبارات التعريف أو الإطراء والثناء على هذا العالم الكبير ورفاقه، فما من دار تؤوي قارئاً عربياً دون أن يكون لقلم عميد الأدب العربي وأسفاره فيها أثر أي أثر، وما هز المحافل الأدبية والعلمية في هذا العصر بآرائه الحرة وتوجيهاته الجريئة أديب عربي مثله، ومهما اختلف حكم الناس فيه إنه لا شك ولا جدال فذ في جيله عظيم

(*) **المصدر**: البلاد العدد ١٧٦٧ ـ ١٣٧٤/٦/١٣هـ.

في أدبه وعلمه وفضله، وأما رفاقه فهم النفر الغر الذين شاركوا في ميادين الثقافة والتربية والمعرفة بسهم وافر، وإن من واجبنا ـ حكومة وشعباً ـ أن نهتبل فرصة وجودهم بيننا. فنغنم ما وسعنا أن نغنم من فيض أفكارهم وآرائهم الناضجة في مختلف النواحي العلمية والأدبية والثقافية عامة، لندعم بها كياننا التعليمي. ونغذي بها عقول أبنائنا في دور العلم والتربية لتتفتح أعينهم في حياتهم المستقبلة على أضوائها وصواها فيسيرون بقدم ثابتة لا تضلهم الأهواء، ولا يبلبلهم اصطخاب المبادئ والمذاهب في هذا الكون الذي يتعارك فيه البشر ليدرك كل حزب الوجهة التي هو موليها. ويفرح بما يناله فيها من مغانم.

ولنقف بالقراء نستجلي ما شنف به أسماعنا رئيس هذا المؤتمر الدكتور طه حسين من خطابه التاريخي الذي ألقاه يوم افتتاح الدورة التاسعة لمؤتمر اللجنة الثقافية للجامعة العربية في هذه البقاع المقدسة مشرق الوحي الإلهي. ومهبط الدين المحمدي دين العلم والثقافة والحرية الفكرية السليمة.

يقول الدكتور طه حسين:

«يجب أن نبذل أقصى الجهد في سبيل العلم والثقافة وتنمية الحضارة الإنسانية، وخدمة الإنسان حيث هو إنسان» «وأن نكون هداة وقد أمرنا الله أن نكون هداة وقد إئتمننا على دينه بنشره ما وجدنا إلى نشره سبيلاً، وأمرنا أن نكون دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف مسارعين إلى الخير نصنع هذا كله لا لشيء إلا لنكون جديرين بهذا الدين الذي حمله العرب فاحتملوه وأذن فمن الحق علينا أن لا نكتفي بتعليم أنفسنا وتثقيف شعوبنا» «أريد للعرب أن يفتحوا أبوابهم ونوافذهم وقلوبهم للعلم والثقافة مهما يكن مصدر العلم والثقافة».

بهذه العبارات الفياضة السامية وبهذا الأسلوب القوي الآسر، وبهذا البيان المشرق الواضح، يدعونا الدكتور طه حسين دعوة خالصة مخلصة إلى واجب جد خطير. ويلهب نفوسنا وقلوبنا وعقولنا التي قد يكون ران عليها الركود والجمود بحماسته وإيمانه ورحابة أفقه، ويدفعنا إلى أن نكون هداة مصلحين مشربين بحب الخير للخير نفسه. نغمر الخلق بالتسامح والعدل اللذين لا يفرقان بين إنسان وإنسان. ونبذل الهداية والمعرفة لطالبها لأي فريق انتسب وفي أي بقعة كان. وإن هذه لهي دعوة الحق الشاملة التي ينادي ويفخر بها الإسلام. دين العلم والثقافة والحرية والسلام.

ولا يكتفي الدكتور طه بأن يدعونا هذه الدعوة الصارخة حتى يحملنا المسؤولية، وأية مسؤولية؟ مسؤولية الانطواء والانزواء مسؤولية الخمول والتهاون. فيقول في صراحة صارمة «لقد نشر آباؤكم دين الله في الأرض. فاجتهدوا في أن تكونوا حماة هذا الدين الذي نشره آباؤكم، واحذروا أن تطغى الحضارات الأجنبية على أمم إسلامية لا تحسن لغة القرآن. احذروا أن تطغى هذه اللغات وهذه الحضارات على تلك الأمم. أن تكون أعلم بلغات الأوروبيين وحضاراتهم منها بلغة العرب والقرآن وثقوا بأنكم تقصرون في ذات الإسلام وفي ذات الله إذا لم تحافظوا على ما قدم آباؤكم من التمكين للإسلام في البلاد الإسلامية غير العربية. مع أنكم تعلمون أن الله لا يأمركم بهذا وحده وإنما يأمركم بنشر الإسلام في كل مكان ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً. ولا سبيل إلى نشر الإسلام حقاً إلا إذا عنيتم باللغة والعلم والثقافات على اختلافها».

بخ بخ! أي شر أدهى وأمر من طغيان اللغات والحضارات الغربية على أمم إسلامية قصر العرب في واجبهم نحوها؟ أية طعنة طعن بها الإسلام

أمعن وأعمق من تلك الثقافات المادية التي أذاعها المستعمرون والمبشرون يهاجمون بها الإسلام والمسلمين؟ وإنا لنرى آثارها المتغلغلة واضحة في كثير من البلاد الإسلامية بل والعربية، فقد أصبح كثير من المسلمين العصريين المتنورين غرباء عن دينهم، بهرتهم الحضارة الغربية والمدنية الأوروبية بمعارفها وثقافاتها وفنونها، فآمنوا بها، وولوا وجوههم قبلها، وكانوا أشد حرباً على الإسلام من غير المسلمين وهم أبناء أمة إسلامية، وكان غنم المستعمرين بهذا التحول فيهم غنماً هائلاً، ولقد كان للعرب عذر يوم لم يكن أمرهم بيدهم، والدنيا حرب عوان عليهم، والجهل سائد في ربوعهم ـ في عدم العناية بأمر الأمم الإسلامية بينهم، أما وقد انجلت القمة، وعاد للعرب كيانهم المرموق وصوتهم المسموع، فمن الواجب المحتم علينا وعلى العرب جميعاً أن نشارك الأمم الإسلامية آلامهم وآمالهم، وأن نهيب بهم إلى التعاون معنا في التمسك بلغة وهدى القرآن وأن نبعث إليهم من رجالاتنا أولي العلم والثقافة والعزم ليبصروهم بما في القرآن من حكمة بالغة وهدى قويم وإنه يدعو أنصاره دائماً إلى التدرع في الحياة بالعلم والحق والقوة، يمجد السعي والعمل، ويكره البطالة والكسل، ويدعو إلى الغناء والطموح، ويمقت الترهب والخنوع وإن الأرض لله يورثها عباده الصالحين العاملين، وإنا لواثقون أتم الوثوق أن المسلمين إذا فهموا دينهم حق الفهم لا يرضون به بين الأمم مهما سمت وعلت بديلاً، ولا يبغون في هذه الحياة غيره سبيلاً، وأذاعوه بين الملأ وناضلوا عنه نضالاً جليلاً.

بخ بخ ! إنها لمسؤولية عظمى يحملنا إياها الدكتور طه، وليس لنا عذر أمام الله والناس في تقصيرنا تجاهها، وإنه لتحذير عنيف من عاصفة

تجرف العقول والفهوم الإسلامية بزيغها وزيفها، وليس أضر على الأمم من العقول إذا ضلت والفهوم إذا ندت، والويل كل الويل للسادرين الذين هم في غفلتهم يعمهون .

تعقيب بسيط :

لقد أسرتني كلمة الأستاذ الأديب عبد الله بن إدريس وتعقيبه على وصفي حفلة الشباب الجامعي لزملائه بأنها حفلة (بسيطة في مظهرها ومرآها) بمعنى أنها متواضعة وصغيرة، وأود أن أوجه نظر الأستاذ الكريم بأني قصدت هذا الوصف بهذه الكلمة (بسيطة) عمداً ولكن لا لتدل إلى المعنى الذي قصد، وإنما لتدل على أنها حفلة غير مركبة ولا معقدة كتلك الحفلات التي تتباهى بفخامة بهارجها وزيناتها المركبة المعقدة، لا لتبهج النفوس البسيطة الزكية وإنما لتخلب الأنظار ليس إلا، ولعمري أن الحفلة لم تكن متواضعة بما حوته من أريحية مستفيضة، وما أقيم فيها من مأدبة فاخرة، وليست صغيرة بما ضمت من عدد وفير من المدعوين ولكنها بسيطة وبسيطة حقاً لما تجلى فيها من عدم الكلفة والتصنع، ولعلّ هذه الكلمة على ما أظن ـ ولا أدري مقدار ما تدل على ما أعنيه لدى زملائنا اللغويين الغيورين ـ أدت ما عنيته لدى القراء الكثيرين،وسبق أن قلت إني من أنصار التجوز قصد الإفصاح وعدم المعاظلة، وغفر الله لي.

ثم إني لأنكر على الأستاذ ما نسبه إلي ـ سامحه الله ـ من الخوف من الأستاذين ـ العطار والأنصاري ـ حيث خصصتهما في ترجيح أو اختيار (الطباعية أو المطبعية والتصحيح أو التصويب، والأغلاط أو الأخطاء) فإني لم أعرف قط بين إخواني بالخوف والجبن وإن كنت أميل إلى تجنب مواطن الشغب والملاحاة البغيضة حفظاً للكرامة والإخاء، وما خصصتهما

في مقالي ذلك إلا لأني لم أجد من زملائي الأدباء من عني عنايتهما بتعقيب الأخطاء اللغوية في كتابة الكتاب، ومحاربة الصيغ والأساليب المتهافتة، وإني أرحب بزميل آخر كالأستاذ ينزل إلى الميدان فنستفيد منه ما نحن عنه ساهون، وفوق كل ذي علم عليم؟

حديث الأسبوع(*)

رحلات المليك لتفقد أحوال الشعب.

دأب الملوك وولاة الأمور من قديم على العناية بتفقد أحوال أممهم وشعوبهم، وتتنوع أساليب هذه الغاية وتتطور حسب الوسائل والإمكانيات التي توصلهم إلى تلك العناية وحسب الشعور الذي يحسونه من مكانة شعوبهم في قرارة نفوسهم. وعن مكانتهم في قلوب شعوبهم. وكان الملك أو ولي أمر الأمة ـ عندما كانت وسائل المواصلات تتركز في أعصاب وقوى الحيوانات ذوات الصبر والاحتمال على النقل والانتقال إلى مسافات بعيدة، وإمداء ـ شاسعة ـ كانوا يعتمدون أكثر ما يعتمدون في التعرف على أحوال أممهم وشعوبهم، بما تصل إليهم من أعوانهم وعيونهم من أخبار وتقارير وكثيراً ما تصاغ تلك الأخبار والتقارير بالأسلوب الذي يختاره ويستحسنه أولئك الأعوان والعيون وكثيراً ما تحمل من الأضاليل ما يجعل الملك أو ولي الأمر بمنأى عن الحقيقة التي يجب أن يعرفها سافرة غير مقنعة. حيث لا تتناول الأخبار والتقارير غير الناحية التي بدت أهميتها لواضعيها دون سواها؛ ومن الزاوية التي ينظرون إلى أحوال الأمم والشعوب منها. وقد يتابعون فيها

(*) **المصدر**: البلاد العدد ١٧٦٧ ـ ١٣٧٤/٦/١٣هـ.

ما يلاحظونه من ميول وأهواء سادتهم. وإذا كان من الأعوان والعيون رسل هدى وخير وإصلاح فمنهم من هو أداة شر ونقمة وبلاء تلتوي نفسه ويستشري فساده فيحاول جاهداً أن ينفث الذعر والمخاوف في نفس سيده. ويفسد فيما بين الراعي ورعيته أو يبعث فيها الطمأنينة الكاذبة ويزور لها الواقع تحت ستار من المريب بالنقد والاستقراء والفحص والتدقيق. حتى تستقيم الأمور في أممهم وشعوبهم ما أمكن على الوضع السليم العادل، ويكون الضعيف والقوي فيهم في الحق والفرص الطيبة على تكافؤ وسواء. ولقد ضرب الملك الراحل المغفور له عبد العزيز بن السعود أحسن المثل في ذلك. إذ كان يفاجئ عماله في شتى أنحاء المملكة رغم ما ترده منهم من التقارير الضافية عن مجاري الأمور والأحوال في جهاتهم ـ يفاجئهم بالهيئات؛ تلو الهيئات استكناهاً للحقائق في أجلى مظاهرها. فكان الناس يطمئنون إلى هذا الضرب من العناية والرعاية، ويكتفون بهذا القدر منهما في ذلك الأوان. وهو كل ما في الإمكان. أما الآن وقد توفرت وسائل المواصلات الميكانيكية المريحة السريعة ـ سيارات وطائرات وقاطرات ـ فمن حق الأمم والشعوب على ملوكهم وولاة أمورهم أن يطالبوهم بتفقد شؤونهم تفقداً مباشراً لا تتناولها الأخبار والتقارير بالأباطيل وسيّيء الغايات.

وقد دعا جلالة مليكنا سعود المفدى ـ الحب المتبادل والشعور الطيب المتجاوب بين جلالته منذ ولايته للعهد وبين مواطنيه ورعاياه وقد بسطت له الأرض راحتها، وأسلس له الجو قياده، وطالبه شعبه بأن يستكنه بلاده، ويستطلع بذاته مواطن الأمل والألم في أمته. فيعمم لو حظي أهله بالعناية الصحية اللازمة لتوفرت إمكانياته فيما ينتجه من مختلف المحاصيل ـ غلال وفواكه وخضروات ـ بما يكفي حاجة البلاد ولكن كيف نطلب الإنتاج

الوفير من الساعد الواهن الهزيل. وكيف نطلب الحياة الصحيحة النشيطة والعمل الجاد المثمر من جسم عليل اصطلحت عليه الأمراض، وتكالبت عليه الأدواء. وكيف تكون المحاربة والكفاح، والسلاح كليل والوسائل ـ من مواصلات ومستوصفات وعلاجات وأماكن صحية ـ غير متوفرة بل تكاد تكون معدومة بالكلية.

لقد كان الحديث مبسطاً وصريحاً غاية الصراحة تناول مرفقاً هاماً من المرافق الحيوية في البلاد وكفانا ما وصمت به بلادنا في غير حق ولا صواب ـ من الجدب والقحط والضنك. لم تكن إلا نتيجة الإهمال والتواكل، وعدم التوجيه الرشيد الحسن. وكدنا نذهب ضحية أمراض تفتك بسكان ريفنا دون مغيث ولا منجد. وضحية حاجة ملحة إلى الغذاء الجيد الوافر، وسواعد زراعنا لا تقوى لضعفها على حمل المحراث لفلاحة الأرض التي لا تقل خصوبة وإنتاجاً عما يماثلها من الأراضي التي استطاع أهلها أن يستغلوها في مختلف بقاع الأرض.

حديث الأسبوع(*)

آية الوفاء

إن الأسبوع الأخير لمؤتمر لجنة الثقافة مطبوعاً بطابع الحفلات التكريمية لحملة مشاعل العلم والتربية في الأقطار العربية. والذين قدموا إلى هذه البلاد ليدرسوا الثقافة والتربية في الأمم العربية. إن التوصيات الرشيدة والخطط السليمة لتوحيد الاتجاه الثقافي فيها وتنظيم مناهج التعليم في مختلف المراحل الدراسية ومعاهدها ولقد علمنا فيما علمنا أنهم توقفوا كثيراً في تحقيق الأهداف التي اجتمعوا من أجلها وستعلن نتائجها على الملأ العربي على هيئة الجامعة العربية. وقد كان روح الإصلاح والإخلاص يسود جميع مباحثهم ودراساتهم للمواضيع التي حددت في برنامج أعمالهم الخاص.

وإنه لمن دواعي الغبطة والابتهاج أن استطاع الأعضاء السعوديون المشتركون من رجال التربية والتعليم والأدب. وهم الحديثون بمثل هذه المؤتمرات والمجتمعات العلمية العالية ـ استطاعوا أن يساهموا بأوفى نصيب في مشاركة أولئك الفطاحل بآرائهم وأبحاثهم التي سادها الروح الإسلامية ومقومات التربية والثقافة العربية.

(*) **المصدر**: عدد ١٧٤٦ ـ ١٣٧٤/٥/٢٨هـ البلاد.

ولقد كان من أبرز الحفلات وأروعها حفلة الشباب الجامعيين لتكريم أستاذهم الدكتور طه حسين وزملائه أعضاء مؤتمر اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية. تلك الحفلة التي اتسمت بحسن التنظيم، وفخامة المظهر، ورصانة الكلمات التي ألقيت فيها. وما أسمى وأجمل آية الوفاء التي تجلت فيها بين الأستاذ وتلاميذه وما أبلغ وأبهى حديث الأستاذ البار المنطلق على سجيته يحدث فيه أبناءه الأوفياء بأمانيه وآماله الواسعة في جهودهم الطيبة من أجل العلم. ويدلي بتوجيهاته المثلى لهم في هذا السبيل.

وإنا لنعرف في هذا الشباب الطامح من الجد وعلو النفس وشعورهم بالمسؤولية الملقاة على كواهلهم نحو أمتهم وبلادهم ـ ما يجعلنا نثق في أنهم ماضون في أداء رسالتهم العلمية والثقافية.. وجادون في النهوض بمرافق وطنهم العزيز عليهم كل في حقله والمهمة التي تخصص لها.

النشاط المدرسي:

النشاط المدرسي لون من ألوان التربية الحديثة تصقل مواهب الطالب وتبرز خصائص نفسيته الصالحة المكنونة، وتصرف أفكاره عن الاتجاهات الشاذة التي كثيراً ما يستهدف لها المرء في طور مراهقته وتدفع بغرائزه على الدوام إلى التسامي والنشاط المدرسي ـ أدبياً ورياضياً وفنياً ـ مما يجب أن تعنى بها إدارات المدارس وأن تتعهدها بالنمو والاستمرار. ولقد نعمنا بمشاهدة مظهرين من مظاهر هذا النشاط في مدارسنا. كان أولهما في حفلة جماعة المسامرات الأدبية بمدرسة تحضير البعثات حيث استمعنا إلى موضوع علمي كتبه الطالب علي العائش عن القنبلة الذرية كنت عند سماعه يساورني الشك في أن يستطيع طالب ثانوي أن يعد مثله. وكانت

نفسي تحدثني بأنه من وضع أستاذه وإنما كلف بإلقائه. ولكن سرعان ما زال ـ عني ذلك الشك واطمأنت نفسي وسرَّت بهذا النتاج الباهر ـ عندما انتهى ذلك الطالب من إلقاء موضوعه، وطلب أستاذه من السامعين توجيه أي سؤال في الموضوع إلى الطالب ليجيب عنه، فتقاطرت عليه أسئلة كان منها المحرج الذي لا يمكن للطالب أن يرد عليها دون أن يكون ملماً هاضماً لموضوعه كطالب ولقد أعجبنا وبهرنا حقاً حينما رأيناه يجيب عنها في طمأنينة وهدوء إجابات موفقة. فكانت مفاجأة دعتنا نحمد لإدارة المدرسة وأساتذتها جهودهم الطيبة في تنشئة طلابها على الأبحاث العلمية التي تهيئهم تهيئة صالحة للدراسة الجامعية. وتدريبهم على الدأب والصبر والاعتماد على النفس في الدرس والتحصيل.

ولاحظنا انحصار أكثر الحاضرين لاستماع الموضوع من طبقة أساتذة المدارس ومعلميها ولم نر من رجال المعارف وأولياء الطلبة المثقفين إلا نفراً قليلاً. ولعلّهم دعوا ولم يروا لمثل هذه النوادي المدرسية من الأهمية ما يدعوهم للحضور. وفي رأينا أنه لا بد من تشجيع أبنائنا هؤلاء الطلبة الذين سيكونون رجال المستقبل وعدته في الجهاد والعمل وأن نشيع فيهم بحضورنا ـ ما مكنتنا ظروفنا بذلك ـ روح الثقة بأنفسهم دون أن يدفعهم ذلك إلى الغرور ليصبحوا رجالاً مكتملي الرجولة يحملون المسؤوليات التي تلقى عليهم بشجاعة وثبات.

وأما المظهر الثاني فهو مظهر الحفلة الرياضية الكبرى التي أقامتها وزارة المعارف احتفاء بوفد اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية. حيث شاهدنا من أنواع الرياضة البدنية التي قام بها طلبة مختلف المدارس ما كان له في نفوسنا أكبر إعجاب وتقدير. وكم هو جميل ومبهج أن نرى الأطفال

يؤدون الحركات الرياضية (في القصص الحركية) في نظام بديع واتساق وانسجام ونشاط. وإنا لنود من وزارة المعارف أن تهتم بهذه الروح الرياضية في طلاب المدارس اهتماماً بالغاً. فتنشئ لهم ملعباً يحوي جميع الأقسام والأدوات الرياضية التي يمارسونها. وتهيئ لهم الجو الذي ينمي فيهم تلك الروح ويقويها. لتصحّ أجسامهم وتزكو عقولهم وتطيب نفوسهم.

الجامعة العربية وموقف العراق!

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الأبل

عرفنا العراق وشعبه من قديم الزمان. معقلاً للعروبة مرهوب الجانب قوي السلطان. ولشد ما كان استغرابنا واستغراب كل عربي مخلص أبي من موقفه الأخير تجاه إخوته وبني عمومته من الأقطار العربية الأخرى ودولها. وإصراره على التفرد بموقفه عنهم في تنفيذ سياسته الإنفرادية. بإبرام الحلف العراقي التركي. غير عابئ بما في هذا الإصرار من تصديع الكيان العربي، وزلزلة بناء الجامعة العربية التي أصبح لها في الأزمنة الأخيرة مقام مرموق، وصوت مسموع في المحافل السياسية الدولية العامة. بفضل ما كان من اتحاد وتضامن أعضائه في مجال الدفاع عن حقوق العرب المسلوبة. ومناهضة طغيان الاستعمار الغربي الذي يتزيا بمختلف الأزياء الماكرة الخادعة.

وأنا لا نعجب من ضلع رئيس الحكومة العراقية الشديد في جانب الديمقراطية الغربية المزعومة. فنزعته هذه قد اشتهر بها منذ أن خاض غمار السياسة، ولكنا نعجب من ساسة العراق ورجاله الغير الذين عرفوا

ببأسهم وكياستهم وعدم اندفاعهم مع التيارات التي تتعارض ومصالح العرب العامة ونعتقد اعتقاداً جازماً أن في بقاء البلاد العربية متكتلة تساند بعضها بعضاً. ما يدعو إلى سلامتها واطمئنانها أكثر من انحياز بعضها إلى أحلاف مع أمم أخرى تبتعد في طبيعتها ومقوماتها وسياستها وأهدافها وتاريخها عن الأمم العربية ولا نكون مشتطين إذا خصصنا بذلك تركيا التي حاربت حكوماتها في العصر الحاضر المبادئ الإسلامية والعربية وما زالت تميل إلى مؤازرة أعداء العرب والإسلام. وتعمل جاهدة على أن تلتحق بالغرب في كل اتجاهاته السياسية والثقافية والحربية. ولقد حز في نفوسنا أن رجع وفد رؤساء الوزارات العرب الذي قصد العراق في إخلاص وغيرة عربية قوية بالفشل في بحثهم مع رجال العراق المسؤولين إلى رأب الصدع ولم الشمل وكنا نود أن يثوب أولئك الرجال الذين أصروا على مخالفة بني عمومتهم إلى رشدهم فيعدلوا من هذا الحلف الذي هو في صالح الترك أكثر منه في صالح العراق. وإلا لماذا جهد رئيس وزارتهم إلى استمالة بقية الأقطار العربية ليكون أبناؤها وفوداً للحرب في جهات بلادهم وما زال في الأمل بقية في أن تأتي الأيام القريبة قبل توقيع ميثاق الحلف بما لا تهدم حاضر العراق ماضيه المجيد.

فَتـــح مكَّـــة(*)

في السنة السادسة من الهجرة عقد صلح الحديبية (الشميسي حالياً) بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين قريش على شروط أربعة:

١ ـ إيقاف الحرب عشر سنين.

٢ ـ من جاء المسلمين من قريش يرد ومن جاء قريشاً من المسلمين لا يرد.

٣ ـ من أراد محالفة النبي من العرب فلا جناح عليه، ومن أراد محالفة قريش فلا جناح عليه.

٤ ـ يعود النبي وأصحابه إلى المدينة دون أن يعتمروا في هذا العام ولهم أن يقدموا في العام التالي فيدخلوا مكة لا يحملون معهم من السلاح غير السيوف في القرب، ولا يقيمون بها سوى ثلاثة أيام.

وكان هذا الصلح فتحاً مبيناً كما ذكره القرآن الكريم، وإن ثقل وقعه على المسلمين بادئ ذي بدء ورأوا في هذه الشروط التي ظهرت لهم لأول وهلة أنها في صالح قريش أكثر مما هي في صالحهم، رأوا فيها الدَّنية اللاحقة بالإسلام، كما صرح بذلك عمر رضي الله عنه في ألمه وتحمسه الشديد.

(*) المنهل السنة ١٥ الجزء ٧ رجب ـ شعبان ١٣٧٤هـ مارس ـ إبريل ١٩٥٥م.

كان هذا الصلح فتحاً مبيناً حيث مهد بنتائجه السليمة الباهرة بعد زمن يسير لفتح مكة الذي يطلق عليه المؤرخون (الفتح الأعظم) تلك النتائج التي دلت على الحكمة السامية والغاية الصائبة البعيدة التي كان يقصدها ويهدف إليها الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام، ولحظها أبو بكر رضي الله عنه في رده على عمر.

فإن النبي وهو يفهم أنه بعث بدين الحق المبشر الغير المنفر، دين السلام والوئام جنح في قول هذه الشروط إلى تغليب جانب السلم على الحرب ما وسعه السبيل إلى ذلك ترضى بها قريش ولا تضير الإسلام ولا تضر المسلمين لتقوم بينه وبين أعدائه قريش هدنة سلمية تمكن لهم ولغيرهم من العرب المناوئين لهذا الدين عنتاً وصلفاً، تمكن لهم جميعاً من حيث لا يشعرون أن يتعرفوا ويتفحصوا خلالها ما احتواه الإسلام من قواعد خلقية واجتماعية رفيعة وأسس إصلاحية متينة لحياتهم المليئة بالشرور والمفاسد وليتجلى لهم في هدوء وروية واطمئنان ما يقرره النبي وأتباعه، ويدعون إليه من رعاية لمصالح البشر العامة، وتوطيد لأركان السلام والاستقرار اللازمة لحياة الأمم واحترام للعهود والمواثيق المبرمة.. وليدركوا ما يتحلى به المسلمون من سماحة وقوة إيمان، وابتعاد عن الهوى والجنف والطغيان، وقد أسفر ذلك فعلاً عن إسلام ثلاثة من رجالات قريش النابهين (خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن أبي طلحة) كانوا من أشد الرجال وطأة على المسلمين في الحروب..

كما كان يرمي عليه الصلاة والسلام وهو يعلم أنه مرسل لكافة الخلق بشيراً ونذيراً إلى اغتنام فرصة هذه الهدنة لدعوة الأمم المجاورة للجزيرة العربية إلى الدين الإسلامي القويم، فراسل في غضونها الملوك والأمراء

المجاورين يدعوهم بالحسنى إلى دين الله فمنهم من أجاب الدعوة وأسلم، ومنهم من رد رداً حسناً فسلم. ومنهم من رد رداً قبيحاً فأذاقه الله بعد حين وبال أمره.

وهو عليه الصلاة والسلام إلى ذلك كله يعلم أن قريشاً وحلفاءها لا تواتيهم جهالتهم وكبرياؤهم وإمعانهم في السخرية والهزء على أن يستمروا في الحفاظ على العهد الموثق والذمة المحرمة وقد كان ذلك إذ خان سفهاؤها العهد فأعانوا سراً سفهاء حلفائها بني بكر على الغدر بحلفاء النبي: خزاعة، بعد غزوة مؤتة التي رجع فيها المسلمون دون أن ينالوا من الربح شيئاً.

فظن أولئك السفهاء ومن لف لفهم من الأعراب أن بالمسلمين ضعفاً فكان غدرهم ذلك مدعاة لتصميم النبي عليه الصلاة والسلام على فتح مكة.

ثم ماذا يضير الإسلام ويضر المسلمين أن يصبر من قوى إيمانه في قلبه، ورسخت عقيدته في أعماق نفسه على الأذى حتى يأذن الله له بالفرج والفرج للصابر قريب؟ ولقد برهنت الحوادث على أن قوة إيمانهم ومكنة عقيدتهم جعلتهم حينما أبى النبي قبولهم حرمة للعهد المقطوع وليس في إمكانهم الرجوع إلى قريش فيشتد الأذى عليهم أشد نكالاً ووبالاً على قريش.

وهل يضير الإسلام ويضير المسلمين من ضعف إيمانه أو تنكس بعد الهدى إلى الضلال، واختار اللجوء إلى من يميل إليهم هواه؟ ولقد يكون بقاؤه بين المسلمين بمراءاته بلاء ينقض الظهور، وسما في الدسم غير منظور وطابوراً خامساً يفت العضد ويكون أشد وقيعة من العدو السافر.

بغدر قريش الذي أشرنا إليه قبلاً كان للنبي عليه الصلاة والسلام المندوحة العظمى لاستنفار القبائل العربية المسلمة (سليم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة) ودعوتهم للحضور في رمضان من السنة الثانية من الهجرة بالمدينة المنورة دون أن يعلن قصده غزو قريش وفتح مكة. حتى إذا تجمع من المسلمين عشرة آلاف محارب بادر بالتوجه إليهم صوب مكة في سرعة وحذر لا يمكن معهما أن يصل الخبر إلى قريش فتتجهز للقتال وهو لا يريد أن يدخل مكة إلا سلماً، فما إن وصل هذا الجيش الكثيف مَرَّ الظهران (وادي فاطمة حالياً) قرب مكة، حتى أحست قريش بالخطر الداهم، وليس لديها الفرصة الكافية للاستعداد للكفاح فأرسلت ثلاثة من رجالها يستطلعون الخبر ويستجلون حقيقة قدوم النبي إليهم بالمسلمين بغتة.. ولم يتريث النبي بالجيش كثيراً وسار بهم حتى بلغ ذا طوى، وليس أمامه ما يدل على تأهب مكة للمقاومة ففرق الجيش إلى أربع فرق ودخل مكة من شمالها وجنوبها وأعلاها وغربها، وفي أسفل مكة حيث يقود المسلمين خالد بن الوليد، تصدى لهم فريق من قريش أبوا إلا المقاومة والحرب فأصلاهم خالد بأسه ودارت عليهم الدائرة وفرقوا وهم يطلبون السلامة والنجاة، وكانت ملحمة قصيرة اضطر إليها المسلمون اضطراراً، ولم يرد النبي عليه الصلاة والسلام أن تكون وسرعان ما استتب الأمر وأذعنت مكة كلها للنبي وأصحابه، وعاد الإسلام إلى منبعه، موطد الأركان، مرفوع الأعلام، شامخ البنيان، وتم بذلك فتح مكة هذا الفتح الأعظم الذي هدأت بعده الجزيرة العربية وأهلها من حروب طال أمدها واتسع مداها بين الإسلام ومناوئيه وبين المسلمين والعصابة القوية الحامية للشرك وشرعت بقية القبائل العربية الضاربة في مختلف مناطق الجزيرة وأنحائها تفد إلى المدينة المنورة تقدم ولاءها وطاعتها لرسول الله محمد

عليه الصلاة والسلام.. ويعلن رجالها إسلامهم بعد أن كانوا طيلة مدة الحرب القائمة بين عاصمة المسلمين وعاصمة المشركين يرتقبون غلبة أحد الفريقين فينضوون تحت لوائه وينضمون إلى فنائه.

وقد كان هذا الفتح حداً حاسماً لتبلبلهم في العقيدة والسلطان عقيدة الشرك بالله وما اكتنفه من المثالب الخلقية الشائنة، والأدواء الاجتماعية الضارية، وسلطان أعوانها وحماتها بمكة المبنى على الإلحاد والإباحة والجبروت والعدوان، وعقيدة الإسلام الداعية للتوحيد ومحاسن الخلق ومجانبة الشرور والفساد، وسلطان معتنقيها بالمدينة المبني على الفضيلة، والرحمة والتقوى والعدل وحسن اليقين والإيمان..

وفي هذا الفتح الأعظم تتجلى صفتان من صفات النبي عليه الصلاة والسلام كقائد حربي محنك، وحاكم إداري حكيم:

١ ـ الأسلوب والتكتيك الحربي البارع في كتمان حركة الجيش، والمباغتة بالهجوم، وفي التهويل على العدو بإيقاد النيران الموهمة لجواسيسه بكثرة العدو عند الإقبال على مكة وفي الإحاطة بمركز تحصنه وأخذه من جميع جهاته، والنداء بالأمن العام لمن ألقى السلاح وأغلق داره عليه، ولمن دخل المسجد، ولمن دخل دار زعيمهم أبي سفيان.

٢ ـ العفو عند المقدرة، عندما سأل عليه الصلاة والسلام قومه الذين أخرجوه من وطنه وألحقوا به أشد الأذى حين كان بين ظهرانيهم وكانوا أعنف خصومه حرباً ولدداً وقد امتلك بهذا الفتح ديارهم وسيطر على نفوسهم وأموالهم. وكان سؤاله لهم سؤال الكريم المشفق: «يا معشر قريش ما ترون إني فاعل بكم؟» وأجابوه جواب الخاضع المؤمل «خيراً أخ كريم وابن أخ كريم» فقال لهم كلمته السامية «اذهبوا فأنتم الطلقاء» كلمة

دوت في ربوع الحرم كان لها في مجال التفاخر العربي بالسماحة والنبل والفضل والكرم مقام يعز على من رامه ويطول، وهذه هي الصفة النبوية الكريمة التي لا تعلق بها شبهة ولا ريب.

وهذا هو فتح مكة الفتح الأعظم وقصته في التاريخ الإسلامي الحافل بأروع المناظر والمشاهد والأمثال.

صلة أندونيسيا بالحجاز قديماً وحديثاً

تقوم صلات الأمم بعضها بالبعض الآخر على أسس من المنافع الحيوية؛ وهي كثيرة الألوان، متعددة الوجوه، فمنها الثقافية والاقتصادية، ومنها السياسية والحربية، ومنها الاجتماعية والفنية.. وصلة أندونيسيا وهي بلاد يعمر أغلبها شرقيون مسلمون ـ بالحجاز وهو البلد الذي انبثق منه نور الإسلام، فعم مشارق الأرض ومغاربها، ومنه انثالت جموع المسلمين الأول إلى مختلف أصقاع الدنيا ينشرون مبادئ الإسلام العالية ويوطدون بين البشر أركان الحرية والمساواة والعدل.. إن صلة هذين البلدين ببعضهما لا شك في أن أساسها هو الدين الإسلامي الذي اعتنقه الأندونيسيون، ورأوا فيه الهداية الصحيحة التي كانوا ينشدونها في جاهليتهم الأولى، حينما كانوا يعبدون الأوثان. وإنها لصلة العقيدة الراسخة في أعماق النفوس، صلة الإيمان المتغلغل في سويداء القلوب.

وتتأكد هذه الصلة المباركة سنوياً بالحج الذي فرضه الله على كل مسلم قادر استطاع إلى زيارة بيته الحرام ـ في قلب الحجاز ـ سبيلاً.

وقد أدى ذلك إلى امتزاج أبناء الأمتين الحجازية والأندونيسية في الحجاز بقدوم الأندونيسيين إليه للحج، وفي أندونيسيا يسافر كثير من

(*) المنهل ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٦٩هـ.

الحجازيين إليها إما لزيارة محضة، وإما لكسب عيش وطلب رزق، وتوشجت بينهم بحكم تردد الطرفين بين البلدين، وطول إقامتهما فيهما وشائج المصاهرة والتزاوج، فنشأت منها الرابطة الاجتماعية، وإن الدين الإسلامي الذي يطلب من معتنقيه دراسة القرآن، وتعلم العلم، واستكناه أصول الشريعة وأحكامها وأسرارها، قد جعل وفود الأندونيسيين؛ وبعوثهم العلمية ـ تترى إلى مكة، يقيمون فيها، ويوقفون الدور وقفاً خاصاً أو عاماً لتؤوي وافديهم وطلابهم؛ فينهلون من مناهل العلم والدين على علماء الحرمين الشريفين وعلماء المسلمين المهاجرين إليهما أو القادمين من الحج ما شاء الله أن ينهلوا ثم يعودون إلى بلادهم مزودين بزاد كبير من العلوم العربية والدينية والاجتماعية والرياضية، ليبثوه بين مواطنيهم في أندونيسيا؛ في المساجد والجوامع والمدارس ودور التعليم الخاصة المبثوثة[1] في القرى والدساكر.

وإن الكثرة الكاثرة من الأندونيسيين يفضلون الهجرة إلى بلد الله الأمين عن بقية البلدان الإسلامية؛ طلباً للفضيلتين: فضيلة العبادة التي يضاعف أجرها في المسجد الحرام؛ وفضيلة طلب العلم والتفقه في الدين، ولهاته الصلة الثالثة الثقافية الأثر البالغ في شيوع روح الحب المتبادل، بين الأساتيذ ومريديهم وبالأحرى بين الحجازيين والأندونيسيين.

وهذه الصلات الثلاث بين البلدين وسكانهما، كما نشأت وتوطدت قديماً، فإنها وكلا البلدين الآن مستقلان، ولله الحمد، يقطنهما شعبان شرقيان مسلمان، وتحكمهما حكومتان إسلاميتان؛ وقد اعترفا ببعضهما

(١) هذه الدور تتكوّن من مجموعات يسكنها الطلاب تحيط بالمحل الخاص بدراستهم على أستاذهم وهي كثيرة في قرى أندونيسيا.

الاعتراف التقليدي السياسي، فإن هذه الصلات لا ريب ستتأكد وتتوثق، وستكون الأداة الفعّالة في إيجاد الصلة الاقتصادية التي هي مدار الحياة، ومبعث القوة والسيادة والاحترام في الأمم، والتي كان الاستعمار يستغلها في البلاد الإسلامية لنفسه، ويقف حاجزاً منيعاً دون استفادة أهلها المستضعفين بها وتمتعهم بمزاياها الجمة التي تنهض بلادهم، وتعمر أقطارهم وتعود بالثراء والغنى عليهم، وبالمتعة والعزة على سلطانهم.. وليس بمجهول اليوم ما للبلاد العربية السعودية وأندونيسيا من مكانة اقتصادية مرموقة في العالم لما تحويه أراضيهما من كنوز طبيعية هائلة، وموارد تجارية قيمة.

وإن أمتين ـ كالأمة الحجازية السعودية والأمة الأندونيسية ـ تجمع بينهما هذه الصلاة الأربع، إذا تعاونتا على زيادة تأكيدها بينهما، سيكون لهما شأن أي شأن في توطيد دعائم السلام في ربوع الشرق، وفي إقامة شعائر الحق والعدل التي يدعو إليها دينهما الموحد، في العالم، وإنها لأمنية كل مسلم مخلص لدينه ووطنه وأمته.

يوميات قصيرة(*)

توحيد الصحف المحلية:

يظن كثير من الناس أن الصحافة عمل سهل هين لين. يعنى بجمع الأخبار كيف جاءت وسردها كيفما اتفقت. ورصف المقالات من محرريها المختصين أو من كتّاب متبرعين أو مأجورين. والجري وراء الإعلانات لسد النفقات وغير هذا من أعمال تبدو أقرب إلى العبث منها إلى الجد. ويظنون الصحفي ليس إلا شخصاً رأس ماله قلمه الحول القلب، ولسانه الطويل المتحذلق، وقد يكون هذا الظن على جانب من الحقيقة والواقع. فقد مرت على الصحافة العربية وخاصة في هذه البلاد أطوار ظهرت في بعضها بمظهر ضعف باهت. تقاذفتها الأهواءوالأغراض ذات اليمين وذات الشمال. وتعاورتها أيد غير أمينة ولا مخلصة سخرتها تارة للمادة التي ما دخلت في أمر إلا أفسدته، واتجهت بها مرات اتجاهات منحرفة في غير هدى ولا رشاد.

هذه الصور البشعة، وهذه الألوان الغير السارة. أساءت في الصحف والصحفي الظنون. وجعلت شكوك وريب فريق من عقلاء القراء وذوي الشأن تحوم حول حماها. ولا تطمئن نفوسهم إلى كل صحيفة ولا كل صحفي.

(*) **المصدر**: عرفات عدد (٥١) ٧٨/٦/٢٤هـ.

وفي نظرنا أن منشأ ذلك يرجع لدينا إلى أمرين اثنين:

أولهما عدم وجود أهداف محددة، ولا خطوط مرسومة للعمل الصحفي في بلادنا يوجه سير الصحف إلى وجهتها الصالحة السليمة. ويجعل الصحفي والكاتب يؤمن في قرارة نفسه بقوة الحق والعدل التي يأمن معها العثار في خطاه ومسراه، ولا يخشى مفاجآت المآخذ من حيث يدري ولا يدري تقصم ظهره وتفصم عراه. فيسير نحو مبادئه السامية بقدم ثابت وقلب مطمئن.

وثانيهما ضعف الكفاءة والخبرة حيناً، ووهن الإرادة والعزيمة حيناً آخر، في بعض من تولوا تحرير وإدارة صحفنا.

ولئن برز بعض صحفنا في الأيام الأخيرة في مظهر غير المظهر الذي كنا نعرفه. وتلون بلون فيه بعض البهجة وبعض الإغراء مما لم نكن نألفه. إلا أن هذا لم يكن كافياً ليزيح النظارات القاتمة عن أعين القراء. أو يمحو ما علق بالنفوس من مناظر شائهة لبعض زميلاتها القديمات.

ولئن ظهرت في صحفنا حديثاً أقلام شباب طامح يكتب عن علم وإدراك وبحماسة وقوة ولئن لمعت في جونا الصحفي والأدبي نجوم أخذت تنهج في أدبنا الوطني والقومي منهجاً حافلاً متجدداً. يتجاوب مع أدب الأقطار العربية الأخرى. إلا أن ذلك كله لم يصل في نموه إلى درجة التكامل والاستقلال الشخصي. ذلك إلى ما بدا من جنوح عن قصد السبيل في مساجلات بعض الكتّاب في صحفنا وملاحاتهم. مما لم يرض عنه أغلب القراء كل الرضا. وتمثل لهم في ذلك ما كانوا عهدوه في الماضي القريب مرة أخرى.

دعانا إلى هذا القول كله لنبين الانحراف الذي اعترض طريق صحافتنا

وأهم أسبابه. ولنعلن للناس بعد ذلك أن الصحافة ليست بالعمل الهين اللين كما يظنون. وليس الصحفي مهرجاً أو ثرثاراً مرتزقاً كما يقولون. كلا. فإن الصحافة في جوهرها أدب وفن، وثقافة وعلم، وتربية قويمة وتوجيه رشيد. والصحفي لا يكون صحفياً في حقيقته وكيانه إلا إذا جمع إلى أدبه وفنه وعلمه خلقاً نظيفاً، ومبدأ شريفاً، وذكاء وكياسة، وجلداً وشجاعة وخبرة حصيفة بموارد الأخبار الوثيقة المثيرة والحوادث الهامة الدقيقة والجليلة.

ولقد قضت الظروف والواجب الوطني في حين يسير من الماضي أن نمارس العمل الصحفي ونخبر شؤون الصحافة فتكشفت لنا عن أخبارها ومتاعبها. ما كان له أثر غير قليل في تصحيح نظرنا إلى معالجة مشاكل الحياة ومجرياتها.

واعتقادنا أن في توحيد صحفنا المحلية الذي صدر به أمر رئيس حكومتنا الجليل. خيراً وبركة، حيث تتوحد إمكانياتها المادية. وتتكل جهود نشرها المتبعثرة إلى ما فيه خيرها مادياً وأدبياً. فتعالج أمورها ومواضيعها ووضعياتها من قبل أفراد هذه الأسر كل في اختصاصه على نحو ما صرح به رئيس حكومتنا عن قصده في توحيدها. وهو ظهورها في ثوب بهيج مشرق. وتبوئها المستوى الرفيع الذي يجعلها فيه خير رائد وموجه للشعب العربي عامة والسعودي خاصة إلى حياة أكرم وأفضل يحوطها العز والسؤدد من العالم أجمع. ولنا الأمل الوطيد في شبابنا المثقف. أن ينير الطرق ويمهد السبيل ما تؤتيه من علم ودراية. وقوة وعزيمة. كما أن على شيوخنا المحنكين أن لا يقسوا علينا بوضع خبراتهم وتجاربهم الحيوية، لتتضافر القوى البناءة. لخير الأمة والبلاد. والله المعين الهادي إلى سواء السبيل.

مشروعاتنا في السنوات الخمس(*)

ـ ١ ـ

حضرة الأستاذ الفاضل السيد عبد القدوس الأنصاري المحترم:

تحية مباركة: تسألني أيها الأستاذ عن أملي فيما تصل إليه بلادنا بعد خمس سنوات في الاقتصاد والثقافة والعمران والأدب، وأجيبك بأني وإن كنت في حياتي متفائلاً أو متشائماً على الدوام إلا أني لا أحب أن أنساق مع الأمل على غير هدى من الواقع الماثل أمامي. ولهذا سيكون جوابي عن سؤالك مقتضباً وإليك ما يبدو لي في الموضوع:

١ ـ المستوى الاقتصادي:

أما الأمل في اقتصادنا فأمل مبهم غامض فبلادنا ما زالت تحبو في حقلي الإنتاج والاستثمار. وليس لنا مرفق نستطيع أن نركز بلادنا عليه في حياتها الاقتصادية غير الذهب الأسود «البترول» وهذا الذهب الأسود إذا لم يستغل في مرافق صناعية استثمارية أخرى، وبقي بضاعة معروضة للبيع على الدوام فإنه كما يقرر الجيولوجيون يفتقد كميته المختزنة في أرضنا بعد مدة من الزمن ما دام المتح من آباره مستمراً ينتفع به الغير من البلاد

(*) المنهل الجزء ٨ المجلد ـ ٢٠ شعبان ١٣٧٨ ـ مارس ١٩٥٩.

والأمم الحية في بناء اقتصادياته ونعود نحن بثمنه نصرفه في مصالحنا الخاصة والعامة دون أن نرسم أو نحاول أن نرسم برنامجاً ننظم به الصرف في مدد محدودة وعلى أوجه من المنافع المستقرة المستمرة لحياة شعبنا وبلادنا الحالية والمستقبلة. إنتاجاً واستثماراً: صناعياً وزراعياً. وهذه الحياة الاقتصادية التي تسير بطبيعتها وإلى هدف غير محدود ولا معين لا يمكن أن يركن إليها في بناء مستقبل سليم لرقي الشعب وازدهار البلاد ورفع مستواهما في المجالات الحيوية، وإلى الآن لم يظهر لي أن هناك برنامجاً اقتصادياً وطنياً وضع لينفذ في مدى خمس سنوات أو أكثر على خطوات ثابتة حتى يحقق ما تحتاجه البلاد وتتطلبه لحياتها الضرورية فضلاً عن الهناء والرفاه. فالزراعة التي هي قوت الشعب وغذاؤه في حياته لم تصل وقد مضت على العناية بها في الجملة سنوات غير قليلة إلى حد الاكتفاء الذاتي. والصناعة لا تزال تتعثر في محيطها الضيق الباهت الضعيف دون سند ولا توجيه. فإلى أن يكون هدف محدد وخطة مرسومة ومشروعات مصممة للنهوض الاقتصادي في جميع أو بعض مرافق البلاد الإنتاجية والاستثمارية وإلى أن نرى في ميزانية الدولة أرقاماً صاعدة مرموقة ترصد للدراسات والمشروعات الاقتصادية، حينئذ نستطيع أن نوضح أملنا على ضوء سيرها وخطاها في النتائج التي ستلمس أو تتحقق في مدى سنوات أو أكثر أو أقل. وإلا فإن الأمل سيبقى غامضاً مبهماً يترنح مع أشعة الفجر البعيد.

٢ ـ المستوى الثقافي:

وأما الأمل في مدى ما تصل إليه الثقافة في بلادنا بعد خمس سنوات. فأستطيع أن أقول إنه أمل باسم. ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن الخطوط

المرسومة لاتجاهات وزارة المعارف وخطواتها الواسعة تبعاً لما لديها من إمكانيات مادية وأدبية وفكرية ـ هي أوضح الخطوط في مرافق البلاد ومصلحها الحيوية العامة. وإنا لنأمل أن نرى الجامعة العربية السعودية ـ وقد كمل كل فروعها ـ تخرج لنا أفواجاً من الشباب المثقف الذي يحمل الأمانة العلمية والأدبية في مختلف مجالاتها، ويرفع مشاعل الثقافة والعرفان ليقود الأمة والبلاد إلى مباءة الأمجاد العالمية. كما نرى فرق مكافحة الأمية الإجبارية في المدن والقرى الصغيرة تنشل هذه الكتل البشرية المنتشرة فيها من حضيض الجهالة والغباء وتفتح عيونها وعقولها بنور العلم والمعرفة، لتصبح أداة نافعة للوطن في سبيل التقدم والرقي. ولا نكتفي بما جاء في نشرة وزارة المعارف لشهر رجب ١٣٧٨، والتي قصرت نشر الثقافة بشتى أنواعها بين أفراد الشعب على أساس الرغبة الذاتية فقط. على أن قفز ميزانية المعارف من «٢٠» مليون ريال في عام ٧٣ إلى «٨٧» مليون ريال في عام ٧٧ ليدل دلالة واضحة على أن الدولة جادة كل الجد في إنهاض المعارف وتحقيق رغبات الشعب في النهضة العلمية والثقافية التي تضمن له البقاء والصمود في المعترك العالمي الذي ما زالت ولا تزال الأمم تتسابق فيه إلى كشف أسرار الكون واكتناه خفايا الحياة لتوطيد أركان الحياة.

ثم على الرغم من هذه الخطوط العريضة التي نراها واضحة في تقدم المعارف وإطراد نموها، فإنه لا ينبغي أن نسرف في الأمل والتفاؤل دون أن نرى اتجاهاً قوياً من الدولة إلى تحقيق كفاية البلاد والأمة من الرجال الاختصاصيين في كل فروع العلم والمعرفة.. فإنه إلى الآن وقد مرت سنون ليست بالضئيلة لم نر من الاختصاصيين في العلوم والمعارف الحيوية

من نستطيع أن نعول عليهم في دراسات وأبحاث عالية غير نفر لا يتجاوز عدهم أصابع اليدين. وهذا النفر على قلته قد انطوت جهودهم في المصالح الحكومية في حدود ضيقة نعتقد أنها ستحد معارفهم وعقولهم وأفكارهم. وسوف لا نرى من بحوثهم ودراساتهم ما يزيح الستار عن منافع وكنوز وثروات تزيد في حضارة البلاد ورفاه الأمة. وهنا أيضاً لا نكتم أسفنا على مصير بعض من حملوا شهادات الجامعات فقد رجعوا فلم يجدوا أمامهم ميادين للعمل في حقولهم، وتركوا يتسكعون مدة من الزمن في طلب ما يثبت وجودهم، ويمكنهم من بذل نفعهم ونشاطهم فضلاً عن أن يجدوا ما يدفعهم إلى الاستزادة في التخصص، والتبحر في الدرس والتثقيف. في حين أننا ما زلنا نستقدم الأساتذة من الأقطار العربية لمدارسنا كما أننا مقدمون إلى مزيد من الاحتياج لمن يدعم جامعتنا في جميع الحقول العلمية والأدبية من العلماء الأكفاء والباحثين النبغاء، ومن أجدر بأن يقوم بهذه المهمة ويسد هذا الفراغ من شبابنا المثقف توجهه الدولة وتعينه مادياً وأدبياً وتدفعه إلى إكمال ما شق طريقه فيه من فروع المعرفة تحصيلاً وطيداً، وتخصيصاً دقيقاً فريداً؟

إلا أن الأمل ليزداد إشراقاً وقوة. إذا رأينا المزيد في هذا الاتجاه من الدولة فنجني الثمار المتوخاة في ثقافة أمتنا ونموها بعد خمس سنوات أو أكثر. والأعمال بنتائجها وخواتيمها.

٣ ـ المستوى العمراني:

والأمل في استبحار العمران، أمل صدمه الواقع بما لم يكن في حسبانه، وذلك أن العمران الذي قام في أكثر مدننا لم يكن على أساس صحيح ولا على تصميم مدروس يتفق وواقعنا الاقتصادي والاحتياجي. لا

شكلاً ولا موضوعاً باستثناء مدينة «الرياض» التي أخذت في مظهرها البديع وشكلها الأنيق تقتعد الذروة في شبه الجزيرة العربية روعة وجمالاً. حيث عني بتخطيطها ودرس أوضاعها ورسم خرائط تنظيمها قبل البدء في إعمارها. ثم تولت التنفيذ بعد ذلك أيدٍ قوية مخلصة. مؤيدة بالإشراف الدقيق والبذل السخي. ونرجو أن تتبع هذه الخطة في المدن التي لم تصل إليها بعد يد العمران. أو أخذ العمران يمد عنقه إليها«كجازان» لئلا تشوه كما تشوهت المدن التي قصد عمرانها وتجميلها ولكنها مع الأسف ضاع فيها الجهد والمال، وضاع معهما أوسع الآمال.

هذا من ناحية الشكل. أما من ناحية الموضوع، فقد كانت مطامع رؤوس الأموال في هذا الاستبحار من العمران على غير دراسة اقتصادية دقيقة. فكان أخيراً بعض النكسة وبعض البوار. ولعلّ فيما نرتجيه من قيام المشروعات الاقتصادية في المستقبل القريب ـ صناعة وزراعة ـ ما يعيد للعقار المنتشر في ضواحي المدائن يطلب السكان ولا سكان ـ الأمل الذي استهدفه رؤوس الأموال المدخرة وبالأصح المجمدة فيه. وعسى أن لا تقع المدن المقبلة على الإعمار فيما وقعت فيه سابقاتها. وخير لنا الآن أن نوجه عزائمنا إلى تنسيق مناظر مدننا وتحسينها بالميادين الفاخرة والشوارع المتسعة، والمعارض المغرية، والإضاءة الآخاذة لنبعث في نفوس قاطنيها البهجة والانشراح، ونجذب إليها أنظار الزائرين والسواح. فنزيد بذلك إلى اقتصادياتنا وثرواتنا وتجارتنا ربحاً على أرباح. كما أن من الخير الآن أن نقتصد في العمارات السكنية الاستغلالية التي أثبت الواقع أن الحاجة إليها لم تعد ماسة ما أمكننا. اللَّهم إلا ما كان سكناً خاصاً لذوي اليسار والاقتدار. وأن نوجه ما نملكه من رؤوس أموال إلى وجهات استثمارية أخرى ذات وضع استقراري واستمراري.

٤ ـ المستوى الأدبي:

وأما الأمل فيما يصل إليه مستوى أدبنا بعد خمس سنوات فيعود إلى ما سيكون لدينا من تطور في الشعور الوطني والقومي، وما سيصل إليه مستوى الاستقلال والتحرر في تفكيرنا وتصورنا. فإن أغلب ما نشر وقرأناه من أدبنا العصري لا يحمل بعد طابع مجتمعنا ومشاعره. ولا يصور بيئتنا تصويراً دقيقاً. كما لا يبدو مستقلاً في تصويره وأسلوبه ولا يتميز بكيانه الطبعي والاجتماعي والفكري. فأكثره يجري في أعقاب آداب الأقطار العربية الأخرى. ويدور في فلك الأديب الشخصي الذاتي غير متفاعل بأحداث محيطه الوطني العام. ولعلّ ذلك راجع إلى رواسب في أعماق نفوسنا من الملق والحذر والتهيب وعدم الصراحة. أو لما يعوزنا من قصور في استيعاب أحداثنا وشؤوننا، وعدم تمكننا من تلوين وتكييف أساليب الأداء. تبعاً لضعف ثقافتنا ودراساتنا اللغوية والأدبية عربية وأجنبية، وما زال التخصص والتبحر في ذلك مفقوداً في أوساطنا الأدبية. والأدب لا يزدهر دون أن يستند إلى عقل قوى الثقافة والهضم وفكر واسع الأفق والابتكار، ولغة فياضة بمفرداتها وأساليبها، تستجيب لكل مقام بما يناسبه، وتصور يستوعب المواقف والمناظر فيبرزها واضحة فاتنة، ونفس تتفاعل مع الأحداث والوقائع في أعماقها تفاعلاً يحيلها إلى مباهج أو لوعات. فينطقها بأفانين الأوصاف والعبر والعظات. فهل نعتقد ومستوانا الثقافي والاجتماعي والفكري والنفسي ـ كما هو ماثل في حالنا الحاضر ـ أن يتبدل موقفنا الأدبي بعد خمس سنوات. فيثبت أدبنا وجوده في الأدب العربي وبين الآداب العالمية بلونه الخاص الممتاز؟! قد تكون معجزة غير أن عصور المعجزات قد انتهت.

* * *

وختاماً أرجو من الأستاذ الفاضل عدم المؤاخذة على هذه «الدردشة» المشوشة في موضوعات تحتاج إلى بحث مركز، وشرح مفصل، وشكراً على ما أولاني من ثقة وحسن ظن، وحقق الله ما نتطلع إليه من أمانٍ وآمال.

ـ ٢ ـ

قبل الإجابة الحاسمة عن هذا السؤال. نريد أن نوجه سؤالاً آخر نراه كمقدمة له. وإن الإجابة عنه تؤدي حتماً إلى ما يجب أن يكون جواباً وشرحاً للموضوع المطلوب. هذا السؤال هو: (هل الحروب ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية للبشرية)؟

إذا رجعنا قليلاً إلى النظر في الغرائز البشرية نرى أن غريزة حب الذات في لغة العلم، أو الأنانية والأثرة في لغة الأدب والعرف، هي التي تصدر عنها كثير من الفضائل والمساوئ والخير والشر في النفس الإنسانية، وإنه لغريزة عارمة تدعو دواماً إلى الاستحواذ على كل شيء، والتغلب على كل ما يقف دوماً دون تحقيق الغاية التي يصبو إليها صاحبها. متى أنس في ذاته القوة والاعتماد وأنَّىٰ لمن استحصدت قوته، وتكاملت عدته أن يقف عند غاية. ويقنع بما أوتيه؟!.

وهي أيضاً تدعو إلى الكفاح ومناضلة القوى المتغلبة العادية ولو إلى مدى محدود في سبيل المحافظة على الحقوق التي حصلها صاحبها في حياته. متى أحس في نفسه ضعفاً يقعده عن الطموح والعدوان. وإنها كما تتمثل في الأفراد فتشعل بينهم خصومة محتدمة تسيل من أجلها الدماء. ندعوها نزاعاً فردياً. كذلك تتمثل في جماعات الأمة الواحدة التي تجمع بين بعض أفرادها وحدة المصلحة. ويفرق بين هؤلاء وبين سواهم عدم

اتحادهم فيها. والكل منهم يريد استخلاصها لنفسه فتثير بينهم لجاجاً وعراكاً ندعوهما حرباً أهلية أو ثورة محلية. وتتمثل أيضاً في الأمم والشعوب المختلفة العناصر والمبادئ والسكن. فتنفث فيهم سموم العداء والبغضاء. لا يعالجها إلا السلاح يقتل ويهدم ويدمر. وندعو ذلك حرباً دولية إذا حصرت بين شعوب ودول متعددة. وحرباً عامة إذا شملت أغلب الأمم.

فما هذا التناحر الدائب الذي لا ينقطع مع الزمن في مختلف أشكاله وصوره فردياً أو جمعياً أو أممياً ألا فورة وانتباه تلك الغريزة في النفس الإنسانية. تطغى على روح الجماعات والأمم. كما تطغى على نفوس الأفراد.

وقد جهد الإنسان المتمدن وبالتالي الأمم المتمدنة ـ بعد أن حدت قوانين الفضائل ومحامد الأخلاق نزعة العدوان. واصطلح المجتمع الإنساني في تطوراته الحيوية عن أنظمة الحقوق وتقريرها ـ في ستر دوافع تلك الغريزة. ولبسها بمختلف المعاذير الملتمسة. والمبررات المنتحلة. عند حدوث النزاع. وإذكاء نار الحرب. كدعوى استرداد الحق المسلوب. أو نجدة الحرية والكرامة المذالة لدى الهجوم. وكدعوى مناهضة المعتدي. أو نصرة الضعيف عند الدفاع. ولكن ما هي تلك الحقوق التي كانت ذريعة لإقامة شريعة القتل والتدمير. مقام شريعة المحبة والإخاء. وما حقيقتها؟! وهل كانت الطبيعة ومحاسنها. والأرض وكنوزها. حينما هبط إليها الإنسان الأول. ملكاً مسجلاً له ولبنيه؟ أفلم تكن مستباحة له وللحيوانات والدواب؟ حتى غالبها بذكاء عقله. وسعة حيلته. وقوة مداركه. فذلل ما كان منها في مصلحته تذليلها. وطارد ما كان منها عتياً

جباراً عن ما اختاره من الأرض ملجأ له ومأوى. إلى النواحي التي يأمن فيه من غوائلها! فاقتنى الدور والمزارع. وابتنى المدن والحصون والمصانع. وأصبح هو ونوعه من بعده السيد المطاع في الكائنات الحية! أفلا كان من دواعي النصفة والقسط. أن يكون هذا الميراث الإنساني المكتسب بسلاح القوة حقاً مشاعاً للبشرية. يتساوى فيه ضعيفهم وقويهم وحقيرهم ورفيعهم! أفما كانت شرعة التسامح والتعاطف فيما بينهم أولى من شرعة المماحكة والعنت في حق كان في أصله مباحاً ومشاعاً! ولعلّ أبا الطيب المتنبي نزع إلى ذلك حينما قال بيته الخالد.

ومراد النفوس أهون من أن نتعادى فيه وأن نتفانى

ولكن هيهات! فإن لمراد النفوس سورة لا يهدئها إلاَّ عزة الظفر أو خذلان الفشل. وإن للقوة حكماً صارماً تعنو له الجباه! وإذا كان الإنسان الأول احتكر ما أراده من الأرض والطبيعة بقوة جثمانه وعقله. فما أحرى أن يكوي ميراثه من بعده حقاً مشروعاً للقوي من بنيه. ونظام التطور والنشوء والارتقاء والانتخاب الطبيعي. يحتم تلاشي الضعيف وفنائه. ورسوخ قدم القوي وبقائه.

وقد كانت ولا تزال الشرائع والقوانين مؤيدة لهذا الحكم غير أنها أحاطته بحدود وكيفيات يرجع إليها في الفصل عند الاحتكام، وتكبت إلى حد ما ما يعتلج في النفوس من نوازع الطمع والشره. فاستطاعت بعد جهاد عنيف أن ترسم للإنسانية طرق اكتساب الحق ومشروعيته. ولا نقول جزافاً حين نقول: إن تلك الطرق إنما رسمت في أساسها على اعتبار القوة أيضاً. أليست النظم والقوانين تبعث الحق لصاحبه. إما بقوة الغلبة

والاستيلاء في الحرب. وإما بقوة وضع اليد. أو بقوة الحجة والاستناد، أو بقوة المال، في تبادل المنافع والمصالح والعروض السلم! ثم أليست الشرائع قد أباحت غنائم العدو وأسلابه عند اندحاره. أباحت فرض الجزيات والإتاوة على المخالف المسالم ثم أليست تدعو إلى أخذ الحذر وإعداد القوى للكفاح وإرهاب الأعداء!

فما أضل إذن الفلاسفة والحكماء الخياليين. دعاة المحبة والإخاء والمساواة والسلام في الإنسانية! ويا خيبة مساعي الساسة في نزع السلاح وإلقاء العتاد بين البشر. تلك أحلام تتراءى في ظلمات الإغراق في إحسان الظن والنية بالناس في الحياة الدنيا. يبددها إشراق الحقائق الواقعية التي تمليها ضرورات هذه الحياة. من تجهم الناس ونكرهم لبعض. ومن تصافحهم اليوم ثم تباغضهم في الغد. وبعد. فالحرب شر لا بد منه. وويل لا معدى للإنسانية عنه. ولا تستطيع أن تنجو منه إلا إذا استطاعت أن تتخلى النفوس عن غريزة حب الذات أو الأنانية. والأثرة. فهل يتسنى ذلك؟ إذن لركد العمران. وانكمشت الحضارة وتعطلت حركة تطور النفوس والأفكار والأخلاق. في الفرد والجماعات والأمم ولبقي الإنسان الآن هو هذا الإنسان الأول حينما هبط إلى الأرض. فلم يضرب في آفاقها. ولم يجد في استعمارها. بل لتلاشى أمام قوى الطبيعة القاهرة. واندحر تجاه وحشية الحيوانات الكاسرة. ولقد كانت حروبه الأولى دفعاً عن نفسه وعن نوعه إزاء تلك الظواهر والمؤثرات. ثم أصبحت نضالاً بينه وبين بني جنسه، طمعاً فيما قد نالوه ولم ينله. وحسداً لهم على نعمة أنعمها الله عليهم وحرم منها.

ولقد حدثنا القرآن الكريم. كما حدثنا التاريخ عن أول خصومة

استحرت في عهد الإنسان الأول. وسفك فيها الإنسان دم أخيه الإنسان الطاهر. وهي خصومة قابيل وهابيل التي انتهت بمقتل هابيل. وبعد ذلك انفتح باب الفتنة على مصراعيه. فكان نزاع. وكانت ثورات. وكانت حروب. لا يعلم إلا الله وحده كم التهمت من نفوس. وقوضت من عمران! واجتاحت من حضارات وجرفت من عقائد ومبادئ. وأذلت من أمم. وأدالت شعوباً من شعوب.

أما وأن الحرب ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية للبشرية. فما هي أثرها ووظيفتها في هذه الحياة؟ لا نكران في أن من استقرأ التاريخ يجد أن الحرب كما أنها هدمت ودمرت. كذلك أقامت على أنقاض ما هدمته ودمرته معالم أخرى من نتاج العقل والعمل الإنساني. وجددت صوراً وألواناً من مباهج الحياة الإنسانية ومآسيه. والحرب في نتائجها الإيجابية من أقوى المؤثرات وأسرعها في تطور مرافق حياة الفرد والجماعات والأمم. وانتقالها إلى مختلف الأشكال والأوضاع التي يفرضها سلطان الغالب على المغلوب. وبعبارة أدق سلطان القوي على الضعيف.

وإذا كان لحياة الفرد النفسية والخلقية والفكرية انحلال لا يعيد جماع قوته ولا يوثق عروتها معه إلا الأيقاظ والتنبيه الشديد إلى درجة الزجر والتعنيف والصفح. فإن للجماعات والأمم والشعوب انحلالاً في حياتها الاجتماعية لا يعالجه إلا الصراع والكفاح. واسترخاء وجموداً لا يزيلهما إلا الحرب تصهر النفوس فتنهضها. وتعصف بالعقول فتنفلت من عقالها. وترج البلاد فتغلي غليان المرجل لتصمد للكارثة إذا أنست في حماتها القوة والاستبسال. أو ترجو الخلاص والانتقال إذا سئمت حياتها الأولى لتستقبل حياة أخرى.

وكم كانت الحروب سبباً في اتساع الحضارات وإطراد نموها وتقدمها. بما تدفع الإنسان إلى ابتكار مختلف الصناعات والمخترعات التي تسهل له سحق أخيه الإنسان عند مهاجمته. أو تقيه عاديته عند الدفاع عن نفسه. ويصبح كثير منها في أوان السلم والاستقرار أداة رفاه له ولبني جنسه.

ويقول الدكتور غوستاف لوبون في كتابه سر تطور الأمم الذي نقله إلى العربية المرحوم فتحي باشا زغلول: إن أحد الساسة الإنكليز زار المدارس الإنكليزية. فقال له أحد كبار المعلمين (إني أحاول أن أصب شيئاً من الحديد في روح التلاميذ). ويرمي بذلك إلى وجوب أن يربي الأبناء الإنكليز في مدارسهم تربية عسكرية جبارة. فإن استعدادهم للحرب يكون أدرأ إلى عدم الخوف من الحرب. وإن بث الروح الحربية في نفوسهم يكون منهم رجالاً أقوياء أولي بأس شديد.

والآن نستطيع أن نحكم حكماً قد يكون صارماً وقد يكون جائراً. إلا أنه حكم يؤيده التاريخ في ماضيه وحاضره. ولا يعدو عنه منطق الحياة والواقع. ألا وهو أن الحرب لا تطوي حضارة إلا لتنشر أخرى. ولا تبيد أمة إلا لتبعث أخرى. ولا تأتي على بلاد أو مدن لتنشئ مكانها أو بدلها بلاداً أو مدناً أخرى فتلك حروب الإسكندر في قديم الزمان. وهاتيك الفتوح الإسلامية في عصورها الذهبية. وهذه الحرب العامة المنصرمة. كانت نتائجها تدميراً واجتياحاً لنواحي الضعف والانحلال في الحياة البشرية إذ ذاك. وبناء وتجديداً في الأخلاق والأفكار والمبادئ والسياسة والاجتماع والحضارة والعمران. وما لنا نذهب بعيداً. وهذه الحرب السعودية التي انتهت باستيلاء عاهل العرب جلالة الملك عبد العزيز آل السعود على الحجاز وعسير ومعظم مقاطعات شبه الجزيرة العربية الشمالية والجنوبية.

فإنها كما قضت على جملة حكومات وولايات كانت كالأعضاء الشل في جسم الجزيرة. وكما اجتثت أوضاعاً سياسية بالية. وبدعاً في الدين ابتدعتها التقاليد الواهية: فقد أقامت حكومة متماسكة الأطراف. وكوّنت من مجموعها أمة واحدة تخضع لملك واحد. وتظللها راية واحدة. وبعثت في النفوس مشاعر وأحاسيس كانت مطوية في خفاياها. ووجهت العقول والأفكار والمبادئ والعقائد إلى وجهات عملية حيوية صحيحة. لم يكن الناس في هذا البلد يألفونها ويسيرون في حياتهم نحوها. واقتبست البلاد من مظاهر الحضارة والمدنية الحديثة في أمد قصير ما لم تره طوال السنين والعصور الخالية. وما كانت تحاربه الحكومات السابقة ويمانعه أعوان الجمود والرجعية. ثم من ذا الذي ينكر أن العالم الآن في فوضى اجتماعية وأخلاقية واقتصادية وسياسية. تحتاج إلى هدم وتقويض. لتبدل إذا شاء الله باستقرار وارتكاز. ومن ذا الذي يدري لعلّ هذه الحرب الراهنة هي أداة التطهير والتصفية والغربلة! وأحر رجائنا من الله هو أن يقصر من أمدها. ويزيح عن صدر العالم كابوسها. فإنها حرب إن عمت ـ لا سمح الله ولا قدر ـ ستكون مشهداً من مشاهد القيامة إن لم تكن القيامة وقى الله العرب والمسلمين شرها. وأبعد عنهم لظى أوارها.

على ملعب الحوادث(*)

ـ ١ ـ

على شفير ذلك المزدان بصفحات الرمال، ونواتئ التلال، وقفت وفي يدي «عصا وسبحة»، وعلى رأسي «عمامة وجبة».

هي كل ما اخترته من ميراث أبي وأمي. وخالي وعمي.

تلفت يمنة ويسرة، فلم أر إلا ظلال أرواح مختلفة وآثار أقدام حيوانات شتى.

والجدول ينساب بمائه الرقراق يشير إلى جلال السعي والأعمال وعظمة شأن التسيار لنوال المرام! والنسيم يتلاعب بمختلف الأغصان يرمز إلى تقلب الأيام ورواغ الأزمان!

على مد البصر وعند خط الأفق المستدير. بين زرقة السماء واكفهرار وجه الغبراء. رأيت شبحاً لم أتبينه، وأسودة يخفيها السراب ويبديها.

فحدثتني النفس باكتشاف ما لمحه البصر. هي ساعة التردد بين الإقدام والإحجام. ما لبثت أن زالت وإن هو إلا قلبي الجسور المقحام يدفعني إلى الأمام.

(*) أدب الحجاز ـ محمد سرور الصبان ـ الطبعة الثالثة ١٣٨١هـ.

وصلت المنتهى فرأيت شيخاً عربياً كهلاً وضيء المحيا مهيب الطلعة وقبالته فتاة كطلعة الشمس نوراً وبهاء وخمائل الربيع نضرة وجمالاً. تنظر إلى ذلك الشيخ باكية مرتاعة ناحبة ملتاعة. وفي يدها «مصباح الهدى» وعلى رأسها «الكتاب المشرف».

وهو محملق بعينيه فيها. لا يشك رائيه في أن نظرته نظرة غضب مشوبة بأسف يخامره أمل عتيد.

بين بكاء الفتاة ونحيبها، سمعت كلمات متهدجة تخاطب بها شيخها الوقور، مؤداها:

يا أبتاه هرمت فهرمت جيوش نصرتي، ووهت قوى أبطالي ورجالي. تهدم عزمك فتهدمت هياكل تقديسي، وانقضت معابد آثاري وانهارت مساجد تتلى فيها أبلغ الآيات.

يا أبتاه! تقضي عهد حياتك فانقضى به ربيع حياتي، ودفنت أثره حسناتي، وغمط فضلي، وضاع أملي. وعدت كاليتيم في مأدبة لئيم.

يا أبتاه! كنت في كفالتك ناعمة البال، رخية العيش، هنيئة قريرة. تقسو عليّ لأزدجر، وتنهرني لأنتهر، وتبسم لي عند الرضا. فتملأ جوانحي سروراً، وتفعم قلبي أملاً نضيراً.

يا أبتاه! كنتُ ـ حينما تندفع بجسدي قوى العضلات، وتجري بسوق كأنها قطع الفولاذ. نحو العمل المبرور، والسعي المشكور. نحو رضى الرب، وإشادة صروح الديانة الحنيفية، ومعاهد المدنية الحقيقية ـ أطير جذلاً، ويتهلل وجهي بشراً، وأعلم أن الإله سوف يجزيك خيراً.

يا أبتاه! رددت عني في غضارة حياتك، وعنفوان شبابك كيد الخائنين، وقمعت أيدي العابثين ونابذت خصومي، وقهرت أعدائي. وما هي إلا

جولة جللت ناصيتك بخيوط الكفن، ورمت عزمك بالوهن وأصبحت والدهر على طرفي نقيض، وشاءت الأقدار بأن تغيب عني، وتنسل مني، وتلحد في جوفي، فما فتحت عيني في صباحي إلا تبدلت الوجوه علي، وعدت وليس لي من حقي شيء.

يا أبتاه! انعزلت في هذه الناحية النائية، وقبعت في كسر دارك الأخيرة المنزوية، وبقيت وحيداً بين من تركتني بينهم، فازورّ جانبهم عني رويداً رويداً، وعدل الكلل عن سبيل إصلاحي، وتنكبوا جادة شرائعي وحصبوني وشتموني، وألحقوا بذاتي كل نقص وشين. وأنا أنا مقر «مصباح الهدى» وقلبي مثوى «الكتاب المشرف»! أنا «الحجاز»!

وهنا حدقت الفتاة ببصرها إلى الأفق حيث الشمس منحدرة إلى «الغرب» تريد توديعها، وقد رسمت على قمم الجبال طرائق ذهبية، ومدت على الأرض أسلاكاً فضية، وصاحت بصوت أجش جهوري:

«أين رجالي.. وأين أبطالي»؟!

فنهض الشيخ بعزم الشاب الملبي. وما عزم ذلك الشيخ إلا مآثره ومفاخره التي لا تزال على رغم الحدثان. دائمة الريعان.

فأطرقت إطراق التقدير والتبجيل ونادت بصوت يمازجه الحنان: «سلام عليكم أيها الشهداء الأبرار، سلام على عهدكم الزاهر عهد المجد والملك الغابر».

ثم وجمت برهة، وألوت بوجهها نحو الوادي الفسيح، وكأني أراه امتلأ أشباحاً وأشخاصاً بعد أن كان خاوياً لا جن ولا إنس. وصرخت قائلة وملؤها الغيظ والحماسة: وعليكم الخزي والعار أيها الأخلاف الأشرار!

ـ ٢ ـ

كلمة في اللغة العربية

اللغة العربية هي إحدى اللغات الساميّة السامية الفسيحة المجال التي لا تضيق على الكاتب أو الشاعر في أداء مكنونات ضميره، ولا تتعصى في وصف كل ما يراه وما يحسه من مشاهدة الحياة.

اللغة العربية هي لغة قوم نشأوا على الحرية، وطبعوا على الشهامة وجبلوا على مناغاة الطبيعة في كل أدوارها.

إذ إنهم تربوا في سهولهم الواسعة، وصحاريهم الشاسعة، ووديانهم المخصبة الحصينة، وجبالهم المجدبة المنيعة، وما أقلته تلك البقع من المناظر الحسنة والمشاهد الرائعة. زروع وأثمار، وطيور وأشجار، ونجوم وأقمار، وعيون وأنهار، وسواق وآبار، ووحوش وآرام، ووهاد وآكام. وغيرها من الصور التي تغرس في نفس المرء حب الجمال، وتنشئه على عدم الخنوع للقيود والغلال. ترتادها نفوسهم وتتلهى بها أبصارهم، وتشخصها أفكارهم. مغتبطين بعيشتهم الهادئة، وحريتهم الغالية. ينافسون من جاورهم ويفاخرون من حواليهم من الأمم الحية ذوات الصروح والقصور، وهم في ثنايا الأكواخ والخدور.

كذلك كان العرب وعلى صفاتهم وضعت لغاتهم فهي تأبى الانحطاط وتناوئ الأوغاد، ولا تنقاد لمن يريد بها الفساد، وتنادي رجالها إلى شد أزرها، والأخذ بيدها إلى مستوى العُلا والسؤدد.

نشأ العرب أحراراً في جزيرتهم يأبون الانقياد لمن يريد استعبادهم فتراهم يحمون حماهم، ويصدون العادي عليهم بما استطاعوا من جهد

وما أوتوا من قوة ومن ذلك نشأت الحماسة وغرست في قلوبهم الشهامة. فتغنوا بالشعر الحماسي يتأجج ناراً، ويستعر استعاراً.

وإذا خلوا من الغزوات، واستراحوا من درء الغارات، رجعوا إلى نفوسهم وهواها، واستعادوا ما طبع فيها من الحب الطاهر والعشق الصادق. فاستنزلوا وحي إلهامهم، وأفكارهم، وجرى لسانهم بالشعر الغرامي يقطر عذوبة ورقة. وتسيل جمله انسجاماً وظرفاً.

وإذا ما اجتمع الحبيبان أظهر كل شجوه. وأبدى التيه. وجعلا يساجلان الطبيعة. ويناجيان الكون المعمور. فينطقون بالشعر الوصفي والقصصي الغرامي تنطق كلماته بما يوقظ المشاعر ويهز القلب. وتعرب آياته عن إجادة في الفن وبراعة هي جبلة وغريزة لا تكلف فيها ولا إعنات.

وإن ما شادوه من الملك وأقاموه من المدنية الفطرية، وما تحلت به سجاياهم وأنفسهم من الشرف والمحامد والمكارم أقوى داعٍ إلى قولهم الشعر الفخري والتاريخي سائغاً بديعاً يحمل السامع على الإقرار بالفضل لهم ولا يسعه إلا الإعجاب بمقدرتهم والاندهاش أمام عظمتهم وتفوقهم وهم سكان أرض موصوفة بالجدب والقحول.

فالعرب أمة متمرنة على الحياة بشقيها حلوها ومرها. وكذلك كانت لغتهم. فهي تتمشى مع الحياة ولن تتأخر إلا إذا تقاعس رحالها، وتلكأ أدباؤها وأبناؤها. وقد تخرص من قال إنها لغة أمة سلفت بمدنيتها وحضارتها. فلا تصلح لعصر عمه النور، وتقدم فيه العقل، وارتقى فيه البشر.

اللغة العربية لغة تسير مع المتقدمين وتكره المتباطئين اللغة العربية لغة تريد رجالاً قادرين مبتدعين، وتبغض المقلدين الجامدين. اللغة العربية لغة تود النور وتتجافى عن الظلمة. فمن هضمها وظلمها حقها، فهو جاهل

بها. ولم يدرك سرها وحقيقة أمرها.

في عهد امرئ القيس وأضرابه كانت المشار إليها بالبنان، وفي عصر حسان ولبيد والفرزدق وأندادهم كانت مضرب الأمثال، وفي زمن بشار وأبي نواس وأشباههما كانت المرموقة بالأعيان. وفي أيام المتنبي وأبي العلاء وابن هانئ وابن حمديس ومن على شاكلتهم كانت الفذة التي تشد لها الرحال. وتقصد من أقاصي البلدان.

عشرة قرون متواليات هي الشمس نوراً، والبرق مسيراً، شامخة ثابتة بقوة حامليها وإباء أهاليها. تزدري ما يعاصرها من لغة مختلفة، وألسنة متفرقة. لم تقف في وجه تمدن، ولم تعارض حضارة. ثم في هذه القرون الأخيرة نسمها بالجمود والافتقار؟! وتتذمر من قيودها التي لم يغال فيها إلا نحن ألاف التقليد وتبَّاع من سلف.

أفكانت اللغة العربية فيما مضى غيرها الآن؟! أم كنا أقل اقتدار من أولئك الأبطال الذين طوروها وأداروها مع الزمان؟

تالله ما تذمرنا ذلك إلا علينا لا عليها؟! وما وسمنا لها بما وسمناها به لا دليل عجزنا وبلادتنا وضعف إرادتنا. فأحر بنا أن نعدل أنفسنا، ونلوم أدباءنا. فما ارتقاؤها وتأخرها إلا صفة رجالها والقائمين بأمرها، وهل اللغة إلا بأبنائها؟!

١ ـ في الهجرة والتهجير أيضاً
٢ ـ حياتي في عالم الوظائف

حضرة الأخ الكريم الأستاذ عبد القدوس الأنصاري المحترم:

تحية تكريم وتقدير

وإني لفي خجل بالغ أمامكم تلقاء تأخري عن إجابة طلبيكم الموجهين في خطابيكم إلي في تاريخين متباعدين. وما كان ذلك يعلم الله عن إهمال أو عدم عناية، ولكني منذ مدة طويلة شاءت المقادير أن أبتعد عن أضواء المحيط الأدبي والصحفي. ولا أعلم عن سبب ذلك إلا ما أحسه من ارتباك في صحتي، واهتزاز في أعصابي، نتيجة لمرض السكر الذي أتى على كياني منذ أربع سنوات، وهو مرض قاسٍ مقلق عندما يباغت صاحبه فترتفع نسبته، وتزداد مضاعفاته، ومتعب في معالجته، ومرهق في حميته، ومضنٍ في مداراته ومراقبته، ومنهك للجسم والأعصاب والفكر في كل أطواره، ولم يهتد الطب حتى الآن إلى علاج حاسم له. وإنه الغريم الثقيل الذي لا ينفك يلازم غريمه من يوم حلوله بساحته إلى نفاد أجله. وقى الله كل سليم منه، وعجل باكتشاف ما يقطع دابره عن كل مريض به.

أضف إلى ذلك تقدم السن الذي يشيع الوهن في قوى الإنسان الجسمية

والعقلية، ويجعله يميل إلى الراحة والكسل في كثير من الأحيان. وإني وقد أشرفت على الستين من سني حياتي، وهي نهاية مراحل العمر على الأغلب في المواطن الحارة. فماذا يبتغي الأدباء والكتّاب مني؟! وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم تنزيله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ (الروم: ٥٤) والضعف أو الشيبة متلازمان يقف الإنسان عند بلوغهما تجاه آماله ومراميه موقف العجز والاستسلام، والرضا بالواقع، ومهما عالج وجاهد وكابر فلن يصل جهده وعناده إلا إلى ما وصل إليه الشاعر العربي في أمنيته الحسيرة حيث يقول:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

والآن بعد هذه المقدمة الاعتذارية الذاتية الخاصة، أريد أن أجيبك أيها الأخ الأديب الكريم على أحد موضوعيك وهو: «ذكرياتي وتجاربي في مجالات الوظائف الحكومية والأعمال الحرة». وأما الموضوع الآخر وهو موضوع «الهجرة والتهجير إلى هذه البلاد». فقد كتب فيه كتّاب مواطنون قديرون. أدلوا بآراء حرة في بيان ناصع ووجهات نظر مختلفة، لا أراني أستطيع أن أزيد على ما جاء فيها من عرض وإفاضة وإيضاح وبرهان. كلها تهدف إلى رعاية الصالح العام للوطن والأمة والدولة. على أني أميل إلى الأخذ قبل كل شيء بتوجيه الأيدي العاطلة القادرة على العمل ذكراناً وإناثاً إلى الحقول المعطلة في مرافق البلاد الحيوية ـ زراعياً وصناعياً ـ توجيهاً قسرياً جاداً، حتى إذا ما عملت تلك الأيدي كلها تحت إرشاد وإشراف خبراء أكفياء مخلصين ـ وطنيين وأجانب. وفاضت بعد ذلك منابع أخرى ثرة في البلاد في أي حقل من حقولها الاقتصادية. حينئذ

يدرس موضوع الهجرة وبالأصح طلب هجرة فريق من الأيدي العربية أو المسلمة ذات الكفاءة المختصة والخلق القويم، للعمل في الحقل الذي يراد استثماره وإنماؤه من ينابيع الثروة والغنى في البلاد. ويسن لذلك في حينه على ضوء الواقع الماثل نظام يحفظ للمواطنين حقوقهم تجاه المزاحمة غير المشروعة في مختلف المصالح الاقتصادية، وللمهاجرين حقوقهم في الاستقرار وضمان ما يصبون إليه من كسب مشروع وسعادة واطمئنان في مواطنهم الجديدة تلقاء المشاركة بالمال أو الرأي أو الخبرة أو الجهد في تحقيق ما أتوا له من أعمال ومشروعات تنهض بشتى مرافق البلاد الحيوية وتشيع الرخاء والرفاه بين سكانها. فإني ما زلت أوقن أن في أرجاء وطننا الشاسعة أيدي عاطلة جمة. ومجالات العمل لها لا تزال ضيقة محدودة، وتوجيهها إلى العمل توجيه اختياري متراخٍ لا يشعر معه العامل المتعطل المتسكع بالمسؤولية الوطنية الكبرى القاسية الملقاة على عاتقه والتي تجبره على العمل والمصابرة في غير دلال أو أنفة أو استهتار أو عدم اهتمام ولا مبالاة. كما أن في التسرع في فتح باب قبول الهجرة إلى البلاد قبل التثبت من ضمان الكفاية للمواطنين في جميع أنحاء الوطن في ميادين الأعمال المختلفة، وفي إباحة استيطان الأجانب التي قد تفرضها الحاجة الماسة دون قيود وحيطة.. إن في ذلك كله من المحاذير الاجتماعية والاقتصادية والخلقية والصحية، ما يهون معه كل منفعة ومصلحة مادية تعود على البلاد.

لهذا أرى أن موضوع البحث في طلب هجرة الأيدي العاملة الأجنبية إلى بلادنا سابق لأوانه. وإنما نحن الآن جد محتاجين إلى خبراء فنيين مخلصين يدرسون ويرشدون ويوجهون ويأخذون بناصر أبناء هذه البلاد

والأيدي الوطنية العاطلة فيها لرفعها إلى مستوى أسمى وأفضل، وعمل أرقى وأنفع، وحياة أحب وأسعد.

ولأعد إلى موضوع: «ذكرياتي وتجاربي في حياة الوظيفة الحكومية والأهلية» وأحب أن أورد للقارئ الكريم، إذا كان يهمه أن يعلم ذلك، إني قضيت حياتي في الوظيفة في ثلاثة حقول:

١ ـ حقل التدريس..

٢ ـ حقل الوظائف الحكومية..

٣ ـ حقل الوظائف الأهلية..

أما حياتي في حقل التدريس فكانت حياة مليئة بالنشاط وحب البحث والانسجام في الدرس مع الطلبة. وكانت لذتي في هذه الفترة واستمتاعي بالحياة المدرسية العملية مع مشرق كل يوم، رغم ما قد ألاقيه في بعض الأحايين من متاعب الطلبة وشقاوتهم، والطالب خصوصاً في سن المراهقة ـ وهو غالباً يكون في مرحلة الدراسة الثانوية ـ صعب المراس، معتد لنفسه، حيث يشعر بتطور حياته ورجولته، يلتمس ثغرات الضعف في أستاذه، ليستخف ـ إذا استطاع ـ ويتمرد عليه إذا أمكنه، ولهذا، إذا كان الأستاذ ضعيف الشخصية، مهزوز الأعصاب، قليل الحيلة والحزم في قيادة الفصل الذي يدرس فيه.. يلاقي الأمرين من هذا الضعف من الطلبة الأشقياء والأذكياء، وكثيراً ما تلازم الشقاوة والعفرتة الذكاء والنجابة، وهذا الصنف من الطلبة لا ينفع معه العنف الشديد ولا الميوعة المهلهلة، وإنما تنفع معه قوة الشخصية التي تفرض عليه احترامها وحبها وهيبتها. فيعامله الأستاذ النابه بحزم مشوب بعطف وحسن تقدير وتشجيع ما يأتيه من فضائل ومحامد، ومؤاخذة حكيمة ونقد بارع مؤثر لما يبدر منه من شذوذ

ومساوئ وأخطاء. وكثيراً ما رأيت أساليب القسوة والعنف في التربية المدرسية والبيتية.. أدت إلى عكس النتائج المتوخاة منها، وكانت وبالاً وخساراً على الطرفين المربي والناشئ. وخير للمربي والمدرس أن ينمي العلاقة الطيبة بينه وبين من يتولى تربيتهم وتدريسهم، وأن يجعل حسن توجيهه وإرشاده لهم، وبره ورفقه بهم، أساس حبهم واحترامهم له، حتى يكون تعلقهم به أشد وأقوى، وإقبالهم على دروسه أشوق وأتم، وانتفاعهم بها أسرع وأمكن. وحتى يذكروه مدى حياتهم بأطيب الذكر وأحسنه، ويتحلوا بصفاته وأخلاقه، ويتأثروا بأفعاله وسلوكه. وكثيراً ما يكون التلميذ مرآة شمائل مربيه، وجماع شيم أستاذه.

وأنا ما زلت وما أزال أحن وأشتاق إلى عهد التدريس، وأتمنى ـ لو أن لي من الأمر الآن شيئاً ـ أن أرجع إلى ذلك العهد. فإني مؤمن أشد الإيمان أن عهد التدريس في حياة أي إنسان عهد رضى يغذي عقله وروحه بغذاء المعرفة الدسمة، ويسير بفكره في آفاق الثقافة الواسعة الخلاقة التي تنير سبل حياته وتحيطه بهالة من العزة والفخار. وبودي لو أستطيع أن أعود أستاذاً أستفيد وأفيد، وأتعلم وأعلم، وأدرس وأدرس، وأزهو بأفواج حملة مشاعل العلم الذين يتخرجون من المدارس التي أدرس فيها ينشرون أضواء الثقافة والمعرفة بين ربوع وطننا العزيز.

رَأي

حضرة الأديب الفاضل الأستاذ الكبير عبد القدوس الأنصاري المحترم:

رئيس تحرير مجلة المنهل الغراء..

تحية كريمة،

تطلب مني أن أدلي بما أنتظره للعالم الإسلامي والعربي في عام ١٣٨٨هـ. ولقد وددت أن أعتذر عن أن أسهم في خوض وتكهنات لا أميل إليها بطبيعتي. وقد ينبو عنها الواقع، وتدحضها الحوادث المفاجئة وما أكثرها وأقساها في هذا العصر الذي تعقدت مشكلاته، وتلوّنت اتجاهات قادته وأساطينه بشتى الفكر والنظريات والمذاهب الصحيحة السليمة، والمنحرفة الشاذة. حتى تركت الإنسان في حيرة من أمره في دنياه وحياته. إلا من عصم الله بنوازع من إيمانه وعقيدته.

ومن يرى حالة المسلمين والعرب في مختلف أقطارهم الآن يجد فريقاً غير يسير منهم قد غمرته موجة من البلبلة. وانجرف مع تيارات الآراء والفلسفة العقدية المادية، مما جعل مجال النظر والاستكناه في مستقبل الشعوب الإسلامية والعربية محاطاً بكثير من عدم الاستقرار وعدم الاطمئنان. وبسياج كثيف من الشكوك والريبة في تحقيق الأمل المشرق البسام، وإقامة حصون الوحدة والقوة والمنعة أمام الأطماع والأحقاد التي

تغلي في صدور أعدائهم الذين لا يألون جهداً في تحطيم كل مقدراتهم الدينية والاجتماعية والسياسية ما حانت لهم فرصة ووجدوا إلى ذلك سبيلاً.

وهذه نظرة لا شك قاتمة سوداء، أقرب إلى التشاؤم منها إلى التفاؤل. لا يزيل غشاوتها، ويجلو مرائيها إلا ما تطويه نفوسنا من عقيدة راسخة وإيمان جازم في أن الله لا بد أن يعز دينه وينصر من ينصره.

وإلا ما نأمله ونرجوه في رجال العرب والمسلمين وولاة أمورهم المخلصين، أن ينيبوا إلى الله في جميع أمورهم. وأن يهتدوا بهدي كتابه وسنة نبيه في كل ما يمارسونه من أمور دنياهم لصلاح بلادهم وشعوبهم، وأن لا يركنوا إلى أعداء الله ـ أياً كانوا في شرق أو غرب ـ في ضمان حقوقهم، واسترجاع ما سلب من ديارهم وتراثهم ومقدساتهم، وأن يعتمدوا بعد الله على أنفسهم ووحدتهم وتكتلاتهم واعتصامهم بحبل الله. وأن يغسلوا ما ران على قلوبهم وعقولهم من نظريات ظهر زيفها. وآراء ومذاهب كانت مصدر الويل والثبور على عديد من بلاد العرب والمسلمين.

وإن ما نراه من دعوات علت وانتشرت في الآفاق الإسلامية والعربية، تنادي مخلصة إلى وحدة الصف والهدف بين العرب والمسلمين. وإلى اتحاد الكلمة والاستمساك بعروة الله الوثقى التي لا انفصام لها، وإلى مجابهة المشاكل والكوارث والصمود أمام البغي والطغيان في ميادين المكافحة والنضال، مجابهة إيجابية فعّالة، تهون فيها النفوس والأموال، وتظهر فيها شجاعة وفدائية الأبطال. فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة. وإن الله ناصر من نصره. والله عزيز ذو انتقام.

إن ما نراه من هذه الدعوات تبشرنا ببشائر النصر والتأييد من الله وحينئذ يفرح العرب والمسلمون بالمجد المؤثل والسؤدد المؤزر، والتقدم والنجاح في كل مجالات الحياة. ومن الله نستمد العون في كل أحوالنا. وعليه وحده الاتكال في جميع شؤوننا.

نظرة في الجمال الإنساني

هذه هي النظرة الثالثة تتمة النظرتين اللتين نشرتا في صحيفة صوت الحجاز بالعدد ٢٨ و ٢٩ من السنة الأولى. أولاهما في الحياة. وثانيهما في الحرية.

الجمال يتمثل في كل ما يقع تحت النظر من صور الكائنات. فللسماء جمالها. وللجبال جمالها. وللغابات والمروج جمالها. وللصحارى والواحات جمالها. وللتماثيل والصور الفنية جمالها. وللحيوانات جمالها. وللأناس جمالهم. وهو في كل منها صورة سامية لذلك الشيء جمعت لمزايا الحسن الذي ينبهر منه العقل، ويجله الفكر، وينقاد له الشعور، ويرمز إلى مثل أعلى من مثل الكمال في الحياة. ونريد أن نتكلم على بعض نواحيه في الجمال الإنساني.

الجمال الإنساني، مظهر من مظاهر الطبيعة الخرساء. الذي لا ينطق إلا بجلاله وهيبته. ولا يفصح إلا بسموه وروعته. تفيض جوانبه بالنور. ويشع هيكله من خمائل السحر، وبوارق الفتنة. يقف المرء بلبه وقلبه تجاهه خاشعاً مستسلماً لإرادته القاهرة وأحكامه القاسية. ولطالما أراد بعض جبابرة الإنسان أن يهزأ به ويشاكسه، فإذا هو كناطح الصخر، تنفد قواه، ويخور عزمه، ويختبل عقله تلقاء نظرة شزراء من عين حوراء، أو ابتسامة

غراء من شفة لمياء، أو كلمة عطف ورضاء، من ظبية هيفاء، ولا نبالغ تصويراً أو ننطق هذراً إن قلنا إنه صورة ماثلة من صور القضاء والقدر تزج بنفس الناظر إليها في دائرة قد ترى فيها ما تتطلبه من سعادة وهناءة. وقد لا تجد فيها إلا ما ينفر عنه من بلاء وشقاء. ومثال قائم من مثل القدرة الإلهية تتجلى في الذات البشرية، تبرهن للجاحدين عن قوتها، وترغم النفس العصية على التطامن لها والإذعان لأحكامها، والإقرار بالعجز التام حيالها، وأنه لأظهر آيات الله الكبرى دلالة على إتقان صنعه، وأحكام وضعه، وأجل منحة وهبت منه للخلق تزيل عن نفوس بني آدم صفائح القسوة، وتحطم عنها أسوار الخشونة، وتسبل عليها رداء من الرقة شفافاً وتكسوها بردة من اللطف قشيبة، وتلبسها حلة من الشفقة والحنان ذهبية الطراز، سداها الحب، ولحمتها العاطفة الشريفة!

والجمال الإنساني الكامل، هو الذي إذا وقع عليه النظر لا تمل العين الحكيمة دوام مشاهدتها له، ولا تسأم النفس الشريفة من القيود التي تقيدها به تلك الأشعة المنبعثة من هاتيك العين الدعجاء أو المقلة النجلاء ـ كما يعبر الشعراء ـ والأنوار المنبعثة من ذلك المحيا الوضاح، أو الطلعة المتناسقة الوضع، الكاملة الصنع البهية المنظر. الجذابة الشكل.

ولن يتسلط الجمال على النفوس تسلط القهر الأبدي، ويرهقها بمفتول صولته السرمدية، ما لم تجمع ذات صاحبه إلى محاسنها الظاهرية ـ محاسن خلقها الغريزية، وكرائم خصالها الطبيعية، ولئن يكن من الأناسي ملائكة، فأولئك هم الملاح الأوصاف والصفات، ولئن يكن الجمال جناية على صاحبه، فذلك حيث تخبث سجيته ويحمأ ماء جبلته.

كفاح مرير طويل

ما زال الاستعمار يضرب الأمثال للناس على تآلب شيعه وأحزابه، وتكتل دوله وحكوماته، على رعاية مصالحهم بشتى أساليب القوة والمكر والاستهتار وليس أدل على ذلك كله أكثر وأقوى من النتائج التي وصلت إليها قضايا الجزائر وفلسطين في هيئة الأمم المتحدة.

فهذه الجزائر التي ما زال أبطالها يكافحون مكافحة عنيدة مريرة في سبيل الحرية والاستقلال، وقد سلخوا خمسة أعوام وهم شاكو السلاح، يخوضون غمار حرب موت أو حياة، تجاه عدوهم الذي أبى بطغيانه أن يرد إليهم حقهم الذي اغتصبه ويعطيهم استقلالهم الذي سلبه حججاً بأوهى الحجج وأغربها واقعاً ومنطقاً مستعملاً بقية ما يملك من جنود وسلاح وعتاد ويؤازره في غيه من ضلع في ركبه من دول الاستعمار وحكوماته، ولا منطق فيما جنحوا إليه غير المصلحة المشتركة في استغلال البلاد التي ما زالت تحت الاستعمار.

وهذه فلسطين التي سطا عليها فريق من تلك الآفاق. شردوا أهلها، وانتهكوا حرمتها واستهتروا وما زالوا يستهترون بالذي تقرره هيئة الأمم المتحدة في حقها.

فماذا فعلت هذه الهيئة التي لم تتكوّن إلا لتثبت أركان العدالة في

الأرض.. وتنهض بالأمم والشعوب المتأخرة لتصل بها إلى مستوى سواها من الأمم المتقدمة في مختلف مرافق المدنية والحضارة. وتفك أسارها من مستعمريها ومستغليها؟

ماذا فعلت هذه الهيئة أمام هاتين القضيتين التي طال الأمد في بحثهما، وتكرر عرض مشاكلهما على منصات لجانها وأعضائها؟ وما زال الملايين من أبناء فلسطين لا موطن لهم يركنونَ إليه. ولا مورد يقيم أود حياتهم غير ما تجود به أمم ظهر أخيراً أنها استثقلت هذا العبء على كاهلها، وأرادت أن تتخلص منها، دون أن تتضافر في حزم وإصرار على إعادة هؤلاء المشردين إلى ديارهم وبلادهم بحكم الحق والعدل. ليعيشوا عيش العزة والكرامة الإنسانية! وما زالت ساحات الجزائر مشتعلة بحرب الإبادة التي تشنها فرنسا على أناس يطلبون بحقهم الإنساني في حريتهم واستقلال أوطانهم!

ماذا فعلت هذه الهيئة إزاء هذا كله في كل دورة من دوراتها التي مضت؟!

نعم فعلت ما أثبت أن الحق إذا لم تسانده القوة فإنه حق ضائع منكور! نعم فعلت ما أثبت أن مساهمة الأمم المستضعفة في الحياة الحرة المستقلة أمر لا يستسيغه أعضاؤها الأقوياء ما لم تنتفض تلك الأمم وتثر في وجوههم.. وتخاطبهم بلغتهم التي لا يفهمون سواها: لغة القوة والكفاح والنضال.. وإنه لكفاح مرير ونضال عنيف قاست أهوالها، وبذلت ما بذلته من الضحايا ـ جميع الأمم التي استرجعت حريتها ونالت استقلالها..

ذلك ما رأيناه وما زلنا نراه ولا نؤمل أن نرى سواه من تآلب وتكتل

الغرب المستعمر ووقوفه صفاً واحداً في هيئة الأمم المتحدة تجاه تحرر ما بقي من الشعوب والبلاد المستعمرة.

ولا نستغرب ذلك منه وكلنا يعلم أنه إذا أفلتت من يده هذه البقية الباقية انهار بناء مطامعه، وأضاع الثروة التي يمتلكها من المنافع والمصالح، وانكمش سلطانه العاتي وسيطرته الباغية على البشرية.. ولكنا نعجب ونأسى لأبناء عمومتنا الأدنين الذين رضوا بأن تكون بلادهم لا تزال مسرحاً لألاعيب الاستعمار وتحقيق رغباته، ولإخواننا في الشرقية والإسلامية الذين أعلنوا في صراحة مزرية تنكرهم للحق الذي يطالب به وإخوانهم، وانحيازهم إلى تأييد العدو المشترك، وهذه لا شك عبرة من عبر الحياة التي تملي علينا مواعظها القاسية وتحتم علينا نحن العرب، بل والمسلمين، بل والشرقيين ـ أن نغير أسلوبنا في الحياة السياسية العامة ـ أسلوب المهادنة والرجاء والاستعطاف إلى أسلوب التكتيك الواقعي الحازم، فهذه فرنسا قد لجأت إلى ما لجأت إليه من وسائل إحباط المساعي العربية والشرقية الجاهدة، وأتخذت شتى أساليب المهارة والضغط الشديد، والوعد والوعيد مع حلفائها وسواهم من الدول والأمم. حتى لقد أعلنت أن تقاطع كل من لا يساندها في باطلها وطغيانها. فكان ما كان من نتيجة غير مشرفة لأكبر هيئة عالمية تتجه إليها الأنظار، ويرقب قرارها أحكامها العالم أجمع، وكان أن استعلى الباطل لديها واستشرى، وتطامن الحق واستخذى، وأستغفر الله فإن الحق وإن تطامن برهة من الزمن فلن يستخذي ويستسلم، وسوف يعلو وينتصر، لكن هو كما قيل: «الحق يؤخذ ولا يعطى وللباطل جولة ثم يضمحل» ولا يؤخذ الحق إلا بقوة صاحبه وجلده، ولا يتقهقر الباطل إلا بعد قمعه وجلده.

وبعد.. أفلا يدعونا الحق الذي نطلبه وهو جلي صراح، إلى أن نتدرع

بالقوة.. وهل تظهر القوة بمظهرها الرائع إلا بالعمل الإيجابي، وإنا لسنا ولله الحمد قلة في العدد ولا في إمكان العمل الإيجابي. فلا أقل من أن نعمد إلى ما كانت ستعمد إليه فرنسا من مقاطعة من لا يناصرها في باطلها ولا نعتقد أن هذا ـ وهو في نظرنا أضعف العمل الإيجابي ـ ليس في إمكان العرب والمسلمين بل والشرقيين المستضعفين. فنمنع عن هذه الدولة الباغية الطاغية خيرات بلادنا، ومنافعها التجارية والاقتصادية.. وإنا إن فعلنا ذلك أثبتنا وجودنا الصحيح وأظهرنا أقل ما يمكن إظهاره من مظاهر قوتنا التي ترغم من يناوئنا على أن لا يغمطنا حقنا وحق إخواننا في الحياة الحرة المستقلة، وإننا في هذا لا شك أقوى منطقاً وحجة في مجال القول والمحاجة، وأشد إيجابية وتأثيراً في ميدان التطبيق والتنفيذ. ومن الله نطلب النصر والتأييد.

فلسفة الموت والحياة

كتبت في وفاة المربي الأكبر مدير مدرسة الفلاح الأسبق فضيلة الأستاذ عبد الله بن إبراهيم حموده رحمه الله رحمة واسعة.

ينتشر النور ويملأ النجود والبطاح، فتأتي الظلمة تسطو بأجنحتها السوداء على مجاري ذلك النور الوضاح. ويتسق الأمل ويحدو النفوس إلى الرجاء، فتأتي الخيبة تسحق بأقدامها الجهنمية معالم ذلك الرجاء الوضاء. وتسير السفينة وسط اللجى ميممة ساحل السلام والاطمئنان، فيأتي الموج يصدم بتياره الجبار صدرها، فتتحطم وتغدو طعمة للأمواه والحيتان.

كما تسطو على النور جحافل الظلمة الحالكة وكما تسحق الأمل رحى الخيبة الفاتكة، وكما تحطم السفينة أو أذى التيارات الساهكة ـ تقف الإنسانية إزاء الرزية العظمى: رزية الفناء بعد الحياة، والعدم بعد الوجود!

يغلب الهدى الهوى، ويناضل الرشاد الضلال، ويساجل العقل العاطفة، وينازع الشجاع الشجاع، هي بطولة الإنسان للإنسان تبدو في صور مختلفة، وأشكال متباينة، ولكن إلى حد ما، إلى حد ما يقف الإنسان تجاه هذا النزاع الهائل باهتاً واجماً، ذلك هو حد الأجل القاطع، والموت المحتوم.

إذن فما هو تنازع البقاء؟ وسنة النشوء والارتقاء؟!

أفانصراع الشجاع المغوار أمام الجبان الفُرار، هو انتصار للأصلح وبقاء؟! أو استفحال القوة الظالمة على العدالة الوادعة نشوء للحق وارتقاء؟! أم هي الطبيعة الحاكمة، والقوة المستترة القاهرة، تملي إرادتها، فيسير الكون على قضائها؟!

تلك سنن سنها مبدع الكائنات، هي للبشر عبر وآيات، فسبحانه من واحد تفرد بالعظمة والبقاء!

* * *

نقف أمام الجوامع، فنصمت صمت خشوع وإجلال، ونقف أمام الطبيعة الواسعة الباهرة، فنصمت صمت اعتبار وإعجاب، ولكن نقف أمام الموت وجلاله صامتين. ولا ندري لماذا نصمت أفخوفاً من غائلته التي ستغولنا، والكل منا يعلم أن ذلك منتهاه؟! أم دهشة وحيرة لهذه النهاية التي يكره عليها الأحياء إكراهاً؟ أم إكباراً لموقفه العادل أمام جبروت الإنسان وطغيانه على حق أخيه الإنسان؟! أم طمعاً فيما بعده، وما بعده غيب محجب وسر مكتوم؟ لا ندري ولا ندري، وخير لنا أن لا ندري!!

حياة زائفة، وأمانٍ باطلة، ينخدع بها الأحياء، لا يلبث أن يغتالها الفناء، فتصبح هباء كهشيم المحتظر، فيا خسران من لم يأخذ من دنياه لآخرته، ومن شبابه لهرمه، ومن حياته لما بعد موته، وإنه لحق ما بعد الموت من مستعتب، إن هو إلا نعيم الأبد، أو شقاء الأبد.

ويا لهول المصاب! على نفوس شباب بدأت تطرق ميدان الحياة للجلاد والكفاح، وهي أعزل من كل سلاح، اللَّهم إلا شعلة قوية من مقياس حكيم كان يروضها، تنير لها مسلك الرشاد، وسيف بتار بيد بطل كان

يقطع به أشواك الأهواء، وحسك الأغراض المعترضة في طرائقها.

فمن لهذه النفوس الغريرة الضعيفة، وقد أقصدت في صميمها، ورزئت في مرشدها وحكيمها، ونكبت في بطلها وأمامها؟ من لها إذ تشتبك السبل وتتلوى المعاضل!

من لشعلة الحكمة يضيئها؟ ومن لسيف الحق يشهره؟

يا لهول المصاب! يا لهول المصاب!

القوة الإسلامية الضاربة في الجزيرة العربية(*)

منذ ألف وثلاثمائة واثنين وثمانين عاماً من التاريخ الإسلامي المجيد قامت معركة بدر الكبرى وكانت معركة فاصلة وضعت الحد الواضح المشرق بين الهدى والضلال. كما كانت القوة الإسلامية الضاربة في الجزيرة العربية التي بترت ساق الشرك فأقعدته، وكسرت جناح الكفر فأهاضته. ولم تكن قوة سلاح وعتاد، ولا قوة عدد واستعداد، ولكنها قوة عقيدة وإيمان خالطت اللحم والعظم، وقوة فداء وتضحية أرخصت النفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله.

قوة عقيدة وإيمان وفداء وتضحية تجلت في أقوال أبطال دوى صداها في جوانب الصحراء، وتناقلتها الأجيال عبر التاريخ، تبث في النفوس المسلمة روح الشجاعة والإقدام، في نصرة الحق ومحاربة الباطل:

(سر يا رسول الله على بركة الله. ولن نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيهم: أذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، بل سر إلى حيث أمر الله، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك، ولو خضت هذا البحر لخضناه. وإنا لحمس في الحرب، صبر عند اللقاء، ولا نكره أن تلقى بنا عدونا غداً).

(*) المصدر: «المنهل» رجب ١٣٨٦هـ.

هذه الأقوال القوية الهادرة التي كشفت عن استحصاد القلوب المؤمنة، واستبسال النفوس المطمئنة، ضربت المثل الرائع للجيش الإسلامي في بطولته وفدائيته، كما برهنت على طاعة واعية منه لقائده المحنك، الذي جعل مشورة أصحابه ورجاله في هذه الغزوة دستوراً يقوم عليه صلاح الأمر، وتوحيد الرأي، وجمع الشمل، وأحكام النهج، ونجاح الخطة والتدبير في سياسة الجيوش والأمم وقيادتها.

غزوة بدر معجزة في تاريخ الحروب، وتكتيك الحروب، جيش قليل العدد والعدة خرج أعزل من السلاح ليحوز مغنماً عارضاً، لا ليحارب جيشاً قادماً مهاجماً، ثم يفاجأ بمناجزة عدد صلب عنيد، وافر العدد كامل العدة. خرج من دياره بخيلائه وكبريائه مدججاً بالسلاح، موفوراً بالمال، محملاً بالمؤن.. والذخيرة، يتحدى ويتبجح، ويستهتر ويتعاظم، فما هي إلا عشية وضحاها حتى كان النصر معقوداً من عند الله على هامات جنود الحق والإيمان، وكانت الهزيمة تنزل ساحقة منكرة بجيش الكفر والطغيان.

حقاً إن غزوة بدر لمعجزة أي معجزة!

ذلك إلى أنها كانت فاتحة انتصارات، كانت مبعث هيبة للإسلام والمسلمين من القبائل العربية.

* * *

فيا أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها: جاهدوا بأنفسكم وأموالكم في سبيل الله. ولا يهولنكم ما ترون من أسلحة فتّاكة يمتلكها أعداؤكم، وجيوش جرارة يباهي بها مناوئوكم. ولا تغرنكم مذاهب شتى براقة يزوقها وينشرها ملأ خلت نفوسهم من إيمان يحميها من بوائق الزيغ

والانحراف، وخوت ضمائرهم من اطمئنان يريحها من شرور الحقد والبغي والعدوان ففي عقيدتكم الشامخة بربكم الفرد الصمد وفي إيمانكم بدينكم العاصم من الزيغ والفساد واللدد، والداعي إلى العلا والاستقامة والسلام والرشد، وفي التماسك القوة الدفاعية التي يأمرنا الله بها في كتابه ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠).

ذلك كله ما يرد كيد أعدائكم إلى نحورهم ويزلزل أقدامهم، ويعلي شأنكم، ويرفع كيانكم، ولينصرن الله من ينصره، والله بالغ أمره، وهو العزيز ذو القوة المتين.